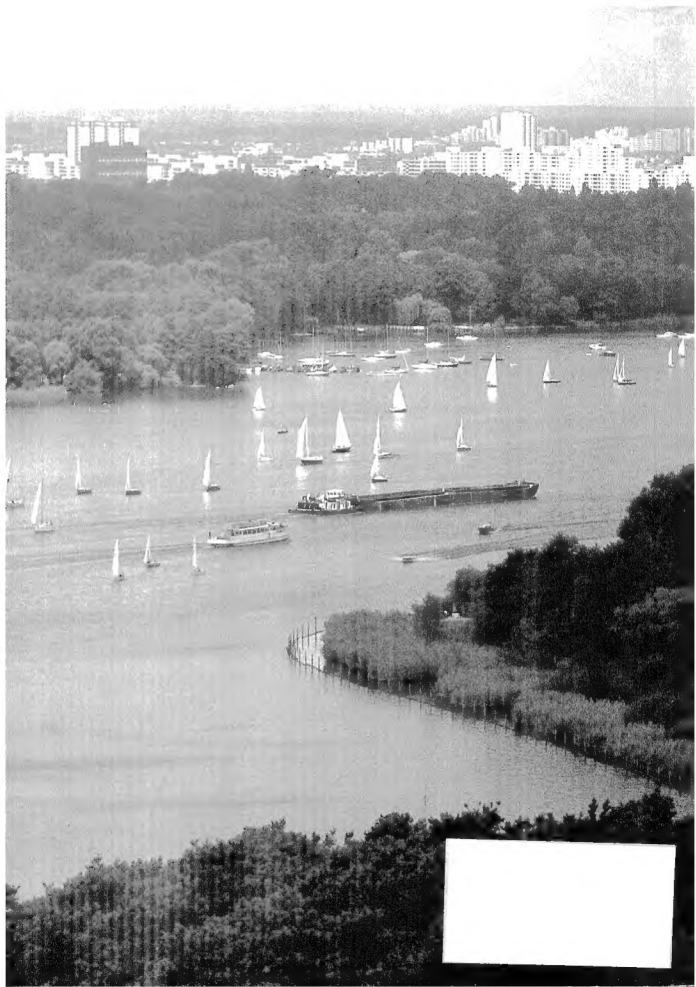


فكر وفن

٤٦





خلال هذا العام، احتفل أهالي برلين (الغربية) والشرقية) على حدّ السواء بمرور ٧٥٠ عاما على تأسيس هذه المدينة التي تجسّد أكثر من غيرها من المدن الأوروبية مآسي هذا العصر وتناقضاته، بالإضافة الى انها رمز لجراح الامة الألمانية التي تعاني منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تراجيديا التقسيم والانفصال. وبهذه المناسبة اقيمت في شطري برلين حفلات موسيقية، وعروض فنية ومسرحية، كما نظّمت معارض ضخمة عن برلين التي كانت ولا تزال قلب المانيا النابض. ومن بين هذه المعارض يمكننا ان نذكر معرض «برلين، برلين»، و «برلين وأنا»، ومعرض آخر قدمت من خلاله أهمّ مراحل الفن الالمانى الحديث. وقد اختارت مجلة «فكر وفن» في عددها هذا عددا من النصوص لكتاب المان وأورويين يعبرون فيها عن أحاسيسهم ومشاعرهم تجاه هذه المدينة التي «لا تبرا من عللها» على حدّ تعبير الكاتب الالمانى الكبير غونتر غواس» والتي لا تزال رغم الامها، عاصمة للابداع والتجديد وللفانتازيا مثلما كانت دائما.

وفاء منا لما كنا وعدنا به قراءنا سابقا، نقدّم في هذا العدد ترجمة لقصيدة من أهم قصائد الشاعر الغنائي الكبير «راينار ماريا ريلكه» اغنية حب وموت حامل العلم كريستوف ريلكه». كما نقدم ترجمة لسنت قصائد قصيرة ومقتطفات من كتابه الشهر «كراسات لورينز بريجه». ونحن نعد قراءنا بتقديم نأذج من مؤلفات أهم الشعراء والكتاب الالمان في اعدادنا القادمة.

أما النص الفكري الذي ارتأينا اختياره في عددنا هذا فهو للفيلسوف الفرنسي «جون بوفري» المتخصص في فلسفة «هيدجر» وفيه يتحدث عن لقاء بين الشاعر الفرنسي «رني شار»، و«مارتن هيدجر» في «البروفانس» الفرنسية. وخلال دار الحديث حول العلاقة بين الشعر والفكر من جهة، وبين الشعر والفلسفة من جهة أخرى. ونرجوان يساهم هذا النص في تعميق النقاش الدائر الان في اوساط المبدعين والنقاد العرب حول مكانة الشعر العربي في العصر الحديث.

ومواصلة لما شرعنا فيه منذ العدد ٤٢، نقدم في عددنا هذا ملقا عن اليمن. غير اننا نلفت انتباه قرائنا الى أننا لم نتمكن من تقديم نأذج من الادب اليمني المعاصر وذلك لان الكتاب والشعراء اليمنيين لم يغبوا عنا وعدونا به. ولذا اقتصرنا على «رحلة خيالية الى اليمن السعيد» وهي تحتوي على نص تاريخي هام للمؤرخ الايطالي «سبينيتو موسكاني» يتحدث فيه عن خصائص الحضارة اليمنية القديمة، وعلى نص آخر يروي الرحلة الاولى الى بلاد اليمن والتي قام بها الرحالة الشهر «نيبور» صحبة فريق من الباحثين والعلماء وذلك لكشف أسرار حضارة اليمن القديمة. ومعلوم ان هذه الرحلة الشهيرة كانت من اوائل الرحلات التي ساعدت الباحثين والمؤرخين الأوروبيين على فهم جوانب مهمة من حضارة قديمة وعريقة الا وهي الحضارة اليمنية. ولا ننسى ان نلفت نظر قرائنا ايضا الى انه نظم في ربيع السنة الحالية معرض ضخم في مدينة ميونيخ، أقيم فيه سوق شبيه بأسواق مدينة صنعاء وتوافد عليه آلاف المتفرجين. وقد حضر حفل الافتتاح كل من السيدين «غنشر» و«زير خارجية جمهورية المانيا الفيدرالية»، و«عبد الرحمان الارياني» وزير خارجية الجمهورية العربية اليمنية. ومن المعلوم ان هذا المعرض لا يزال متواصلا الى حدّ هذا الوقت.

EDITORIAL	1	١	الافتتاحية
INHALTSVERZEICHNIS	2-3	٢ - ٣	الفهرس
BERLIN - die Stadt, deren Wunden nie hellen 750 Jahre Berlin	6	٦	بمناسبة الاحتفال بمرور ٧٥٠ عاماً على تأسيس برلين: المدينة التي لا تبرا من عليها
Kurt Tucholsky: Gott möge sich dieser Stadt erbarmen	8	٨	كورت توفولسكي: فاليحفظ الله هذه المدينة.
Klaus Mann: Das Sodom der Neuzeit	9	٩	كلوس مان: برلين: سدوم العصر الحديث
Jean Michel Palmier: Das Berlin der Zwanziger Jahre	12	١٢	جون ميشال بالمير: برلين خلال السنوات العشرين
Karen Blixen: Berlin während des Krieges	14	١٤	كارين بليكسن: برلين أيام الحرب.
Jean Francois Fogel: Der Roman «Berlin Alexanderplatz» von Alfred Döblin	16	١٦	رواية الفريد فوجل: برلين: ساحة الاسكندر جون فرانسوا فوجل: جسيم برلين الثلاثينات
Jacques Tebeul: Berlin — Hauptstadt der Welt	22	٢٢	جاك تيبول: برلين عاصمة العالم.
Michel Decoust: Ein Morgen in Berlin-Ost	24	٢٤	ميشال دكوست: ذات يوم أحد في برلين الشرقية
Klaus Schlesinger: Drei Berliner Träume	26	٢٦	كلوس شليسنجر: ثلاثة أحلام برلينية.
Vladimir Nabokov: Der Name Berlin klingt wie das Läuten einer Glocke	30	٣٠	فلاديمير نابوكوف: اسمها يرنّ كما الجرس
Günter Grass: Die Stadt, deren Wunden nie hellen	30	٣٠	غونتر غراس: المدينة التي لا تبرا من عليها
Peter Schneider: Wenn das Flugzeug in Berlin landet	31	٣١	بيتر شنايدر: حين تحط الطائرة في مطار برلين
Hassouna Mosbahi: Auf der Suche nach Mohamed Ali Hammi in Berlin	34	٣٤	حسونة المصباحي: بحثاً عن محمد علي الحامي في برلين
JEMEN-DOSSIER Eine Reise in den «glücklichen Yemen»	40	٤٠	رحلة الى اليمن السعيد
Spittino Moscarl: Betrachtungen zur Geschichte des alten Yemen	43	٤٣	سبيتينو موسكاني: ملاحظات حول تاريخ اليمن السعيد

Die erste europäische Expedition in den Yemen: Carsten Niebuhr und die Arabische Reise 1761-1767	48	٤٨	الرحلة الأوروبية الأولى لليمن السعيد: رحلة كارستن نيبور الى بلاد العرب ١٧٦١ - ١٧٦٧
Auszüge aus den «Königlichen Instruktionen: Für die Teilnehmer der Expedition	54	٥٤	قفرات من القرار الملكي: والتعليمات الموجهة الى أعضاء البعثة
Die Reise Hermann Glasers in den Yemen	56	٥٦	رحلة جلانز الى اليمن السعيد
Die Restauration der Koran-Handschriften von Sana'	60	٦٠	انقاذ مخطوطات قرآنية نادرة
Heinz Schläffer: Wie die Schrift unsere Kultur erlangt Der Übergang von der Mündlichkeit zur Literatur und ihre Folgen	64	٦٤	هاينز شلاffer: في العلاقة بين الشفوي والمكتوب
Rainer Maria Rilke: Die Weise von Liebe und Tod des Comets Christoph Rilke	71	٧١	راينار ماريا ريلكه: أغنية حب وموت حامل العلم كريستوف ريلكه
Rainer Maria Rilke: Auszüge aus den «Aufzeichnungen des Malte Laurids Brigg»	78	٧٨	قفرات من كتاب ريلكه: كراسات مالطة لوريدينز بريجه انجذاب اليه يمتدح الموت والزمن
Rainer Maria Rilke: Gedichte	82	٨٢	راينار ماريا ريلكه: قصائد
Konferenz über Jean-Paul Sartre in Frankfurt	85	٨٥	ندوة حول جون بول سارتر في مدينة فرانكفورت مثقفون المان مرتبون أمام سارتر
Jean Beaufret: Dialog über den Maronenbaum Die Begegnung zwischen René Cher und Martin Heidegger	86	٨٦	جون بوفري: حوار تحت شجرة كستناء (حول اللقاء بين الشاعر الفرنسي رني شار والفيلسوف الوجودي مارتين هيدجر)
Hartmut Fähndrich: Anmerkungen zu einem Übersetzer- Kolloquium im Kulturzentrum von Hammamet	88	٨٨	هارتموت فاندريخ: كلمة حول الندوة التي عقدت في المركز الثقافي الدولي في مدينة الحمامات، التقارب المبادل عن طريق الترجمة
KULTUR-CHRONIK	90	٩٠	اخبار واحداث ثقافية
NEUE BÜCHER	94	٩٤	كتب جديدة

يتم النشر بدار النشر شكرهم لكل من ساهم بمعونه في إعداد هذا العدد.

إدارة التحرير: 40 D-8000 München, Franz-Joseph-Str. 41, D-8000 München

تظهر مجلة الفكر، العربية موقتاً مرتين في السنة: ١٤ مارك الماني، النسخة للطلبة ٧ مارك الماني.

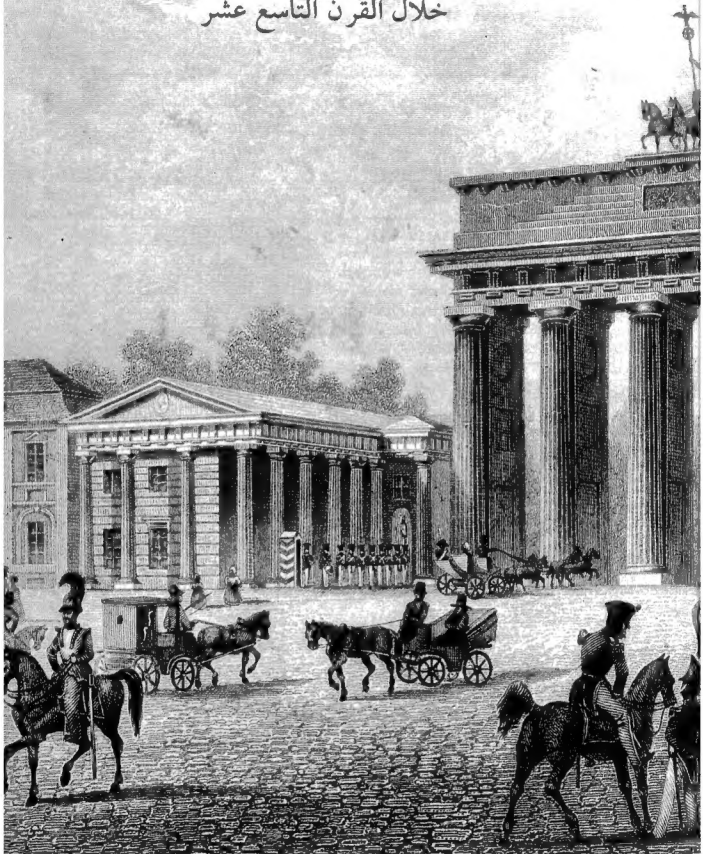
تقدم طلبات الاشتراك الى دار النشر.

صف الحروف: Druck: Greven & Bechtold, Köln Satz: Fotosatz Fritzheim, Bonn الطباعة:

ملاحظة: تتوجه مجلة وفكر وفن، بتشكرنا الى جميع أصدقائها وإرسالها وتعلمهم أنها ليست تاذرة على الإجابة على مراسلاتهم أو الرد على اقتراحاتهم. أو على النصوص التي
الغلاف الخارجي: رسوم على جدار بريون.
الغلاف الداخلي ١: يمنية «هائل» مراكب شراعية.
الغلاف الداخلي ٢: مشهد من صنعاء.



برلين : ساحة «باريز» وباب «براندانبورغ»
خلال القرن التاسع عشر



برلين المدينة التي لا تريد ان تبرا من عللها

بمناسبة الاحتفال بمرور ٧٥٠ عاماً على تأسيس برلين

المجالات. وفي عام ١٧٠٩ سمى فريديريك الثاني ملك بروسيا برلين عاصمة المملكة البروسية الجديدة. ومع الثورة الصناعية في ألمانيا (١٨١٥)، أصبحت برلين المدينة الصناعية الأولى في أوروبا بأسرها. ولهذا السبب جلبت إليها أعداداً هائلة من الباحثين عن عمل. وفي سنة ١٨٤٩ أصبح عدد السكان ٤١٢٠٠٠ وفي سنة ١٨٧١ تضاعف هذا العدد. وفي سنة ١٩٠٥ بلغ عدد السكان مليوني ساكن.

وقد تسبب هذا الوضع الجديد في انفجار العديد من الصراعات الاجتماعية والسياسية يمكن ان نذكر من بينها ثورة آذار/ مارس ١٨٤٨ التي اسقطت النظام القديم. وفي سنة ١٨٧١ نصب فيلهلم الأول امبراطوراً وسُمي بيسارك مستشاراً للرايخ وأصبحت برلين عاصمة الامبراطورية الألمانية. وفيها أصبحت تتركز كل التناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تعيشها ألمانيا.

الصراعات واحتدت التناقضات في برلين الشيء الذي أدى الى قيام ثورة ١٩١٨-١٩١٩ التي قادتها روزا لكسمبورغ. ثم مالبت ان سقطت سلطة الرايخ وعُدلت قامت جمهورية برلمانية ديمقراطية وهي التي عرفت بجمهورية (فيمار) (Weimarer Republik) غير ان هذه الجمهورية الجديدة لم تتمكن من معالجة المشاكل الاقتصادية والسياسية المتضاربة. وسرعان ما ازداد الوضع تعقداً عند انفجار

خلال هذا العام احتفل الألمان شرقاً وغرباً، وكل حسب طريفته الخاصة، بمرور ٧٥٠ عاماً على تأسيس برلين، هذه المدينة التي أصبحت حسب تعبير «الن بولوك» (ALLAN BULLOCK) «رمزاً للقرن العشرين». وهو القرن الذي شهد حروباً وصراعات دائمة وفواجع كثيرة من بينها فاجعة تقسيم برلين.

ولقد كانت برلين خلال التاريخ مركزاً سياسياً واقتصادياً وعلمياً وثقافياً تجسدت فيه بامتياز العقيدة الألمانية. وفي البداية كانت برلين عبارة عن مدينتين صغيرتين هما «برلين» و«كولن» (KÖLN) تقعان على ضفاف نهر السبري (SPREE) وخلال حرب الثلاثين سنة (١٦٤٨-١٦٤٨) انخفض عدد سكانها من ١٢٠٠٠ الى ٦٠٠٠. ولهذا السبب قرّر الملك «فريديريك فيلهلم» (FRIEDRICH WILHELM) الملقب بالملك العظيم السماح للعديد من الأجانب والمغنيين وخاصة من اليهود ومن المؤفزون بالاستقرار في المدينة. وهو عامل ساعد في مابعده على تطورها في جميع



غوتفريد فيلهلم فون لايبنتز.



يوهان غوتليب فيخته.



غوتفريد الميرابيم لايبنتز.



جامعة في برلين عام ١٨١٠

وفي عام ١٨١٠ تأسست الجامعة التي درّس فيها كل من الفيلسوف الكبير فريدريك هيجل (HEGEL) (١٨١٨) والمؤرخ «ليوبولد فون رانكه» (L.V. RANKE) (١٨٢٥) والعالم والطبيب الاسكندر هومبولت (HUMBOLDT) (١٨٢٧).

وخلال القرن التاسع عشر أيضاً تأسست مراكز ثقافية وعلمية جديدة من بينها مسارح ومتاحف وناوادي علمية وثقافية. وعندما أصبحت برلين عاصمة الامبراطورية عام ١٨٧١ ازدادت اهميتها الثقافية والعلمية. وقد اقيمت فيها عام ١٨٧٩ «الجامعة التقنية» والتي أصبحت في ظرف زمني قصير مثلاً يجتدى في أوروبا بأسرها. ويفضل اكتشافات كل من «روبرت كوخ» (ROBERT KOCH) و«ماكس بلانك» (MAX PLANCK) والبرت اينشتاين (ALBERT EINSTEIN) عرفت العلوم الفيزيائية والطبيعية تقدماً كبيراً كان له انعكاس على المستوى العالمي.

وفي عام ١٨٨٣ تأسس في برلين «المسرح الألماني» (DEUTSCHES THEATER) كما تأسست مسارح أخرى كانت مستقلة عن سلطة الدولة. وفي عام ١٨٩٥ كانت هناك في برلين ٦٥ صحيفة يومية. وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى أصبحت برلين واحدة من أهم المراكز الثقافية والفنية في أوروبا بأسرها. غير أن استيلاء النازيين على السلطة حول برلين إلى مدينة قائمة وكتيبة. وهكذا هجرها الفنانون والمبدعون لفترة طويلة.

وبهذه المناسبة تقدم «فكر وفن» نصوصاً لكتاب مختلفين يتحدثون فيها عن جوانب متعددة لهذه المدينة التي تجسد كما ذكرنا آنفاً واحدة من أشجع ماضي هذا القرن.

الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩، وخلال هذه السنوات الصعبة تحوّلت برلين إلى مركز للارهاب والقتل والغوصى. وسرعان ما استغل النازيون هذا الوضع المتعفن لكي يفتكوا السلطة عام ١٩٣٣.

ومن برلين أعلن هتلر الحرب على الدول التي هزمت ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى. وبعد نهاية هذه الحرب عام ١٩٤٥ كانت برلين قد تحوّلت إلى انقاض. ودخلت قوات الدول المنتصرة المدينة وقسمتها إلى مناطق نفوذ روسية وأمريكية وفرنسية وإنكليزية.

وفي عام ١٩٤٩، وإمام تكاثر أعداد المهاجرين من ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية أقامت السلطات الشيوعية التي تحكم ألمانيا الشرقية الجدار المقيت الذي لا يزال شاهداً على مأساة ألمانيا خلال هذا العصر. وكانت برلين طوال تاريخها أيضاً عاصمة للاداب والفنون والعلوم. وأبداء لم تتخلى عن أداء دورها هذا إلا عند استيلاء النازيين على الحكم.

في عام ١٧٠٠ أسس فيها العالم «غوتفريد فيلهلم لينينتز» (GOTTFRIED WILHELM LEIBNIZ) أكاديمية العلوم البروسية وفي عام ١٧٤٠ دعى «فريدريك الكبير» الفيلسوف الفرنسي «فولتير» (VOLTAIRE) للإقامة في القصر الملكي مدة ثلاث سنوات، غير أن مجد برلين الثقافي تألّق خاصة خلال القرن الثامن عشر بفضل المستنيرين الجدد من أمثال «غوتفريد إفرايم ليسينغ» (GOTTFRIED EPHRAIM LESSING) و«موسى مائندلسون» (MOSES MENDELSSOHN) و«فريدريك نيسكولاوي» (FRIEDRICH NICOLAI) وهكذا تحوّلت برلين إلى مدينة «التنوير المدني». (BÜRGERLICHE AUFKLÄRUNG) وخلال القرن التاسع عشر أصبحت مركزاً للرومانطيين الألمان. وفيها تجمع علماء وأدباء كبار يمكن أن نذكر من بينهم: الأخوة هومبولت (HUMBOLDT) والأخوة شليغيل (SCHLEGEL) ويوهان ميخته (J. FICHTE) وهانيس فون كليست (H. V. KLEIST) ونوفاليس (NOVALIS) وغيرهم كثيرين.



منظرًا وثيرًا في ساحة الأسكندر ١٩٢٨.



فيلهلم فون هومبولت.



فريدريك هيجل

فاليحفظ الله هذه المدينة!

كورت توخولسكي

ورشة أو معمل أو إدارة. إنه أقل من يكون كائناً بشرياً. الآلة تنقب اعصابه وتقرأه. وهو يستسلم لها تمام الاستسلام. إنه يفعل كل ما تطلبه منه المدينة. أما أن يعيش.. فهذا شيء بعيد.. ومستحيل مع الأسف.

والبرليني يمضي يومه وهو يجر. وعندما يأتي الليل يقول بأنه تعب من العمل ولا شيء غير ذلك. ويمكن أن نعيش سبعين سنة في هذه المدينة دون أي ربح لا روحاً لا أبدية. ثمة وقت كانت فيه برلين آلة جديّة. يمكن لدمية من الشمع أن تحرك دببها ورجليها أوتوماتيكياً حين نلقي في الفتحة ١٠ فينيتغات (Pfennige). أما اليوم فانه بإمكاننا أن نضع قطعاً كثيرة دون أن تتحرك الدمية.

الآلة تعطبت الآن، ولم تعد قادرة على أن تتحرك مثلكم كانت تفعل في الماضي. والسبب هو كثرة الاضرابات في برلين. لماذا؟ لمست أدري. هناك من يساند الاضرابات. وهناك من يقاومها. لماذا؟

والبرلينيون ينظرون الى بعضهم بعضاً كما لو أنهم لا يعيشون في نفس المدينة، ولا يارسون نفس العادات. وهم يعضون الوقت في شتم بعضهم بعضاً سواء في الترامواي أو في الشارع. لا شيء يجمعهم أو يوحد بينهم. وهم لا يريدون أن يعرفوا شيئاً عن بعضهم بعضاً. كل واحد يعيش لنفسه وفي عائلته الخاص. وبرلين تجمع بين سلبيات مدينة أمريكية كبيرة وسلبيات عاصمة من عواصم الاقليم الألماني. وإيجابياتها يمكن العثور عليها في كتاب « المرشد الأزرق ».

وفي كل عام، حين تطلق الى الاصطيف، يشعر البرليني أنه بإمكانه أن يعيش فوق الأرض أيضاً. وليلة أربعة أسابيع يجازل أن يفعل ذلك غير أنه لا يفعل ذلك. أنه يجهل معنى الحياة. وعندما يعود مسروراً وينزل في محطة القطارات يخمن بعينه الى خط الترام ويشعر بسعادة كبيرة لأنه عاد الى برلين. الحياة! لقد نساها تماماً.

ومن جديد تقعر الايام اجراسها الرتيبة. وحتى وإن عشنا مائة عام في برلين فإن الحياة تظل كما هي دون أي تغيير. لا شيء يلج حياتنا الداخلية. ولا شيء نعيش أرواحنا أو سعادتنا على الانفتاح أو على الفرح. أه برلين! برلين!

عندما قرأ رئيس التحرير هذه الفقرات، قطب حاجبيه قليلاً، وباتسم بمودة في وجه الشاب الراقف امانه وقال: وهل

ليس هناك سواء فوق هذه المدينة. ويمكن أن نتساءل اذا ما كانت الشمس تضيء فيها ذلك أننا لا نراها الا حيناً تبهرنا لحظة اجتيازنا الشارع. وبطيعة الحال نحن نحتج ضد الطقس. غير أنه لا طقس في برلين.

البرليني ليس له وقت. البرليني الذي هو في أغلب الأحيان من (POSEN) أو (BRESLAU) ليس له وقت. دائماً لديه شيء يشغله. أنه يتلفن. ويتواعد مع آخرين، ويصل مقطوع الانفاس الى المواعيد ومتأخراً ايضاً. أنه مشغول طول الوقت. وفي هذه المدينة، لا يعمل الناس. انها يشتغلون بحمية كبيرة (حتى اللذة هي بالنسبة لهم عمل. وهم يستعدون اليها باصقن على أيديهم مصممين على الاستمتاع بها الى اقصى حد ممكن). والبرليني ليس مثابراً أو مجتهداً. أنه دائماً يتحرك. غير أنه نسي مع الأسف الشديد لماذا نحن من هذا العالم.

ونحن نشاهد احياناً برلينيات في الشرفات. وهذه الشرفات ملتصقات بعلب تسمى منازل. وهن - البرلينيات - يجلسن هناك ليسترحن، بين مكالمتين، أو في انتظار موعد ما، أو لأنهن يكرن قليلاً على اوقات مواعيدهن، فانهن يجلسن ويتنظرن. وفجأة ينظرن مثل السهم باتجاه التليفون في انتظار الموعد المقبل. هذه المدينة مشدودة الى عربتها. ومعقودة الجبهة هي تدور طول الوقت حول نفسها دون أن تنتبه الى انها باقية دائماً في نفس المكان وانها لم تتقدم ولو خطوة واحدة.

والبرليني لا يعرف كيف يناقش. احياناً، نشاهد شخصين يتحدثان. غير انها في الحقيقة لا يتحدثان وانما كل واحد منهما يحدث نفسه فقط. ووفق ذلك لا يعرف البرليني آداب السباح. أنه ينتظر بصبر شديد حتى ينتهي الاخر من الكلام ثم يصيح بعنف. بهذه الطريقة تدور العديد من المناقشات في برلين.

البرلينية واضحة وهي تحقت الالتباس والمراوغة. وهي في الحب كذلك. وهي بلا أسرار. انها الفتاة الشجاعة والحسنة المعشر التي يجب أن يتغزل بها شاعر الحى. والبرليني لا يستفيد كثيراً من الحياة. الا اذا كان يربح أموالاً كثيرة. وهو لا يحب أن يرافقه احد لأن ذلك يعقد الحياة ويحب كثيراً من المشاكل. أنه يلتقي باصدقائه ويجاول أن يبدو جيلاً وأنيقاً وعند الساعة العاشرة تلبو عليه عوارض النوم.

والبرليني عبء لدواليب مدينته. أنه عبد لها حين يركب وسائل نقلها، أو حين يذهب الى المسرح أو الى المطعم أو حين يعمل في

التي ظلت فوق رأسه منذ دخوله مكتب رئيس التحرير، ويتأثر بالغ
رفع عينيه إلى السقف وقال بصوت حاد وخاشع في نفس الوقت:
ليحفظ الله هذه المدينة! ».

برلين خيفة إلى هذا الحد؟ ألا تعلم إن لبرلين إيجابياتها أيضاً.
هدوءاً، هدوءاً، أنت لازلت شائساً على كل حال. ولا يمكنني إن
السومك! ». وبما إن الفتى كان لا يزال فتى حقاً، وبما إنه كاموياً
ومعروفا لدى الجميع بدعائه أخلاقه وحسن سلوكه، فانه نزع قبعته

برلين : سدّوم العصر الحديث

كلاوس مان

العاصمة لا تخلق : انها تمثل . وإذا ماكانت برلين العاصمة
الامبراطورية ، بفرقة سيوفها قد منحت المظهر الديناميكي
والعنيف للقومية الألمانية الفتية ، فان برلين السنوات الاولى التي
اعقبت الحرب عكست بنفس الوضوح حالة التشاؤم والانهيار لدى
الامة المهزومة . وانظروا الى ، تصرخ العاصمة الألمانية المتبجعة
حتى في ياسها ، انا بابل ، الأمانة والمدينة والاكثر فظاعة من المدن
جميعا . حتى سدوم كانت اقل منى فسادا وانما . ادخلوني اذن ايها
السادة والسيدات . ان ليالي لا مثيل لها يا ابنتاي . قديما كان لنا
جيش رائع . والان لنا لذات وانحرافات رائعة! تعالوا الى حيث
نزعت اللذة كلها! تعالوا! ».

برلين رقيقة الاحساس وقاسية القلب في نفس الوقت . انها
ضجيرة ، لكنها مع ذلك شهرة طول الوقت الى الرغبات
والاحاسيس الجديدة . ولقد حاولت دائما ان تكون المركز الثقافي
والاخلاقي لالمانيا - تماما مثل باريس بالنسبة لفرنسا - غير انها لم
تفلح البتة . ويعكس العاصمة الفرنسية ، فان برلين ليست لها
موهبة الخلق وانما موهبة التنظيم فقط . ان عبقريتها ودورها
التاريخي يتمثلان في انها لا بد ان تستحوذ على كل الاتجاهات
الكامنة والمستترة في ألمانيا ، وأن تستوعبها ، وأن تمنحها شكلاً
دراماتيكياً ثم تدفع بها الى الحد الاقصى . ان برلين هي الدماغ
الذي يشكل الاحاسيس والغرائز ، والحنين ، والضعف في قلوب
الشعب الألماني بدقة علمية متناهية وباناقة صحفية متميزة .



شيوخ غروس :
جاعة والكودام عام ١٩٢٥ .





نيكولاس براون: شارع من شوارع برلين

خيوط غروب: المدينة الكبيرة ١٩١٦-١٩١٧



برلين خلال السنوات العشرين

جون ميشال بالمبي

تقتصر على ذلك، بل أنا سمحت لجمهور المسارح والكابريهات بالاستمتاع بفحلات ترقص فيها غانيات وهن شبه عاريات. ويتحدث «غيورغ هايم» عن برلين في تلك الفترة وكأنها إله من آفة الشر، وعالم يتميز بالفزع والربع والوحدة. أجراس الكنائس تتدق كما لو أنها «بحر من القلاع السوداء».

وفي كل الأماكن «يساعد دخان المعامل» ويلتهم المدينة. انما - اي برلين - شبيهة بإله يمد قبضته الشبيهة «بقبضة الجزار» لايري «هايم غير مشاهد حزينة وخفيفة في برلين، ويتحدث «غوتفريد بن» عن الأجواء الحزينة، وهن علب الليل الملتية بشيء من الانهيار والاشمزاز في آن واحد.

ويرغب «ليشتشتاين» في الهروب من المدينة ومن الشوارع الفسارحة، ومن ساء السقوف الحمراء، ليتسدد أمام الشمس الصافية والزرقاء والكبيرة.

كيف شهدت برلين ظهور الحركة التعبيرية؟ من خلال الرسم في البداية. ذلك ان برلين أظهرت دائماً ولما كبيراً بالرسم. لقد عرض فيها «موتش» (MUNCH) لوحاته الفضاخية وقبله شهدت برلين معارض مختلفة ومتنوعة. ومن الأكيد ان «موتش» لم يشهد الاقبال الذي يستحق عام ١٨٩٢، غير ان لوحاته الجديدة أثرت تأثيراً واضحاً في الجيل الجديد في الطليعة الفنية وكانت برلين في ذلك الوقت مفتوحة أمام كل ما هو قادم من البلدان الاسكندنافية وفيها عرضت مسرحيات إبسن (IBSEN) و«سترانسبارغ» (STRANDBERG) وقد التقى «موتش» ريشارد دهمال (R. DEHMEL) في برلين، وأيضاً أوتوجوليوس بيرنيسوم (O. J. BIERBAUM) و«سترانسبارغ» وجوليوس مايرغرراف (J. M. GRAEFE) الذي ألف كتاباً عن فن «موتش» وكان ظهور المجلة الفنية «DER STURM» عام ١٩١٠ مناسبة لتدعيم الحركة الفنية الجديدة وتعيداً لظهور لتطور الحركة التعبيرية. وفي البداية قول الفنانين الجدد في برلين يتخطف كبير. بل ان الفنانين القدماء رفضوا أصلاًهم واعتبروها مجرد عبث طفولي لإعلاقه له بالنفن على الإطلاق غير ان هذا لم يحد من حماس الطليعة الجديدة. وفي طرف قليل بدأت تنشط لفرض نفسها. وجاء فنانو (BRÜCKE) ليتسرقوا في برلين. وفي عام ١٩١٠ عرض كوكوشكا (KOKOSCHKA) في قاعة (CASSIRER). وفي عام ١٩١١ عرض فنانو الحضان الأزرق (BLAUE REITER) أعمالهم في قاعة (DER STURM) التي أصبحت المكان المفضل الذي يلتقي فيه فنانو الحركة التعبيرية الجديدة.

نقطة أغنية في السنوات العشرين تقول ان برلين واحدة ولن تكون اثنين البتة. المهرج المشافيزيقي «كارل فالتين» صديق «بريخت» عرض بنفسه زجاجة تحتوي على هواء بريقي. اخان، قصائد، روايات، لوحات، افلام خلدت هذه المدينة، انطلاقاً من «جورج هايم» الى «كريستوفر ايشارود» مروراً «بريخت»، «بيكسر»، «وديلن»، «ليونهارد فرانك»، «غوتفريد بن»، «ويتخوليسكي»، «ايريك فاينرات» و«هانريش مان» وغيرهم كثيرون. قليلة هي المدن التي أثرت في الأدب وفي المسرح والسينما مثل برلين خلال السنوات العشرين. لقد كانت حقاً منبعاً لإبداعات كثيرة لانزال مؤثرة الى حد هذا الوقت. خلال تلك الفترة، كانت برلين رمز الطليعة الأوروبية، ليس فقط بالنسبة للحركة التعبيرية، وانما أيضاً بالنسبة للحركة الدادائية، وللحركة المستقبلية وغيرها. لقد كانت مدينة المسارح والكابريهات، والمكان الذي يلتقي فيه فنانون أوروبا الطليعيون والثوريون.

ان العصر الذهبي لهذه الطليعة يمتد في ما بين ١٩١٠ و١٩٢٠. وقيل ان يلتقوا في الكابريهات الادبية، كان فنانو الطليعة الجديدة يلتقون في المقاهي. ومنذ بداية العشرينات، بدأت برلين الشعبية تفقد دورها الطليعي. وكانها ظهرت برلين جديدة. برلين الاغنياء. برلين الـ (Kurfürstendamm) والـ (Kantstrasse) وكانت المقاهي التي تعمد الطليعيون الجدد الالتقاء فيها هي (Romanisches Café) و (Café Gröbenwahn) وهي المقهى التي شهدت ظهور العديد من الأعمال الطليعية الجديدة. من هم هؤلاء «الطليعيون الجدد»؟ انهم شعراء بؤساء، يمانون الفسافة والكداء يجدون قوت يومهم. ومن خلال روايته الشهيرة Mephisto تحدث «كلاريس مان» عن تلك الفترة ووصف تأثير الفنانين الألمان المقيمين في برلين على الحياة الادبية والفنية في تلك الفترة. وعاش «بريخت» في برلين في تلك السنوات فقيراً لا يملك سوى معطفاً جليداً وقبعة. ويوماً ما سقط في الشارع بسبب الجوع والارهاق. غير انه في ما بعد لم في برلين وسطع نجمه كشاعر وكموسيقي وخاصة بعد عرض مسرحيته «طبول الليل» وأوبرا الاربعة مليات في مسرح «Am Schiffbauerdamm» سنة ١٩٢٨.

وبعد ان كانت برلين مدينة السينما والمسرح، أصبحت مشهورة بكابريهاتها التي أصبح الناس يهاتفون عليها بأعداد كبيرة. وشيخاً فشيخاً اكتشفت برلين مجلات العري. غير انها لم

وهولند وروبيكاتور. وظلت الحركة التعبيرية تعيش على حدود عام ١٩٢٨. ولما طلب من «سابوز» (MABUSE) أن يحدد مفهوم التعبيرية قال: إن التعبيرية لعب ساخر. ولكن الحياة هي أيضا لعب ساخر».

وفي برلين أيضا، عرفت الحركة التعبيرية أوجها. ولقد جاءت إلى برلين في نهايات الحرب كما عاصفة هوجاء أو كما جياذ الرؤيا الأربعة. في فبراير ١٩١٨، قام «هولسنبيك» (HUELSENBECK) بمحاضرة في برلين أعلن فيها عن تأسيس الحركة الدادائية. ومنذ ١٩١٨ إلى عام ١٩٢٠ نظم «نادي دادا» اثني عشر سهرة، وأصدر بيانات عديدة. وفي عام ١٩٢٠، افتتح «المعرض العالمي للحركة الدادائية» في قاعة «بيرنارد» (BURCHARD). وسرعان ما نعت الدادائيون «بالبلاشفة». غير أن هذا لم يكن صحيحا تماماً. وذلك أن الدادائيين، حتى وإن كان البعض منهم متعاطفا مع الثورة البلشفية، فإنهم لم يكونوا متحيزين بالمفهوم الأيديولوجي للكلمة.

حول قاعة (DER STURM)، وحول المجلة التي تحمل نفس الاسم، التقت الاتجاهات الجديدة والمتشعبة في مجال الرسم: كاندينسكي، فرانز مارك، شاغل، وأيضاً فنانون الحركة التكعيبية في فرنسا. ولقد شهدت معارض الرسامين الجدد أقبالا شديداً ومتحمساً من طرف الجمهور.

كانت برلين خلال العشرينات، تحاول وسط الهزات السياسية، ووسط أجواء الجوع والفاقة، أن تجد في تلك الحياة الصاخبة وفي وجم الفنون الجديدة مواساة لجراحها والآلام. كانت تريد أن تنسى وأن تعرب بعيداً في فترة وكانت فيها الفتاة تشتري بسيجارة وقطعة الخبز بملبون مارك» ١. وفي إحدى اللافئات المستوحاة من قصيدة «لغالتز ماهرينغ» (W. MEHRING) يمكننا أن نقراً: «برلين، راقصك هو الموت» ٢.

وخلال فترة زمنية قصيرة انتشرت نار الحركة الفنية الجديدة في جميع أنحاء برلين، وجلبت إليها أعداد هائلة من فنانى الجبل الجديد. ويمكن أن نذكر من بينهم: «كورت هيلر» (K.HILLER)، «مغفوب فون هوديس» (J. V. HODDIS) الذي أصيب في ما بعد بمرض عقلي وحرقه النازيون. «فرانز بفاهمفارت» (F.FEFMEFART)، «ريدولف ليونارد» (R. LEONARD) وغيرهم، واختلط الشعراء بالتعبيريين، وجميعهم أصبحوا يلتقون في المقاهي وفي الكابريبات. وخلال السنوات التي سبقت الحرب، عرض «ماكس راينهارد» (M. REINHARDT) المسرحيات التعبيرية الأولى. وأمام خطر الحرب الداهم، لجأ الفنانون الجدد إلى المقاهي محاولين تجنب الكوارث التي بدأت تلوح في الأفق. غير أن ذلك لم يجد نفعا ذلك أن البعض منهم شهد مصرعه في تلك الحرب الطويلة. وبعد انخيار النظام القديم، وانتشار اليأس والفاقة، استقطبت الحركة التعبيرية من أوهامها القديمة، وراحت تعمل من أجل خلق عالم جديد، ومن أجل توحيد الأمل والبأس ضمن مشروع ثوري جديد. وهكذا أصبحت برلين رمزا للأزمة الشديدة التي كانت تمرق ألمانيا. وإذا ما كانت برلين قبل الحرب عاصمة الحركة التعبيرية بامتياز، فإنها أصبحت بعد ذلك مدينة «الفن اليساري» الجديد. وخلال تلك السنوات نشطت الحركة الفنية الجديدة. وبجاءت الناس على المتاحف وعلى قاعات السينما والمسرح لمشاهدة أعمالها في جميع مجالات الفن.

وبسرغم قسوة تلك الفترة التي أعقبت الحرب، فإن برلين عاشت مفتوحة لكل اللذات ولكل ما هو ثوري وجديد وطليعي. ولقد كانت تحاول من خلال ذلك أن تنسى ماضي الحرب والمجاعة والبؤس.

وفي سنة ١٩٢٢، قرأ «برنخت» الاستقرار في برلين. كما استقر فيها أيضاً مخرجون لامعون من أمثال «راينهارد»، و«جسنر»



برلين أيام الحرب

كارين بليكسن

من مشاهدة أي شيء. وليس في البرامج مسرحيات حديثة. هناك تهاوت من جانب المخرجين على الأعمال الكلاسيكية. وهناك اجانب كثيرون في برلين يشكون من هذا الوضع، وهم بفارغ صبر ينتظرون الفن المسرحي الجليل الذي سوف يتذكره ارادة الرايخ الثالث. ولكن من يدري ان هذا الشعب الذي يقدر واجباته يذهب الى المسارح دونما وعي لكي يفلت لساعات من اولئك الذين يريدونه ان يظل في الطريق المستقيم.

ولقد سمعت كثيرين في برلين يتحدثون عن الفن الشعبي. وهم يقولون ان فن الرايخ الثالث لا تحفله النخبة الثقافية وانما الجماهير بأسرها. لكن ماذا ترى تقول الجماهير اذا ما دعوا لتكلم وتبرعن رأيا؟ ولقد تمكنت من مشاهدة العديد من الاعمال التي قيل في أنها تنسب الى الفن الشعبي. وانا لم اشاهد أبدا معارضي رسم واعتقد انها لا تقام اطلاقا في برلين ولا في غيرها من المدن. غير اني شاهدت بعض الاعمال التصويرية، وأيضاً سقوطاً مزينة ونباتات رسمية مزعومة. وكل ذلك مستوحى من روح الرايخ الثالث. اشخاص عراة يبدون شرفاء اكثر من اللازم. فتى عار، يد على المحررات والأخري على السيف، وعيناه زرقاوان كبيرتان. والى جانبه فتاة عارية وضخمة الجسد، وصافية الوجه تتحول في الصورة الاخرى الى أم سعيدة، محترمة من طرف الجميع، ومنها يتدفق الحليب والمسل. انها الصورة المعلقة في جميع الاماكن والتي تجسد البطولة والمجد كما يراها الرايخ الثالث. غير ان الشعب لا يرى نفسه كذلك. واعتقد جازمة انه يصرخ خجلا حين يستحث على أن يرى نفسه كذلك. [...]

ولكي أطلع على مايفضحك الشعب الالمانى، ذهبت صحبة الدكتور وابغال الى (CAROWS LICHTBOHNE) التي هي قاعة عادية تقدم فيها عروض مختلفة ومتنوعة. وفيها يشرب الناس الخمر والبيرة. وكانت حقا سهرة ممتعة. وكاروا الذي هو يدون شك، صاحب القاعة والذي حسب ما اعلمني البعض، قيد الى السجن مرتين أو ثلاثة، بسبب مزله المزاحيانا، هو الذي كتب المسرحية وهو الذي يمثل الدور الرئيسي فيها. وكانت مليئة بالمرل وبالسخرية عكس تلك المسرحيات التي يؤلفها بعض الجورجوازيون الثقلاء. وكان الجمهور سعيداً ذلك ان الممثلين عبروا عن مرارة [...]

كما استمعت أيضاً الى السمفونية الخامسة لبيتهوفن. مسؤول وزارة الدعاية الذي كان يرافقي قال لي : وان السمفونية

جئت الى برلين في فترة فقدت فيها لمعاني ورويقها تماما مثلما يفقد الطائر زهو في موسم التسول. لم تكن هناك موسيقى في الشوارع. ولا اعلام ترصف في الريح لاصوت اقدام بالآلاف. وكل مايمكن ان يهر كان غائيا تماما. لقد حدثني اصدقائي الذين حضروا الالساب الاولى منذ أربع سنوات عن عاصفة الانتصار التي كانت تنفخها الرايخ الثالث بقوة وعنف. غير وانا في برلين لم اعثر على شيء من هذا القبيل. لقد سمعت اني في مدينة كتيبة. الشوارع قدرة بطريقة لا يمكن وصفها. لقد ازلت الشاحنات الثلج قليلا من الشوارع، غير انها تركتها مكثسة وانطلقت لتأدية مهام اخرى اكثر أهمية. الناس يسرون بحذر مرتدين ثياب السنة الماضية. لم ارتياباً رته، كما اني لم ارتياباً ابقية. في مدينة كبيرة، اكثر مما في أي مكان آخر، يكون الغير مجيد هو الضروي، ودوننا نخبة مثقفة تبذل المدينة رتبة كما اليأس نفسه. وعندما كنت في بيو فندق وادلون، بأثالة القور، فكرت في ان الاشخاص الوحيدين الجديرين بذلك المكان هم البواب والصرافات. وكان الفندق بني لشيء آخر غير تلبية رغبات الباس. كل شيء كان يؤكد ان برلين تعيش اياما عصيبة وقاسية.

غير انه بعد مضي أيام، بدأ المحيط في التغير بطريقة غير محسوسة. ذلك ان الاعمال الكبرى تتواصل، وضربات المطارق تقترع فوق المداخل العالية وعلى الارض حيث تبني شوارع عريضة. هذا المجتمع ليس مسلوبا وانما هو مجتمع بوعي تام عن شيء محدد، غاما مثل رجل يشعر انه عليه تادية عمل ما، وفي الحال ينزع سترته، ويشرعن من صاحبه، ويشرع حالا في القيام بذلك. الارادة، والرغبة العالمة في تادية الواجب تسيطران على برلين التي ملأها الشتاء ذلارة وحزنا. ان منع الجولان، اذا ما تعرض اليه من قبل، يزعج النفس كثيراً في مساكن آذار. اننا نحن نفس مشاعصر رجل يدرك انه يفرق وانه لاسبيل الى الخلاص. غير انه مع مرور الوقت، تعود بسرعة على التنقل في العتمة. لكن الفرز يظل يرافقتنا رغم ذلك. ليست العتمة هي التي تضغط عليك، وانما الاحساس بان هناك حولك، وفي كل النواحي، أربعة ملايين من البشر، قُروا ان يجفوا وان يظلوا هادئين وصامتين في العتمة.

وفي برلين كانت المسارح تغص بالناس رغم منع الجولان وقذارة أشهر الشتاء. ومن الصعب الحصول على تذكرة في أي مسرح من المسارح. ولولا مساعدة وزارة الدعاية لما كنت تمكنت

التي عزفتها بطريقة رائعة «الأوبرا الكبيرة». وقد عدت إلى الفندق تحت عاصفة تلججية عنيفة. غير أنني كنت سعيدة إلى درجة أنني أردت أن امنح تلك القطعة شكلاً مستوحى من إحدى روايات الكاتبة السويدية سلمى لاجروف: «أنت التي أحب كم أنت علمتي أن أطير بجناحي في السماوات العالية». غير أنه في تلك الليلة، لم تمنحني السمفونية الخامسة اجنحة. وبعد مضي شهر على إقامتي في ظل الرايخ الثالث، شعرت انها تزن بتلك المناقشات التي دارت بيني وبين بعض الرسميين حول قوة الأرادة. ولقد بدت في جسد الإنسان الأعلى أكثر مما هي الحياة!

الخامسة هي التعبير الحقيقي والرائع للروح الألمانية». وهكذا استمعت إلى السمفونية بطريقة تختلف عن المرات السابقة. وهكذا يضرب الله على الباب» كان يقول بيتهوفن. ونحن لا نعرف إذا ما كان ذلك وعداً أم وعيداً. وكان «برليوز» (BERLIOZ) يسمي الوثنية الرابعة «وثنية السفينة». غير أن شومان (SCHUMANN) الذي استمع وهو طفل إلى السمفونية الخامسة قال قبل نهايتها: إن هذا يجيفني». والنهاية تنتفخ، وتتدفق ثرية وعنيفة، ويصل الانفعال إلى اقصاه: «النصر، النصر!» يصرخ في النهاية. وقبل ذلك ليال كنت استمعت إلى «القيثارة الساحرة



ارنست لودفيك
كيرشنر
شارع المرأة الحمراء

برلين : ساحة الاسكندر جحيم برلين الثلاثينات

جون فرانسوا فوجيل

«شيكاجو، أوروبا. وبما أنها أصبحت عاصمة للألمان باسرها، فقد كانت على صلة يومية باهم العواصم الأوروبية: باريس وبودابست، وموسكو، ولندن. يقول «الفريد دولين»: «وان وصف مدينة كهذه، يبدو مشروعا صعب التحقيق. ولكن اتوصل الى النفاذ الى جزء من روحها، على ان اتصفص وثائق الاحصائيات، وان احصى اعداد المواليد والاموات، وأن أدرس حالة للعامل، وان انتبه الى اقلاس الاشخاص والمؤسسات، وان اتعرف على أوضاع المعاطلين عن العمل، وأن أطلع على مستشفيات الامراض النفسية، وعلى المساجىء الليلية، وعلى حدائق الاطفال...». غير ان كل هذه الصعوبات لم تنته «دولين» عن انهاء روايته التي أثارت حال ظهورها إعجابا شديدا لدى النقاد والقراء على حد السواء. ولا يمكن البتة الاستناد الى اجراء ازمة ١٩٢٩ الاقتصادية وحدها لتفسير نجاح هذه الرواية، بل لأن «دولين» تمكن كخلاق كبير من أن ينفذ الى اعماق المدينة وان ينقل لنا كوايسها وآلامها وتخاوفها بأسلوب ساعر وعنيف في نفس الوقت. وقد كتب «دولين» روايته دون بطل إيجابي، ودون تمجيد، ولكن بأسلوب حديث مكثه من ان يكون قريبا من سيلين ومن جويس في نفس الوقت.

لقد صوّرت رواية «برلين: ساحة الاسكندر» جحيم برلين بعد الحرب العالمية الاولى وقبل استيلاء هتلر على السلطة. ولذا فانها جاءت قائمة، ومفعمة باليأس والالم: «فالسفر بفرح... ان الحرب تنتظرنا». وفيها يلتقي المشبهون والبلغايا بالانثرايا والحونة. وكل ابطالها يمكنهم اوضاع اشخاص حقيقيين عاشوا جحيم برلين خلال تلك الفترة: «راينولد» الذي يلبس أحسن ما يملك من الثياب ليقابل النساء، «بلومر» الأكثر سمنة من الخنزير الأكثر سمنة، «فرانز» يباركوف» الذي يتردد في وضع يده الاصطناعية قبل الخروج. هؤلاء كانوا ابطال جحيم برلين خلال الثلاثينات.

في يوم ١٠ ايار ١٩٣٣، قام كاتب فاشل يدعى «غوبليس» (GOEBBLES) يحرق اعمال أربع وعشرين كاتبا وشاعرا ألمانيا أمام جامعة برلين من بينها اعمال «الفريد دولين» (A. DÖBLIN) الذي كان قد سارع بالهروب الى باريس وذلك عقب حرق «الرايشتاغ».

وقبل ان يجتاح الاعصار النازي ألمانيا بقليل، كان «الفريد دولين» قد نشر روايته الشهيرة: «برلين: ساحة الاسكندر» وذلك عام ١٩٢٩ اي عند انفجار الأزمة الاقتصادية الكبرى التي اجتاحت العالم الراسالي في ذلك الحين.

يقول الناقد «فرايم فريش» معلقا في آخرها عام ١٩٢٩ على ظهور هذه الرواية انه لا رواية من برلين مثلها بعد «فونتانا» (FONTANE) (كاتب ألماني عاش في الفترة الثانية من القرن التاسع عشر وكتب عدة روايات من برلين وأجوائها - المترجم). ويواصل هذا الناقد قائلاً ان رواية دولين ليست ملحمة برلين وحدها وانما هي ملحمة البؤساء، والمهشمين، والمشوهين. وقبل «دولين» كان تسودور فونتانا، قد جعل برلين في رواياته حاضرة باجوائها، وبشارعها، وبمطاعمها ومقاهيها. وفي الفترة التي عاش فيها هذا الكاتب، اي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت برلين لا تزال عاصمة اقليمية، ولم تكن قد أصبحت بعد عاصمة للامبراطورية البروسية، وبعد «تسودور فونتانا» لم تختفي برلين من الاعمال الادبية والفنية. فلقد كانت حاضرة بصفة خاصة في اعمال الفنانين التعبيريين. غير ان الرواية الوحيدة التي تحدثت عن برلين كمتربول حديث هي رائعة «الفريد دولين»: برلين ساحة الاسكندر.

ماذا كانت هذه المدينة في مطلع الثلاثينات؟ لقد كانت مركزاً ضخماً للمواصلات (٢٠ محطة كبرى و ١٠٠ صغرى) وكان عدد سكانها قد بلغ أربعة ملايين خلال أربعة عشر عاما فقط! وكان فيها ثلاثون ألف معمل، وثلاثة الاف فرع بنكي، وثلاث مائة ورشة ومثلا توقع مارك توين (M. TWAIN)، فان برلين كانت قد أصبحت منذ بداية القرن التاسع عشر







عائلة مشردة



يقول امام باب براندنبورغ - برلين ١٩٤٧

شعار النازية على الأرض في نهاية الحرب
العالمية الثانية. برلين، ماي، ١٩٤٥



كارل هوفر: احاطة بناء المهارات



برلين عاصمة العالم

جاك تبول

ذاكرة مثل تلك الشخصيات التي في أعلامهم.

في إحدى افلامه يسمي سيمباربارغ (SYBERBERG) الدمية التي تجسد شخصية هيتلر قائلا: ولقد حطمت برلين عليك ان تحب منازل دون ارواح، بعين خرقوة وبلا دموع، وبدنًا لم يعد بإمكانها ان تفكر، وحيلة لم تعد قادرة على التحرك. لقد سرقت منا غروب الشمس. وكل ما تبقى شوهته ودنسته: الشرف، الحياة الرغيفة، الوفاء، حب العمل، السينا، الوطن - الوطن الكبرياء والعقيدة شكراً لك على كل ما فعلت!.

برلين جرح لا يندمل. وثمة مدن أخرى ثوت وتتغفن غير انها تسعى بكل جهدها لاختفاء ذلك. وتخلل تجوالي عبر شوارع برلين كان يلاحقني بعنف شديد كل من الموت والحقد اللذين نشرتهما اورويبا في العالم بأسره منذ امد طويل، ووجهتهما ضد نفسها وضدنا نحن أيضاً.

وعقب ضمي شهر على زيارتي الاولى الى برلين، كانت أول ذكرى سجلتها في يوبياتي، هي الصورة الفرسية والجميلة لبحيرة وفانسي تحت شمس يوليو. وهي صورة تحمس الإنسان الى قضاء عطلة الصيف في برلين. صورة زرقاء وصفية وملينة بمئات الاشعة البيضاء. غير ان هناك تفاصيل أخرى لا يجب ان أنساها: على الضفة الأخرى من البحيرة، ثمة جنود بريطانيون يمشون في السباه آلة حربية ضخمة وسوداء. وبعيدا من هناك تخرج من السباه تلك اللافته المعتادة التي تنبه الناس الى ان هناك من يغادر برلين الغربية. انها السعادة المهدة دائما بإشارة الماسة.

إن نشوة العشرينيات ومرجعها اختفيا من هذه العاصمة المحاطة بالبحيرات والغالابات والحدائق. ثمة آثار أخرى بقيت: حين تتجول على طول (KURFÜRSTENDAMM) نكتشف بين واجهات المخازن الأشد أنيقة، الواجهة القديمة لهارة منارة وعلى جدرانها آثار رصاص. أمّا بأور النوافذ فحطم تماماً. وعلى باب الدخول سمرت ألواح خشبية. وهناك في المدينة عبارات كثيرة شبيهة بهذه. عبارات مهلة ومنارة تذكر أهوال الحرب والغارات الجوية. عبارات صامتة وكثيرة تنضح منها كوابيس أيام الفزع [...] .

يتصب الحائط بشعا فاصلا بين جزئي المدينة. ينظر الامان والبرلينيون الى بعضهم بعضا لئلا يدعوا كلمة ولقد أقيمت منصات هنا وهناك لكي يتمكنوا من ان ينظروا جيدا الى بعضهم

منذ خمس سنوات، زوت برلين لأول مرة. ومنذ ذلك الوقت وأنا أعود اليها ذاتي. في البداية كنت أذهب اليها بنفس الرغبة التي اذهب بها الى المدن الأوروبية الكبيرة بحثا عن الاختلاف بين الاماكن وبين العادات وبين العقليات عموماً أن اجابه الصورة التي في رأسي بصور وأصوات صاخبة لمدينة مذهلة ومعقدة ورمادية وشرسمة في آن واحد: برلين السنوات العشرين، برلين الحركة التعبيرية في الرسم والفن، والفيليان الثقافي والسياسي، برلين دوربلن وزالعه الشهيرة «برلين» ساحة الاسكندر، بعد الحدود، سائت سيارتي في طريق بكس باتجاه خط حدودي آخر. وبعد ذلك دخلت المدينة التي شغلت خيالي ذهني لفترة طويلة. برلين الكوزموبوليتية واللامعة انخفضت أوتكاد. انها اليوم مدينة أخرى يسكنها اجانب يرتدون ازياء عسكرية مختلفة. لقد صدمتني برلين، برلين للمدينة الجرحى في اليوم عاصمة للوجع والألم. وكل شيء فيها يدل على ان الجرح لما يزل مفتوحا وانه لن يندمل البتة. برلين، عاصمة هذا العالم المكتئب ذلك انها تبرز من خلال انقاضها، وجدارها القبيح، وجراحها الكبيرة ما تحصر مدن أخرى على اخفائها. ان برلين تجسد أكثر من غيرها، التمزق، والحقد، وكاذب الایدولوجيات، وجنون تاريخنا المعاصر. انها عاصمة لهذا العالم لانها تصير اروع تعبير عن أدهاب القوى التي تجابه بعضها بعضا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. أحيانا يتأثري إحساس بان العواصم الأوروبية مدن سوداء. سوداء من الارصفة ومن واجهات العبارات. انها مدن تختنق تحت تاريخها الطويل، بنيت فوق ماسي وجثث كثيرة. وفي كل واحدة منها حدثت محاولات للتجميل، والإصلاح، والترميم. وفي كل واحدة منها حاول الناس ان يكونوا سعداء بقدر الامكان وان يعيشوا اليوم. غير ان الموت كان يمدو دألياً. يهدو مع تنفس الاحجار الاسود. أمّا في برلين فليس هناك أي وهم: ان آثار الالم والحرب لا تزال واضحة. كما لا تزال واضحة أيضا الكوارث التي عرفتھا الانسانية خلال هذا القرن [...] . برلين مدينة التناقضات الكبيرة. انها المدينة التي تعكس أكثر من غيرها حالتنا كأوروبيين مضطربين وحيارى.

والبرلينيون مجبورون على ان تكون لهم ذاكرة قصيرة ذلك ان المدينة تفرض عليهم طول الوقت ان ينظروا الى آثار النازية. ان ذاكرتهم تقف عند هذا الحد لا تستطيع ان تغفل في الماضي البعيد وبرلين تكشف لنا بوضوح تام لماذا كتاب ألمانيا وسيناريوهما هم بلا

(KREUZBERG). على جدار مقبرة هذا الحي، وبالقرب من الباب الرئيسي كتب أحدهم: قاليحيا الموت LA VIVA MUERTA). على الرصيف يلعب أطفال أترك [...] .

وككاتب أنا جد حساس الأشياء التي أشاهدها وللمعاصري التي تولدها في نفسي. ولأذكر أنني ذات مرة فاجأت فتاة وشاباً يارسان الجنس واقفين ومستندين إلى الجدار. كان الشاب يستند إلى الجدار وكانت الفتاة تستند إليه مفتوحة الساقين. وغير بعيد عنها، قرأت على الجدار الأبيض (THIS WALL IS AN ILLUSION) (هذا الجدار وهم). وعلى بعد امتار من هناك جنديان، واحد إنكليزي والآخر أمريكي ينظران إلى الناحية الأخرى بواسطة المنظار. ثم أشعلا سيجارة يدهو كما لو أنها كانت يتأملان البحر. كان كل شيء هادئا في ذلك المكان المنعزل. وكل شيء كان مهذبا أيضاً. وهذا المشهد من مشاهد نهاية الظهيرة راح يفرق شيئاً فشيئاً في الصمت الخافت لكابوس لم يكن باستطاعتي إدراك نهايته. أوروبا حائراً ومشتت الذهن اكتشفت برلين. وأوروبا حائراً ومشتت الذهن أيضاً مشيت في شوارعها. أنا عاصمة مهزومة، أعيد بناؤها، واحتلت، وقسمت وهي تقول بنفث أنها اضاعت روحها وإن التهديد لم يخفني البتة وهي تبرز بوضوح ما تحاول مدن أخرى دفته واتخاذها.

بعضاً. ويخيل لنا أنهم ينتظرون. أهم ينتظرون. ونظراتهم تكون فضاء تلاحش فيه الذاكرة، ويضيع فيه الوعي، ويتمزق فيه الهوية. ألمانيا مقسمة، وشعب منفصل عن نفسه، وبرلين مجزأة. وفي برلين الغربية ثمة انفصامات أخرى بين السكان، واختلافات عميقة بين الأفراد.

بين (Brandenburger Tor) و (REICHSTAGSGEBÄUDE) الشهير يتصبب الحائط مدهونا باللون الأبيض. وعلى طول تبتت حشائش وحشيشة وطفيلية. كما تبتت شجيرات فوق انقراض السفارات القديمة، وترتعش اشجار مجنونة في الفضاءات الفارغة الواقعة حول (PHILHARMONIE) والمتحف الوطني. وبين هذين الاثنين الماهمين اللذين لم تمسحهما الحرب بسوء، هناك كنيسة صغيرة تقدم فيها أحيانا حفلات موسيقية. ذهبت إليها مرة. وفيها استمعت إلى «موتزارت». كانت هناك موسيقى تحت جناح تلك الكنيسة المنعزلة، وبحول ذلك الفضاء الذي أصبح فارغاً ومتوحشا. ويبدأ الحائط ثم أضواء برلين الشرقية. ليس هناك لحظة من لحظات السعادة لأجدها الموت أو الانفصال. هكذا عشت في برلين. ليس هناك مكان واحد لا تفاجئك فيه إشارة من إشارات أيام السرب التي تحدث أحيانا موجات من العنف والغضب خاصة في أوساط المراهقين والشباب في حي كرويزبيرغ



وشينيتال ميركت. أحد أسواق برلين

ذات يوم أحد في برلين الشرقية

ميشال دكوست

عام ١٩٣٨ وقصيف عام ١٩٤٤ . وقد أبقي على هذه الحالة تذكريا بالأم الشعب اليهودي . على بعد خطوتين ، عبارات تبديكيا لو انها قصفت لتتوها . وحلها الشجيرات التي نبتت في التجاويف تؤكد جرماً قديماً لما يندمل بعد .

قريباً من «ALEXANDERPLATZ» نلتقي اخيراً البرلينيين ثلاثة أطفال بشرات رياضية برتقالية نسبة الى الشبيبة الشيوعية يهرون حاملين رايات . فتاة صغيرة تحرك درجيتها على البلاط . عاتلة تتوقف طويلاً أمام مغارة : بطاطا ، كرنب ، بهل ، قصب السكر ، كرفس ، وإوجهة قريفة فقسية من قرى السهول الشالية . . . على بعد خمسين متراً من المغارة .

ساحة الاسكندر : فولاذ مصقول ، بلور ، بلاطات من المرمز والاسمنت ، مكتبات فنية ، واخرى للتاريخ والديانة ، فنافق كبيرة ، مقاهي مستقيمة وبلا ارضية الا في مائدر ، روائع المقاتن ، والدجاج المزوج بالفلفل ، وحساء الحمص . . . والسواح بطبيعة الحال . سواح من الصين واليابان وروسيا والمانيا الغربية . شعور بالقرف . أين هم السكان ؟ فارغة الممرات بين المغارات الحديثة . فارغة المقاهي الصغيرة في الساحة الكبيرة . فارغة المقاعد والحدائق الصغيرة في وسط المدينة . وعلى بساط البارات «الفخمة» يعطونك فطائر كبيرة محشوة بلحم الدجاج . وياه من لحم عجيباً . ومعها كأس كوكاكولا بدون قشاقيع . ولا ابتسامة . والكلام يتم بصوت منخفض . والطعام بارد وبلا طعم .

علينا عندئذ ان نغفر في أول قطار وان نجتاز غرب المدينة ، وان نترك ورايتنا أحصيا الاسمنت والاجصر ، ودخان المناطق الصناعية ، وان نأمل اشجار التوب الأولى ، وغابات البتول ، وان نتنظر عطلتين أو أكثر لكي نركب تراماً قديماً ، ذا مقاعد مزينة باتجاه «MOGGELSEE» .

البرلينيون هناك ، في الحانات المتوزعة على ضفاف البحيرة يشربون البيرة بنهم ، وينظرون الى المراكب الشراعية ، وإلى الجسادين ، وإلى المراكب البخارية التي تقوم بجولات حول البحيرة ، باعثة الفزع في مجموعات البط والتم . هم أيضاً حول قطع شطرنج ضخمة أوهم يهرون وراء أطفال يتسلقون حيوانات معدنية في الحديقة . وعند العودة نراهم متحلقين أمام واجهات مغازات السلع الالكترونية كيا في أيام اعياد المسيح .

ما يدهش في البداية هو صمت الشوارع ، خاصة في الساعة الحادية عشر من يوم الأحد ، وعندما تكون الشمس حارة ، وكل واحد يعلم انها عطلة نهاية الأسبوع الأخيرة في الصيف قبل الحريف الخفي والمبار ، والشتاء القاسي والبارد . السيارات الغليظة تتحرك صامتة في الشوارع . وهي ليست مجرة على ان تستعمل المنبه او ان تفرمل لأن المارة قليلون . وعندئذ نولد في انفسنا الرغبة في ان نلتمس أي ربح نعيش بعيداً عن الشوارع الخالية ، وان ندخل تحت الاروقة ، وإلى الحدائق ، والساحات الخلفية . . ثم فجأة ، نكتشف أننا بحثنا دوننا جدوى في الناحية الأخرى ، وهكذا نعود الى بطن برلين الشرقية على بعد خطوتين من السهم الاصفر ومن البلور اللامع لـ «ALEXANDERPLATZ» علينا ان نتمهل ، وان نسير في الشوارع ببطء ، وأن نصيد مثل القطط دون أن نظهر بأي حال من الاحوال اننا نبحث عن شيء ما . الحي اليهودي القديم حول «ORANIENBURGSTRASSE» يبدوكيا لوانه خرج لثوره من دخان الحرب : منازل لا تزال قائمة غير انها مسوقة ، جدران مقسومة بالرصاص ، ملاك صغير ورؤوس نساء مقطوعة أو دونها أنوف ، جراح أشد عمقاً خلفتها شظايا القنابل . غير ان كل شيء منتصب في مكانه . مغارة ومجال الاروقة المقسومة على الطريقة القوطية او المثلثة والمقامة منذ نهاية القرن الماضي تمجملنا تنخل دخول عربات الخيل الفاخرة ، حاملة حرقاءها إلى مدارج المرمز ذات القوائيس المصنوعة من الخشب النادر أو من الحديد ، والتي لا تزال فرياتها تعرض بلورها الجميل .

غير ان الآتي ينتهي عند هذا الحد ، اي عندما نجد أنفسنا أمام قاعة المتسائكين المكتوية باليد على ورقة مصفرة ، وأمام صناديق الزبالة الملقاة في الساحة إلى جانب ركام من الفحم ، وأمام الذاكرة المعلقة على باب الدخول : «اللاسيك يجمع كل أيام الاثنين ، الكلاب ممنوعة ، انسوا الاضواء ، لا يمكن لأي اجنبي أن يدخل إلى الساحة . . . التوافد مغلفة . نوافذ الساحة الداخلية أيضاً . لا صوت ترانزستور على الاطلاق . لا صوت يرتفع . حتى صخب العائلات العادي في صياحات الاحد معدوم تماماً . لا صوت مطبخ أو ماء يسيل . حي غريب ، فيه التاريخ أكثر حياة من الحياة نفسها . على جدار معبد يهودي ، أسود الجدران ، لافتة من النحاس مكتوب عليها : «هذا المعبد حرق ليلة الصفاء



ثلاثة أحلام برلينية

كلاوس شليسنجر (كاتب من ألمانيا الشرقية)

-١-

حولي : الآن أنا أبحت عن صديقي . وحل الانتظار محل الخوف .
لم يكن باستطاعتي العثور على البيت الذي يسكنه صديقي منذ
هروبه إلى المنطقة الغربية . شخص ما كنت رأيت ذات مرة جرتني
إلى سقفة وهمس في أذني ناصحاً أيدي بعدم مواصلة البحث لأنني
لن أتمكن من العثور على صديقي وحتى على أمه وطلبت منه أن يوضح لي ما
يقصد بنصيحته تلك فأجابني بصوت معسول : «لأنه يعمل في
مناخور» .

ولأنني لم أكن أتصور البتة شيئاً كهذا ، فاني اندهشت ورحبت
بالعن الراسيالية . وعندئذ تعرفت على الرجل الذي قدم لي
نصيحته الثمينة وتذكرت أنه كان سكرتيراً للحزب في العمل الذي
كنت اشتغل فيه . هل أواصل التباحث معه؟ غير أن الرجل كان قد
اختفى دون أن ينطق بكلمة .

ركبت الميترو متوجهاً إلى عملي . كنت أتصور أنه سيمر
بالمحطات التي تعود للبروديا . غير أنه وهو يقترب من المحطة
الآخيرة ، انتهت إلى أنه سيمر إلى الناحية الغربية تماماً مثلاً كان
يفعل في الماضي . ووصل الميترو إلى المحطة الحدودية . وصعد
مراقبو التذاكر وسروا بين المقاعد . جلست وتكشمت مذهوراً ،
ورحت أنظر من خلال بلور العربة الفلذ وكان الأمر لا يعنيني . غير
أن قلبي كان يندب بعنف إلى درجة أني تصورت أن كل الذين كانوا
حولي سمعوا دقاته . إذا ما طلب مني مراقب ما أوداني وتذكرتي ،
فليس إمامي سوى حل واحد وهو أن أنهض وأتبعه . ليس لدي أية
وثيقة لتحول لي اجتياز الحدود . لست أدرى العقاب الذي ينتظرني ،
غير أني أعلم أنه سيطيح بحياتي بأكملها . وفي لحظة ما ، تحرك
الميترو . خف المي قليلاً ، وبدأت أدخل فضاء يملأ ضوه بارد
وقوي . نزلت في محطة حديقة الحيوانات . لم انتبه إلى أي شيء من



ساحة الاسكندر في برلين
الشرقية وتندو فيها
ساعة العالم الشهيرة

-٣-

ذات صباح، صعدت الى غزن بيتنا ولما فتحت كوة النافذة التي تفتح على السقف، وجدت مدينة فوق المدينة. وظهر أناس من وراء الحواجز وراحو يتقدمون متي مائنين الى أيديهم. وثمة رجل عجوز ضخم الجثة اخذني من كتفي وساربي في طرقات شبيهة بالازقة.

نحن نعيش هنا، قال، وأشار الى أناس يلبسون ثيابا بائسة، غير أنهم كانوا يبدون سعداء. وكانوا يشيرون اليّ داعيني الى شيء ما.

اقتربت من حافة السقف لكي أنظر الى الأرض غير أن الرجل الذي كان يرافقني جذبني الى الخلف وهو يصرخ: هل تريد أن يكتشفوك؟

صديقي مارتن كان مستنداً الى المدخنة. ضربت يدي فوق رأسي وصريحت: ماذا تفعل هنا؟ كنت اعتقد أنك في الناحية الأخرى! حرك رأسه وقال مبتسماً: كلهم يعتقدون ذلك!

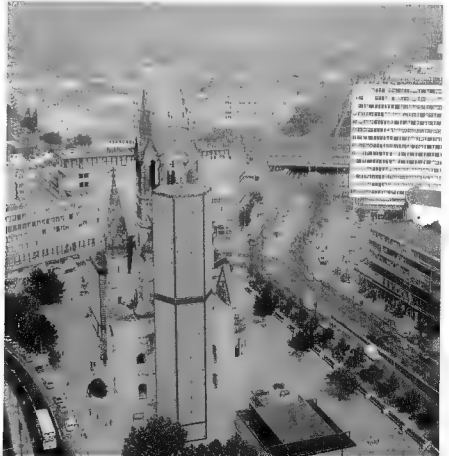
أحمر وجهي لما شعرت أنه لا يثق بي وإني بالنسبة اليه مثل الآخرين تماماً. قلت: لو كنت أعرف لكنك ذهبت معك! حرك رأسه من جديد وقال: هنا لا يأتي إلا الذين لم يعد بإمكانهم تحمل الحياة هناك في الأسفل، وإلى حد الآن أنت لم تصل الى مثل هذا الوضع.

واندثرت عندئذ انه عليّ ان اصل حالاً الى مثل ذلك الوضع.

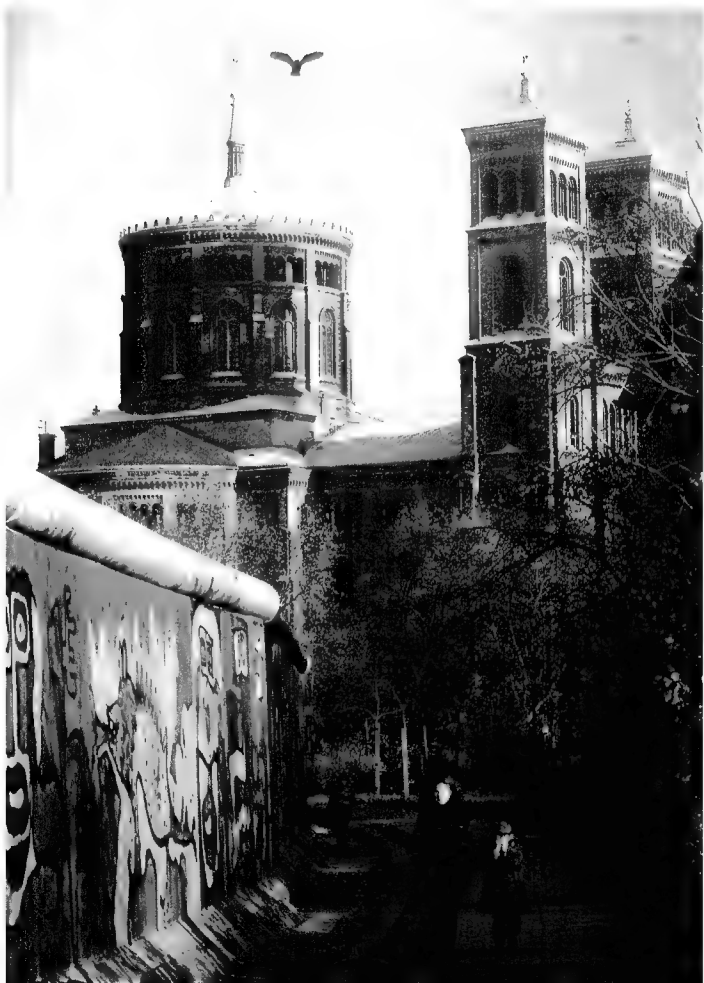
واشدد خوفي. لست أدري كيف أعود لاني لا أملك عملة المنطقة الغربية. وإذا ما عثرت على صديقي فإنه سيدفع لي ثمن تذكرة الاياب، غير اني كنت يائساً من العثور عليه. وداخني ذلك الشعور القديم يوم ضيعتني أمي في إحدى المغازات الكبيرة.

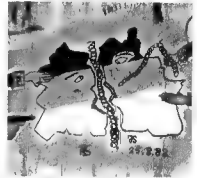
-٣-

كنت في الطابق الثاني لمنزل ما وكنت أنظر من خلال النافذة الى الشارع الذي ولدت فيه. وبعبداً هناك شاهدت اللون الأزرق الساحب لمحطة من محطات شال. كان الصمت عميقاً. ويبدو مهبطاً أكثر عما هو مطمئن. وبالفعل، بعد وقت قصير، سمعت طائرات تحلق فوق الشارع الذي ولدت فيه. وبالرغم من سرعتها الحارقة ومن أنها كانت تظهر على مرتفع منخفض للغاية حتى أنه خيل الى أنها تلامس الشرفات الرمادية للطوابق العليا فإنه كان باستطاعتي ان أسمعها. كانت خمس طائرات. وكانت شبيهة بطيور الخفاف. وفجأة تداخلت الطائرات الخمسة وانفجرت بين المصارات. وهما الشارع الذي فيه ولدت يجترق. ومدعورا، وضعت يدي في جيوب سترتي وعندئذ انتهت الى أني نسيت سجناري في المكتب. نظرت الى المنزل الذي ولدت فيه وهو ينهار وأدركت أن الحرب بدأت من جديد.



كنيسة برلين الغربية
وجادة والكودام.





شاك بوات شارلي : نقطة حيور
بين المدينتين - نورين الشرقية
ونورين الغربية



رسم على جدار برلين.

اسمها يرّن كما الجرس

فلاديمير نابوكوف

موعد الأكل) ويندفع القطار تحت جسر ضخم تزخره قطع صدفية. ويمهدا: وسط ضباب سمحي، بطاقة برديّة أخرى تلوح حول دعائمها مبرزة برجاً شقائياً وسط خلفيّة سوداء. ثم تختفي فجأة، ووسط مغارة كبيرة يتدفق فيها النورين دمي مذهبة، ومرابيا صافية ومبسط بلورية، كان «فرانز» يروح ويحيى مرتدبا جاكته، وينطلقنا مضطجعا، وسداه أبيض، وبشارة ودية من يده كان يوجه الحرفاء الى الرفوف التي يرغبون في رؤيتها.

برلين! في الاسم نفسه العاصمة التي لا تزال مجهولة لديه، في نقل وهدير الجزء الأول من الكلمة، وفي خفة الجزء الثاني منها، كان هناك شيء ما يشير غمغمة ثمناً مثلي هو العربا نسبة للاسما الرومانطيقية للخمر الجيدة والنساء الفاسدات. كان يحيل اليه ان القطار السريع ويحبل السير الان في الجادة الشهيرة، المحاطة، كما يتصور بأشجار زيزفون ضخمة يعود القفل في وفرة اوراقها الى اسم الجادة الرنان. وتحت اشجار الزيزفون كانت تتحرك جموع متلاثة (وكان ناقوس نادل المطعم يرّن داعيا الحرفاء المتأخرين عن

المدينة التي لا تبرا من عللها

غوتتر فراس

مواضيع كتبي حتى ولو انها بدت بعيدة وغريبة عن أجواء برلين، فانها تنتمي اليها. فلقد ولدت هناك. وهناك تم تنظيمها والتفكير في عناصرها وأفكارها. ان هذه المدينة تمثل دائما نقطة بداية هروب خيالي الى عوالم بعيدة وغريبة.

وعلى كل، فان برلين مكان جد مثير. وكل الذين يريدون امتلاكه بسرعة، يجدونه مثيرا. ان الاحكام المتسرعة الشبيهة بـ «برلين مريضة، برلين مختنرة، برلين ممتلئة» لا يمكنها البتة ان تسبب اي اذى لهذه المدينة المدمومة، ذلك ان أمراضها هي في نفس الوقت بنابيع حيويتها ثم ان الموت والتلف يطبعان فنتها الهشة. اني اتكلم عن المدينة بأكملها حتى وان كان الجدار، العاري والشرس، يحاول ان يقنع الناظر اليه بأنه مقام الى وقت طويل. غير انه مع ذلك لا يستطيع ان يمنعنا من ان نرى ان نصفي المدينة يعيش كل واحد منها باتجاه الآخر.

خلال السبعينات، كنت من ضمن عدد قليل من الكتاب الذين تعودوا في ذلك الوقت على تنظيم لقاءاتهم في برلين الشرقية، دون حضور الجمهور، وذلك لتبادل الآراء وقراءة فصول

عندما قرّرت عام ١٩٥٣ الانتقال من المانيا الغربية إلى برلين، لم يكن في نيتي فقط البحث لنفسي وأنا النحات عن إستاند قدير وهو «كارل هوتونغ»، وإنما كان قرارى يستند أساسا إلى مبدأ: لقد كنت أريد أن أدير ظهري إلى المعجزة الاقتصادية التي انفجرت فجأت في المانيا الغربية. وبرغم كل التحولات الاقتصادية والسياسية التي حدثت، فإن حكمي على برلين في تلك الفترة ظل هو نفسه إلى حدّ هذا الوقت. ان هذه المدينة تعني بالنسبة لي المدينة التي ترفض ان تبرا من عللها. انها الجرح المفتوح باستمرار ذلك انها تبرز كل التضخمات التي عرفها التاريخ الالمانى. ويغيب لي ان كل الازمات ذات الأبعاد العالمية، والتي يجربنا تنوعها ويظللنا، متمركزة في برلين، وكما لو ان هذه المدينة تريد أن تظهر لنا انها مثالية من خلال تراكم المشاكل.

وربما تكون هذه العبارة وهذه الوقاحة اللتان تبرزها برلين جراحها والتشوهات التي حدثت لها هما اللتان تبهزان الفنان وتشدائنه اليها. لحيانا اكون بحاجة إلى مسافة ما. ويطوح بي الاندفاع والحساس الى عوالم أخرى. غير انى سرعانا ان أتبه الى ان

عليه الصّناعة الادبية التي تنشط بحسوبة كبيرة حتى في غياب الكتاب والمبدعين.

إن الكتب التي تظهر في برلين تحمل جراح ونُدوب مدينة تعرّجت على الالم. ومثل كل الاماكن التي يجع اليها الناس، فان برلين مكان ملائم للمبالات المستيرية. وهي الوحيدة التي تجعلنا نأمل في حدوث معجزة ما. ولو لم تكن برلين مرجودة، لكننا اخترعناها.

أوفقرت من اعصاهم الجديدة. وأنا اندهش شديد الاندهاش عندما أدرك الآن ان تلك القواعد التي استمرت أكثر من أربع سنوات ولا تزال الى حد هذا الوقت تؤثر بيطريقها الخاصة، لم تكتشف من طرف احد ماعدا أجهزة الأمن بطبيعة الحال، وظلت طول الوقت غفية عن فضول الجمهور. وهذا دليل قاطع على ان الحياة الادبية في برلين تنشط في فضاءين متضلين ومختلفين أيضاً. فضاء ينتج فيه المبدعون والفنانون في صمت ووحدة. وآخر يسيطر

حين تحط الطائرة في مطار برلين

بيتر شنيدر

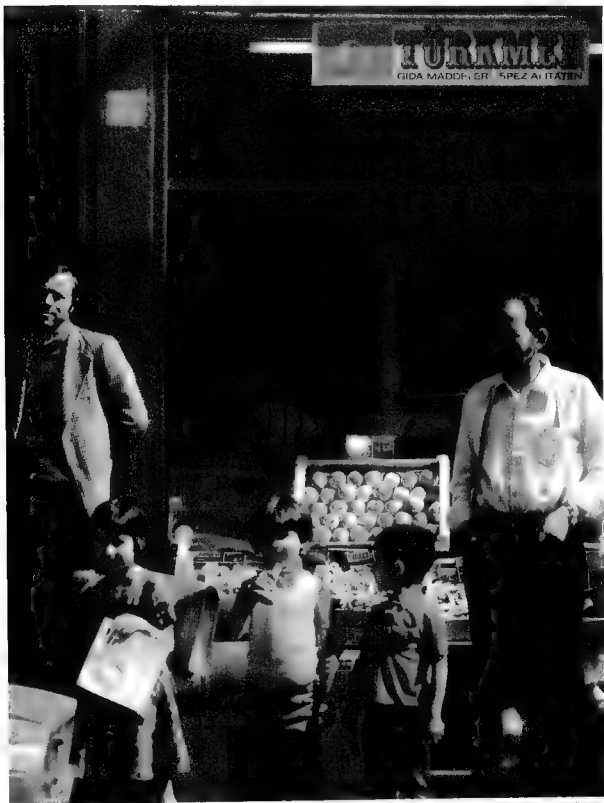
وتبدو المنازل الجديدة في ضواحي المدينة كما لو انها لم تبين من اسفل الى تحت. انها شبيهة بكتل من الاسمنت اسقطتها هيلوكوبترات امريكية اوسوفياتية. وعندما تبدأ الطائرة في الهبوط لا يتمكن الزائر الغريب من التفرق بين نصفي المدينة. وإذا ما تأمل المناظر الطبيعية المحيطة بالمدينة، فانه لا يرى اي لون سياسي لها. بل ان كل شيء، المباني الادارية، وعطلة التلفزيون، وقاعة المؤتمرات، وحديقة الحيوانات، والملاعب الرياضي، والفندق الرئيسي للمدينة، وغير ذلك من الاشياء، تعطي للزائر الغريب دليلا على انه يقترب من مدينة موحدة ولاتعاني من أي تقاسم ولا من أي صراع.

وبين كل هذه الزوايا المستقيمة، يبدو الجدار كما لو انه وحش صاغره خيال فوضوي. ومضاء بشمس الظهيرة، وبالكشافات ليلاً، يلوح كما لو انه عمل معماري في ولبس خطأ حدودياً.

وعندما يكون الطقس جميلاً، يمكن للمسافر ان يشاهد ظل الطائرة وهو يتسرب من هذا النصف الى ذاك ويظل الأمر هكذا حتى تلاصق الطائرة الأرض. وعندئذ يتنبه المسافر الى ان الظل هو وحده القادر على ان يتحرك بحرية بين شرطي المدينة وتبدوله الطائرة عندئذ كما انها وسيلة من وسائل النقل التي تمّهلها انبشائين والتي خرج منها مسافرون صفار وغير مبالين بطريقة مضحكة لكي يزوروا مدينة مر عليها منذ أمس فقط الف عام

طقس برلين يُبهِم عليه دالها الرياح الغربية. والمسافر الذي يأتي بالطائرة له ما يكفي من الوقت لكي يتأمل المدينة من فوق. وقيل ان تحط الطائرة القادمة من الغرب، يجب عليها ان تحتاز المدينة ثلاث مرات. وهي تطير في البداية باتجاه الشرق، وعندئذ يمكنها ان تصل الى سماء برلين الغربية. وبعد ذلك ترسم خطاً منحنيًا وعرضيًا باتجاه اليسار وتقر فوق الناحية الشرقية من المدينة. ومن جديد، وهي قادمة من الشرق، تمر للدمرة الثالثة فوق المدينة وفوق الحائط الذي يفصل نصفها. وتبدو المدينة من الطائرة كما لو انها مدينة واحدة. وإذا لم يكن للمسافر عارفاً بالامساكن، فانه لا يتصور البتة انه يقترب من منطقة تتجاهل فيها قارتان.

وما بلغت الانتباه بقوة هو هذا النظام الخطي، وهذه الزاوية المستقيمة حيث لا يوجد أي خط منحني. وفي وسط المدينة يمكننا ان نلاحظ ان كل العمارات السكنية مبنية كما لو انها قلاع. واغلبها تبدو كما لو انها مربعات ضخمة في وسطها مساحة داخلية تنصب فيها شجرة كستناء. وعندما تتحرك اغصان هذه الشجرة قليلاً، يمكن للناس في العارة ان يدرّك ان هناك عاصفة وان قوة الريح هي بين الست والثمانية عقد. ويلغة البرلينيين، تسمى العمارات المذكورة كنكات للسكن. وهذا التعبير يفسد جيّداً الطريقة التي صمّم بها المعمار يون تلك العمارات. أما انتصاب المدن ان فانه يذكر بلك القطع البلورية التي توضع فوق جذران الساحات الداخلية لقطع الطريق على القفط وعلى اطفال الجيران.



معارزة تركية في حي «كرويسبرغ»



بحثا عن محمد علي الحامي^(١) في برلين

حسونة المصباحي

أخرى لرجال افذاذ وماتوا شهداء من أجل حرية وطننا، هكذا كان يقول لنا معلمو الابتدائية. أتذكر قرينته «الحامّة» هناك قرب قابس. وأحات نخيل، عيون ماء ساخنة يأنيها المصابون بالروماتيزم. ذئباب. غبار وقلق تكاد تسمع صريره وهو يأكل الوقت. نساء سمراوات في ملاءات سوء يطلن من خلف الابواب بين وقت وآخر. شيوخ جالسون أمام الدكاكين أو في ساحة السوق. احمره وبغال مشدودة الى أعملة خشبية. وغير بعيد من هناك تمتد الصحراء موحشة وفارغة. أمضيت ساعات طويلة وأنا أبحث عن أثر له. غير أنني لم أعرسوى على صورة له مغيرة ومناكلة الاطراف، معلقة في مكتب اتحاد النقابات هناك. سألت شيرينا عنه فقالوا لي أنهم يعرفون بعض أفراد عائلته، أما هو فلا يعلمون عنه شيئا. الخ في استلقي غير أنهم يزيدون اغلا في الصمت. أبتعد. الولد الأسمر النحيل ياتلق من قرنته البائسة والمزعولة قبل ان يدرك من المراهقة. التحق بأخيه الأكبر الذي كان يعيش في العاصمة ليكسب قوته كما هي عادة أغلب أبناء «الحامّة». وحوال وصوله اشتغل خادما في بيت القنصل النمساوي. وربما يكون قد اكتشف هناك وهو يتأمل سيدات ورجال أوروبا المتعددة أنه عليه ان يوهل بعيدا في المغامرة لفهم تلك الفكرة التي استحوذت عليه وهو لا يزال في سن الشباب المبكر: كيف تتحرر الشعوب وكيف تتطور الأمم؟ نفس الفكرة التي كانت شغلت المصلح التونسي الكبير الوزير خير الدين باشا التونسي والتي عالجها في كتابه «أقدم المسالك في تحرير الممالك». غير أنه مضى دون ان يتمكن من تحقيق حتى القليل مما كان يدعو إليه. وتقول الاخبار أنه رحل من تونس يائسا، وأنه لما ركب الباخرة التي نقلته الى الاسنانة، سقط طربوشه فقال كلمته الشهيرة: «هذه البلاد سوف تأكل أعرأبائنا!». ولم يكن محمد علي في مقام الوزير خير الدين. كما انه لم يكن مطلعاً مثله على أساليب التمرد وعلى أسرار الحكم. بل انه كان ريفياً عديم التجربة، غير أنه كان يتمتع بفضة ساعدته على التنصت الى حركة المجتمع، وعلى السعي الى فهم ما كان يدور حوله من أحداث. وهذا ما دفعه وهو الخادم البسيط في بيت القنصل النمساوي الى الانتماء بالحركات الوطنية وسانتالطيات الاصلاحية التي كانت تنشط في تلك الفترة. كانت تونس خلال بدايات القرن تعيش بفضة على جميع المستويات.

بدايات الحريف الشالي: الأشجار تنمرى ببطء. الأوراق الصفراء والسّمراء تغطي الأرض والأرصعة. رياح خفيفة تداعب هامات الغابات المذهبة. نهر «السيري» يتدفق هادئا ومتعبا. لا شيء على ضفتيه غير عجاتل وشيوخ يتمتعون بجبال الحريف، ويسدده شمس تظهر حيناً، وتختفي حيناً آخر وراء كتل من السّحب المتفرقة. يدخل البياض البرتقالي ذو الطباشير جادة «الكودام» الشهيرة، ويسير متمهلا بين أشجار الزيزفون. برلين آه برلين! يرن اسمها في أذني كيانايس الأطفال أيام الأعياد، ثم تلج جسدي نغماً مفعماً بأحاسيس ومشاعر غريبة. طويلا ترددت قبل ان أقرر زيارتها، وذلك بالرغم من اني أقيم غير بعيد عنها منذ أكثر من عامين. ثمة شيء كان يحول بيني وبينها. ودأبا كنت أحس أنه علي ان أستعد استعدادا خاصا قبل ان ادخلها. بعض الاصدقاء في ميونيخ كانوا يقولون لي: «لا تذهب الى برلين!» وعندما أسألهم عن السبب كانوا يتسّمون ويقولون لي: اذا ذهبت الى برلين فلن تعود منها. انها مدينة فائنة ومجنونة تستبد بعشاق الليل امثالك! وكنت أدرك جيداً معنى ما يقولون. ولذا فاني حين بدأت أهوى رحلتي إليها، شعرت أني سأذهب الى مدينة تختلف عن كل ما رايت من المدن الأوروبية. مدينة تحمل جراح التاريخ الألماني والأوروبي في آن، ولاكسراً من علمها على حدّ تعبير الكاتب الألماني غونتر غراس. مدينة تتجسد فيها أخطر الصراعات وأعنف التناقضات التي يشهدها هذا العصر. مدينة الجنون والفاستازيا ولحب والحقد على حدّ السّواء. وسدوم القرن العشرين، أوه الفساجرة الكبيرة كما يسميها كلاروس مان ابن الكاتب الشهير توماس مان.

أدخل برلين بحثاً عن أرواح وهموم غربة قديمة. غربة مثقف من قرية باسقة في الجنوب التونسي قادته الدروب الى برلين في نهايات الحرب العالمية الاولى. ولست أدري لماذا اتجه الى هناك في فترة كان فيها أغلب المثقفين المغاربة والعرب يتجهون صوب باريس ولندن وأمريكا. ولن أبحث في هذا الأمر ذلك اني أعلم ان رحلات الفاسيين الكبار لا تنطق لها ولا نفس. انها التي الرائع والشامل. هكذا كانت رحلات اوليس، والسندباد، وابن بطوطة، وماجلان، وكريستوف كولومبس وغيرهم كثيرون. اسمه محمد علي الحامي. اسم حفظناه ونحن صبيان مع الشيد الوطني ومع اساء

طرابلس انه لابد أن يفعل شيئاً ما لذلك الوطن الذي تركه خلفه. ثم شوهد محمد علي عام ١٩١٢ في اسطنبول التي أقام فيها حتى نهايات الحرب العالمية الأولى. كيف عاش هناك؟ الأخير بشأن هذا الموضوع مضطربة إلى حد كبير. البعض يقول انه التحق بالجيش العثماني وعاش متنقلاً بين الكتل العسكرية. والبعض الآخر يقول أنه كان السائق الخاص لأورويشاً وزير الحربية في الحكومة الثلاثية لحرب الاتحاد والترقي (طلعت - أنور - جمال). وآخرون يشيرون أنه ساهم مع رجالات تونس المهاجرين والمنفيين في التعريف بالقضية الوطنية التونسية، وفي كشف جرائم السلطات الاستعمارية الفرنسية في كل من تونس والجزائر والمغرب. لكن المهم هو أن محمد علي عاش في اسطنبول في فترة كانت تشهد أحداثاً تاريخية لم يسبق لها مثيل: امبراطورية «الرجل المريض»

المصلح الكبير محمد عبده يزور تونس ويلقي محاضرات في النوادي الثقافية يكون لها تأثير كبير على النخبة التونسية. طلبة جامع الزيتونة يتظاهرون في ربيع ١٩١٠ مطالبين بتجديد أساليب الدراسة وبإدخال العلوم الحديثة إلى مناهج التدريس. جماعة وتونس الفتاة بقيادة زعيمهم المستر علي باش جابيه يؤسسون النوادي الثقافية في العاصمة، ويخطبون في التجمعات الطلابية محرضين على الاستنارة وعلى ضرورة الاستفادة من التمدن الأوروبي. مظاهرات صاخبة عام ١٩١١ هذ التجنيس وضد أساليب التفرقة التي كانت تنتهجها السلطات الاستعمارية الفرنسية بين العال الأوروبيين والعال التونسيين وتلك القضية الشعبية التي كان يرددها الناس (٢):

أخدمك ونحزم بشرط حل الصّرة تلقى خيط



فريد بياصين



غورفريد بي

تحتضر، والقوى الامبريالية الكبيرة تتحارب بصرارة لتتقاسم النفوذ في العالم، والعالم العربي الاسلامي ينهض ببطء ويستعد لدخول مرحلة جديدة في تاريخه. ومن الاكيد ان ذلك الشاب النحيل أدرك بفطنته الرفيعة ان آخر الامبراطوريات الاسلامية تتدفع نحو الهاوية، وأنه عليه ان يرحل باتجاه أوروبا ليزداد ادراكاً وعياً بمعنى مكان يدور حوله. وهكذا دخل برلين ونار الحرب لما تزلز مشتتلة، بينا في بلاد القيصرية المترامية الأطراف ارتفعت الاعلام الحمراء، وأعلن البلاشفة عن تكوين أول جمهورية وللعالم والفلاحين.

برلين! انصوّره بدخلها في بدايات شتاء بارد، بعد رحلة طويلة قطع خلالها بلاد البلقان. آثار وروائح الحرب في كل مكان. شوارع يتكدس فيها العاطلون والمشوهون والأرامل والأطفال والمهاجرون والجنود المهزومون العائدون من جبهات القتال. يمشي فيها مرتبكاً كعادته كل الرقيقين في المدن المنكبة. وتبدلوه برلين في البداية شبيهة ب «لكنة عسكرية باردة وشعبة»

أخدمك حتى لئن غوت يأساب اله: تنال القسوت ثم يهاجم الطليان ليبيا، فيتدفق المتطوّعون التونسيون لمناصرة انصرهم هناك. وتزفر نساء الجنوب السمراوات وهن يسمعن طلقات الدخابج (٣) في جبال عرابطة (٤) الجرداء. وبمضي رجال إلى الموت منشدين:

خسه اللّى حقوا بالبرّة ملّك الموت يراحي

لحقوا مؤلي الحركة المرّة المشهور الدخابجي (٥)

ويترك محمد علي بيت القفصل النمساوي، ويرحل عبر الصحراء إلى طرابلس. هل قاتل هناك؟ لا أحد يدري. هل كانت مهمته تقتصر على الاتصال ببعض زعماء المقاومة؟ لا أحد يدري أيضاً. انها المحطات الأولى في طريق المقاومة الطويلة والشاقة. ومن الاكيد ان محمد علي لما خرج من تونس، كان ملزماً بأشياء كثيرة، وكان ملزماً أخلاقاً جيداً على الأحداث السياسية. بل انه ربّما شعر وهو يشق صحراء الجنوب باتجاه

ما أروع الحرف في المدن التي نحب! اجلس على مقعد خشبي في إحدى الساحات الصغيرة، وأنقل محمد علي الحامي يأتي الي في معظمه الرمادي الطويل ويحتضني. ثم يأخذني عبر الشوارع التي سار فيها، والساكن التي تردد عليها، والمقاهي التي جلس فيها، ويحدثني عن همومه، وعن أفكاره وعن النساء اللاتي دقن فرائشه، فرائش المغرب، وعن الرجال الذين تقاسم معهم الأم الغريبة ومصاعبها. انتظر. لكن لا تشيء غير صورته المغربة والمتأكلة التي رأيته معلقة في مكتب اتحاد النقابات هناك في قريته البعيدة. انظر حولي فانتبه الي أني جالس في ساحة تحمل اسم الرسام الشهير «غيورغ غورس» الذي رسم الحياة اليومية لبرلين العشرينات. اعاد السير، ونيته خيالي في عوالم تلك المرحلة الرائعة من تاريخ برلين.



محمد علي الحامي في شقة في برلين

ابتداء من عام ١٩١٠، بدأت برلين تشهد نشاطاً ثقافياً وفنياً لا مثيل له. وكل ذلك كان يدور في الكاباريات وفي مقاهي عديدة أشهرها مقهى «Caté Größenwahn» أي مقهى «هذيان العظمة» نظراً للمشاريع المجنونة وللأحلام الفنية والأدبية التي ولدت فيها. وكثرت فيهمها بوهيميون، ومغاسيون ورسامون، ومثاقون، وشعراء. وفيها ولدت الحركة «التعبيرية» الشهيرة. غير أن هذا النشاط الفني والثقافي الراجع سرعان ما توقف خلال سنوات الحرب، وأنه بالاحرى ظل يتسوق في المتعة، وفي الشوارع الخلفية لمدينة برلين بعيداً عن دوي المدافع، وعن غطسة الجبرالات البروسيين القساة. وما أن خمدت نيران الحرب، حتى عاد أولئك البوهيميون والفنانون والشعراء الى ممارسة «هذيانهم» في المقاهي والكاباريات غير مباليين بشيء. ولأن برلين تتمتع بقدرته على التحدي لا تتمتع بها مدينة أوروبية أخرى، فانها سرعان ما نسيت فواجع الحرب والألماء، وازتمت نهمة وعطشى في بحر اللذات. وفي فترة قصيرة،

ويبدو له البروسيون بفطرستهم وكما لو أن كل واحد منهم قد ابتلع الحرافة التي أشبع بها ضرباً ذات مرة». وسرعان ما تقوح رائحة الهزيمة في كل مكان. ويتهاوى الحلم البروسي ملثماً يتهاوى فجأة الحصان الجامع. وها الفتى النحيل يسير في شوارع برلين ملثماً بمعطف سميك، متنبها الى ما يدور حوله، مصعباً الى انات ضحايا الحرب، مدركاً أن مغامرته التي بدأت منذ سنوات أخذت منمرجساً جديداً وهو هناك في قلب أوروبا المتحددة والقوية. ووسط ذلك الجبر القاتم، تشن تلك المناضلة الاشتراكية العرجاء التي تسمى روزا لكسمبورغ معركة عنيفة ضد البورجوازيين وضد جنرالات الحرب البروسيين. وتؤسس حركة «السيانزاكوس» وتدعو من خلالها الى ضرورة إقامة «جمهورية العمال». غير أن أعدائها لا يهولونها. وذات ليلة يدهام الجنود البيت الذي كانت تحتفي فيه، ويأخذونها صلبة رفيقها «كارل لينخت» الى «فندق عدن» الفاخر. وهناك يتكلمان بها على مرأى وسماع من «الزلاء» وهم في بدلات السموكينغ الانيقة. ويعد ذلك يفجرون رأس كارل لينخت، ويسجلون روزا لكسمبورغ ويسحبونها على الأرض وهي نصف ميتة. ودخل عربة عسكرية يفجرون رأسها برصاصه ثم يلقون بجثتها في نهر «السيبري». هل تعرف محمد علي الحامي على روزا لكسمبورغ قبل قتلها؟ البعض يشيع ذلك. غير أنه ليس هناك أي دليل مقنع بخصوص هذا الموضوع. ومع ذلك فإن الثابت هو أن محمد علي الحامي تابع اهتمام ما حدث لقادة حركة «السيانزاكوس»، وربما يكون قد تأثر بشيء من أفكارهم. وهو ما ستؤكد الأحداث فيما بعد. ومن الثابت أيضاً أنه كان على اتصال بالحرركات السياسية والنقابية، وبمناضلين اشتراكيين وديمقراطيين، وبمهاجرين مثله. كما أنه كان يتردد باستمرار على «النادي الشرقي» ببرلين الذي كان يرأسه المناضل العربي الكبير شكيب ارسلان. ومع ذلك تبقى المعلومات قليلة بخصوص السنة أعوام التي أقامها محمد علي الحامي في برلين. والذين لازمه أثر عودته الى تونس وخاصة صديقه وابن قريته المصلح الطاهر الخداد (١) لا يقولون شيئاً كثيراً بخصوص هذه المسألة. غير أنهم يؤكدون أنه حصل هناك على شهادة دكتوراة في الاقتصاد. هل هذا صحيح؟ الغموض يحيط بالثي الجنوبي حتى النهاية. والواضح أنه انتسب فعلاً الى جامعة «هامبولت» الحرة في برلين، ورئيس هذه الجامعة المذكورة يقول في وثيقة الحرة في برلين، ورئيس علي الحامي صدر عام ١٩٨٥ (٢) أنه «لا توجد شهادة علمية تحمل اسم الشخص المعني بالأمر. إلا أن أوراق الارتشيف تؤكد أن محمد علي الحامي كان مرسماً بأكاديمية الفلسفة (فرع الاقتصاد) وأنه وقع فسخ ترسيمه لعدد متباينته، ومع ذلك فإن كل شيء يشير الى أن الفترة التي عاشها محمد علي الحامي في برلين كانت من أخصب فترات حياته، إذ أنه تعلم خلالها أشياء كثيرة. واحتك بالناس، وزداد معرفة بالبحر والتاريخ، وأيضاً بأحوال الأمم والشعوب. الساسة الشائكة ظهروا. أمشي في جادة «الكودام» مستمتعا بالهواء البريلي المليل، وبخشخشة الأوراق المنيعة تحت الاقدام. أه

في الساعة العاشرة ليلاً أركب الباص رقم ٢٩ وأتوجه إلى حي «كرويتسبارغ». انزل في إحدى الساحات. لا أحد غير بعض السكرى، أكنس على مهل. الشوارع فارغة وتكاد يصترضي رجل ضخم يدب قتيلاً ويسعل في كل خطوة تقريباً. أسأله عن أهم الأماكن في الحي، فيجيبني دون أن يلتفت إلى «أذهب في أي اتجاه وسوف تجدنا» أميرلدة عشرين دقيقة، وأجد نفسي في شارع به مطاعم ومقاهي كثيرة. أدخل واحدة أسماها مقهى «القاهرة». أجلس هناك أكثر من نصف ساعة، ثم أسأل النادل اللبناني عن سبب فراق الحامي فيقول لي مبنساً «لقد أتته مبكراً». إذا أردت الاستمتاع بأجوائه الجميلة فتعال إلىه عند منتصف الليل أربعه بقليله أركب الباص ٢٩ من جديد، وأعود إلى الفندق. أحاول أن أنام. غيراني لا أستطيع برغم التعب: أقلب صفحاً وأوراقاً. أطفئ النور انتظر. لا يأتي النوم. أخرج إلى المنيشن من جديد. آفأ أمام قاعة سينما. فيلم «اللامرئشون» بطول «روبرت دي بيري» و«شين كوني». لا أتردد في الدخول. الفيلم جميل ومويزوي قصة المانيا الإيطالية. لا شيكاغو خلال الثلاثينات. ويصفق الجمهور أكثر من مرة أصحابا ببعض اللقطات حتى أني تخيلت نفسي في قاعة «ستوديو ٣٨» في جادة الحبيب بوقيه بالعاصمة التونسية (قاعة تعرض أفلام الموسارن والكاريي. وللخفامرات البوليسية). بعد أن ينتهي الفيلم، أكنس في جادة «الكودام» وأجد مدحاً كإني الخاصة ظهراً في ربيع عام ١٩٢٤، يترك محمد علي الحامي برلين تعيش عولمها الوردية، غير مبالية بما كان يترصدنا من فواجع وإخاطر، ويعود إلى الوطن بعد ثلاثة عشرة سنة من الغياب. ومن المؤكد أنه شعر بضرورة ذلك خاصة وأن التجارب والمحن التي عولها أثناء سنوات الترحال والأغتراب تخول له أن يشرح في إنجاز ما كان وعد به وطنه وهو يجتاز الصحراء باتجاه برايلس.

ويصل محمد علي الحامي إلى تونس فيجدها تعيش أياما عصيبة، وقررها قاسية: مجامعات، وقمع، وثقت في صفوف الحركة الوطنية، ويأس تام من تلك الوعود التي لوحت بها السلطات الاستعمارية خلال الحرب وبمدها. وكان المناضل الكبير الشيخ عبد العزيز الثعالبي صاحب كتاب «تونس الشهيدة» يجول في بلاد الشرق، ويتصل برعاها الوطنيين، ويرجالات الحكم في مصر وفلسطين والحجاز والعراق. وكان هناك مناضلون آخرون في الشافي. ومن تبقى منهم صامت خوفاً من القمع. وهناك في قلب المدينة العتيقة، وعلى مسافة قريبة من جامع الزيتونة، فتية هامشيون يجتمعون في مقهى شعبي يسمى مقهى «تحت السور» وكانوا يعرضون ويسفرون من الدنيا والناس، ويكتبون وسط دخان السجائر وضجيج الزبائن قصائد وأغاني، ومفالات ساخرة، وقصصاً قصيرة مستوحاة من أجواء «في دي موسان» وكان من بين هؤلاء محمد العربي البودليري المشائيم، وعل الدوعاصي القصير والذلل المسلمان، وعبد الرزاق كركباك المشيع بالثقافة الشعبية وآخرون كان لهم دور كبير في تطوير الثقافة التونسية

حول فنانون وكتاب من أمثال ولودفيك كيرخناو» و«يرتولد برخت» و«تيخولسكي» و«هاينريش مان» وغيرهم، مدينة برلين إلى عاصمة ثقافية لأوروبا بأسرها، يؤمها الفنانون الطليحيون والثوريون من كل مكان.

كانت برلين خلال العشرينات تجوع وتأم. وكانت بنائها رصادية، وشوارعها قلدة ويشعة غير أنها مع ذلك كانت ترقص وتغني حتى الصباح، وتستمتع بمسرحيات «ستراتينبارغ» و«إبس» و«ماكس راينهارد» و«أشعش» و«يرتولد برخت» الحماسية، وبقصائد وكتابات «غوتفريد بن» المولغة في اليأس والشاؤم، وبمقالات «تيخولسكي» العنيفة والساخرة، ولوحات الرسامين التعبيريين من أمثال «أودارد موتش» و«كوكوويشكا» و«شاغال» وغيرهم. وكان ثمة شاب بنظارة، ويشعر غزير، ويشارب كث يتجول في شوارعها وفي مكتباتها، ويسجل في دفاتره ملاحظات كثيرة تكون في مرحلة لاحقة، الأساس لأعمال فكرية ونقدية ولسفية متميزة. هذا الشاب كان يدعى «فالتر بنيامين».

وفي تلك الفترة أيضاً كانت برلين متعددة. كانت هناك ألف «برلين» كما يجول لبعض أي يقول: برلين الحمراء، أي برلين الفقراء والعامل والبروليتاريا الرثة الذين يسكنون أحياء «فيدلينغ» و«كرويتسبارغ»، و«برلين ترغراتن» البورجوازية، و«برلين غرينفيلد» الأرستقراطية، و«برلين المهاجرين الروس» و«برلين الشعراء الشيوعيين السوفييتات من أمثال «فيستسكي» و«مايكولسكي» و«إيسين» و«بايلي». وكانت هناك أيضاً برلين الشيوعية و«برلين التي همى نفسها للانتقام من الذين هزموا جيوشها، وحطموا أحلام جنرالها».

ولعل أدوع رواية صورت تلك الفترة هي رواية «الغريد دولن» الشهيرة بـ«برلين» ساحة الاسكندر. وهي رواية ضخمة ومليئة بالتفاصيل مثل رواية «عوليس» لجيمس جويس، وإطالما عاطلون وهامشيون، وصهاريت، وعازفون الأرغن والذين كانوا يهيمون في الشوارع، ويتقلون بين البارات القلقة، وبنامون في ملاجئ شارع «فروويل» الليلية. وكل هذه العوالم الجميعة والبالسة يصفها لنا «دولن» من خلال شخصية سجين قديم اسمه «فرانز بيبركوف» شبه إلى حد بعيد بسعيد مهران بطل رواية «الصل والكلا» لتجيب محفوظ.

هل تأثر محمد علي الحامي بعوالم برلين خلال العشرينات؟ هذا مؤكد خاصة وأن جل الوثائق تثبت أنه كان يقن الألمانية والفرنسية لكن المرجح هو أن محمد علي قد اهتم بالأحداث السياسية والثقافية، وبالأحزاب الاشتراكية وغيرها أكثر مما اهتم بأي شيء آخر. وواضح جداً أن الفكرة الأساسية التي كانت تشغل ذهنه طول الوقت هي: ماذا يمكن أن يفعل لذلك الوطن الذي رحل عنه منذ سنوات طويلة؟

أين سكن في برلين؟ يجول في أحيال دأماً، وأراه يسكن شقة صغيرة في حي «كرويتسبارغ» الحالي حيث المهاجرين والمحرضون السياسيون والنوادي الاشتراكية، وللمثقفون التقدميون والثوريون.

ومثلما روى «العم حمة» فإن محمد علي الحامي راح يطوف البلاد من أقصاها إلى أدها مرفوقا بالقليل من أنصاره، ناضرا دعوته بصوت واثق وهادئ، ويصبر لا يتسرع به إلا من غرس بالحياة. ونحن نجده مع عتالي بنزرت، ومع العمال الزراعيين في غار الملح وماطر، ومع عمال الرصيف في تونس العاصمة، ومع أهالي زغوان. ولعل أهم ما قام به أثناء جولاته تلك هو اتصاله بحال مناجم الفوسفات في منطقة المتلوي بالجنوب التونسي، والذين كانوا يعيشون أوضاعا قاسية تتجاوز إلى حد بعيد تلك التي وصفها لنا «أميل زولا» في روايته الشهيرة «جرميال». ويروي الطاهر الحداد أن محمد علي كان يتأثر بشديد التأثير بمناظر البروس والفاقة. وأنه كان يتحدث كثيرا في جلساته عن مشاهد الجوع التي رآها في مناطق الجنوب التونسي، وعن قوافل البدو المتجهة إلى

الحديثة. وكان الشابي يصرخ ملثاعا ويأثا:

ألا أيها الظلام المستجيد
حيب الظلام، عدو الحياة
سخرت بأنث شعب ضعيف
وتبذر شروك الأسي في ريسا
وسربت تشوه سحر الوجود
وفي المساءات كان يهيم في حداثق البلديير للتخفيف من
الام مرض القلب الذي كان يعاني منه. وكان هناك رجل طريف
يُدعى علي الخندوبي يهول في المدينة كل يوم حاملا قفة ضخمة بها
المقال اليتيم الذي نشرته له إحدى الصحف التونسية. وقفة فتي
أسمر ونحيل، من نفس منطقة محمد علي الحامي، يدعى الطاهر
الحداد كان ينادي بضرورة تحرير المرأة، متحدثا سلطة فقهاء جامع
الزيتونة الذين لم يترددوا في تكفيره وفي المطالبة بجمعه. وحالما يصل
محمد علي إلى تونس يتخذة رفيقا له في دعوته الجديدة. ومعه يهول
المدن والقرى والمدائن سعيًا لتأسيس أول اتحاد نقابي للعمال
والحرفيين التونسيين.

اكتسب محمد علي الحامي خلال اقامته في برلين تجربة تفصيلية
مهمة، وقدرة فائقة على التنظيم والتخطيط. ولأنه عمل كما تؤكد
ذلك بعض الوثائق، في إحدى المعامل الكبرى للسيارات، فإنه قد
يكون اطلع على برامج النقابات والمنظمات العمالية، وغرس
بتجاربه في النضال، وإدرك أن المجتمع إذا لم يتصالح فيه قواه
الحية لا يمكن أن يتحرر. وهكذا وحالما حظ الرجال شرع في تنفيذ
فكرته.

كان اسمه «العم حمة». كان دائما في كسوته الزرقاء.
ولأنه سيجارة «الارتي» تغارق فمه. كنا نجلس في ذلك المقهى
المعتم هناك قرب ميناء بنزرت. وكان يحدني عن أيام قديمة، وعن
ذكريات شبابه، وعن استشهاده أحد أبناءه في معركة بنزرت. أه
كم كانت جميلة تلك الأيام! كنت ألتمهم الكتب، وأتردد على
صيادي الأسماك، وألعب الورق مع الجنود، وأعاكس النساء في
السوق المركزي، وبنات المعهد في مكتبة المدينة. كنت سعيدا
برغم البطالة. وكان العم حمة يقول في دائما: «خذ هذه السجارة
وسيفرحها الله في يوم من الأيام». وذات مرة أخذني إلى بيته
هناك في «حي الأندلس». أجلسني في الصالة الصغيرة، المتواضعة
الاثاث وأتاني بكأس شاي. انتهيت إلى أنه يعلق صورة كبيرة
لمحمد علي الحامي. ولما رأني أصدق فيها قال لي: «تعلم أني أحب
هذا الرجل تمامًا مثلما أحب أبي أو ابني الذي مات. مازلت أذكر
إلى حد الآن يوم جأنا إلى بنزرت. كنت إذ ذاك في الثانية عشر
تقريبا، وكنت أصاحب أبي من حين لآخر إلى الميناء لأنه كان
يعمل عتالا. وذلك اليوم جأنا رجالا وخطب فينا فتي نحيل
وهادئ. لم أفهم ما قاله فأتنا كنت صبيًا ساذجا في ذلك الوقت،
غير أني أدركت أن أبي وجميع العتالين استحسنوا ما قال وصفقوا
أكثر من مرة. ومن الغد تظاهر العتالون في شوارع بنزرت. وأطلق
المخندمة الرصاص. وسقط خمسة أو ستة. لا أذكر. ولما كبرت،
أنضوت إلى النقابة انتهيت إلى أن ذلك النقي الأسمر والنحيل
هو محمد علي الحامي».



مناه مع «العم حمة» في برلين.

المدن بحثا عن القوت بعد أن أكلت الجوائح المتوالية مزارعهم
وأنعماهم. ويروي أيضا أنه كان يطوف معه في العاصمة في ليالي
الشتاء الباردة. وأنه كان يحزن شديد الحزن حين يرى أناسا
وأطفالا دون سن الرشد ينامون على الأرض أو في مداخل
البنات والذين عاشوا تلك الفترة يقولون أن حمة علي كان يتمتع
بذكاء حاد، وقدرة فائقة على التنظيم والافتان. وكان رصينا،
ومسلما، وفالحا في مخاطبة البسطاء من الناس، وفي إرشادهم
وتوجيههم. إلى جانب هذا كله يذكر الحداد أن محمد علي كان
شغوقا بالموسيقى الكلاسيكية الألمانية إلى حد بعيد، وأنه حرص
على الاستماع إليها أثناء السهرات. وكان يحرص أصدقاؤه على
أن يفعلوا مثله لأن تلك الموسيقى حسب رأيه تهب الإنسان القوة
والنشاط، أما الموسيقى العربية فهي تروح وتروح وأتات ثقفل
النفس والروح. وهذا ما يؤكد لنا أن محمد علي الحامي قد استفاد

وجسدة بوادي مصيبة فبات متأثرا بجرح خطير في دماغه. ودفن هناك. وهكذا مضى ذلك الفتى الجنوبي المغامر لثقة هالة من ذلك الغموض الذي رافقه من البداية إلى النهاية.

تقول لي العجوز اللطيفة التي تدير بنسيون وكولومبو حيث سكنت: ماذا ستكتب عن برلين؟
أقول لها: عن محمد علي الحامي.

تحدّ رأسها مستفسرة. أنطق الاسم من جديد. واريها لها تفاصيل حياته. تفتح فمها مذهشة وتقول لي وكأنها قصة من ألف ليلة وليلة: «تصمت قليلا ثم تضيق: «وإحيانا لا يمكننا أن نتصوّر ماذا يمكن أن يفعل شخص واحد في تاريخ أمة من الأمم أو شعب من الشعوب».

أجلس في المقهى المواجه للبنسيون. مقهى جميل نضيشه شموع بتسجيّة، ويؤمّه طلبة وعشاق وفنانون. أكتب بطاقات لأصدقاء بعيدين. وعلى ظهر أحدها أكتب لصديقي عبد الجليل بوقرة المقيم في القيروان: «بحثت عن أثر لمحمد علي الحامي، فلم أعرش على شيء. غير أني أخال أنه معي في الشوارع والساحات، ويقاسمني غرفة البنسيون، وأيضا كأس البيرة الذي أمامي». صديقي عبد الجليل بوقرة هو أيضا يعلق صورة ضخمة لمحمد علي الحامي في شقته. ومرة قال لي: «أساتذة الجامعة عندنا يظنون من الوثائق ويتجادلون طول الوقت لكي يثبتوا أن محمد علي لم يزل شهادة البكتورة. يبالغ من أضياعها. لا يعلمون أن حياة المغامرين الكبار لا تنقاس بالشهاد وإن أكثرهم جرة لن يتمكن من أن يعيش يوما واحدا من أيام رحلة محمد علي الطويلة».

من حياته البرلينية استفادة كبيرة، وأنه لم يعد فقط لينظم العمال ويؤسس نقابات وإنما ليغير العقول والمفاهيم، ويساعد على تحرير الناس من التقاليد والأفكار القديمة.

وفي فترة قصيرة تمكن محمد علي الحامي وأنصاره في توصية العمال والحرفيين، واقناعهم بضرورة الاتحاد للدفاع عن مصالحهم وسقوتهم. وهكذا انبثج للوجود أول منظمة نقابية في تاريخ تونس الحديث.

وسرعان ما بدأت السلطات الاستعمارية تعي خطر ذلك الشباب النحيل والغامض. وأرسلت وراءه جواسيس وخبرين لتابعة أعماله ومراقبة تحركاته وتسجيل أقواله وتصريحاته. ولم تتردد طويلا في القضاء القبض عليه والزج به في السجن صالحة جمع من أنصاره. وجميعهم وقفا في قصص الاتهام يوم ١٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٢٥، ووجهت إليهم تهمة التآمر على أمن الدولة. وبعد المفاوضات، أصدرت المحكمة حكما يقضي بنفي محمد علي الحامي وأنصاره لمدة تتراوح بين ١٠ و٥ سنوات.

بعد ذلك تبدأ رحلة عذاب طويلة ومن جديد يعود الغموض ليلف شخصية محمد علي حتى النهاية.

توضع السلطات الاستعمارية الجاهية المذكورة في باخرة متجهة إلى نابولي بإيطاليا. وهناك يلقي البوليس القبض عليهم ويمضون أسبوعا كاملا في الأيقاف. ثم تأخذهم السلطات الإيطالية إلى «بوسومييا» (Postumia) على الحدود الإيطالية اليوغوسلافية. وبعد ذلك اختار كل واحد منهم الطريق الذي يناسبه. ويختصص محمد علي الحامي تقول الوثائق أنه اتجه إلى تركيا غير أن شرطة الحدود رفضت دخوله. ونحن لا ندرى بعد ذلك إلى أين اتجه، غير أن وثائق «الكاي دورساي» تقول أن الشرطة الفرنسية ألقت القبض عليه في مدينة طنجة يوم ٢٥ فبراير ١٩٢٦ وهو يستعد للالتحاق بالمقاومة الريفية في جبال الأطلس وبعد ذلك اقتادوه إلى مرسيليا، ثم أطلقوا سراحه. وقد يكون محمد علي طلب بعض المال من ابن عمه الذي كان يعيش في باريس في ذلك الوقت وركب الباخرة إلى الاسكندرية. ويتواصل الغموض بخصوص حياة محمد علي بعد ذلك. غير أن بعض المؤرخين يقولون أنه استقر في القاهرة وعمل سائقا عند أحد الباشوات المصريين. غير أنه رفض ذات ليلة حمل السفير الفرنسي إلى مقر إقامته بعد أن حضر حفلا في قصر الباشا المذكور. ومن جديد يهيم على وجهه في أرض الشرق. وتلفظه دروب الضياع في جلة حيث يعمل سائقا ومدرسا للغة الفرنسية. وفي يوم ١٠ ماي / أيار ١٩٢٨ اصطدمت سيارته بسيارة أخرى في الطريق بين مكة

الفرنسي.

(١) محمد علي الحامي (١٨٩٠-١٩٢٨): متاهل وطني وتونس ومؤسس أول منظمة نقابية تونسية

(٢) مسمى هذه القصيدة هو:

أحمل بعدك لكك لن أحمل على شيء. أحمل على شطط نمة لككث وبلكك نال لوتك.

(٣) الدخيلاني: متاهل من الجيوب التونسية غاضا الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي في بداية القرن. وسائد طلبة الثوبين للزور الإيطالي. أعدم عام ١٩٢٢ في ساحة قرنة.

(٤) جبال غريطة: جبال مشهورة في الجيوب التونسية. أحسن بها القارون القنصون أكثر من مرة.

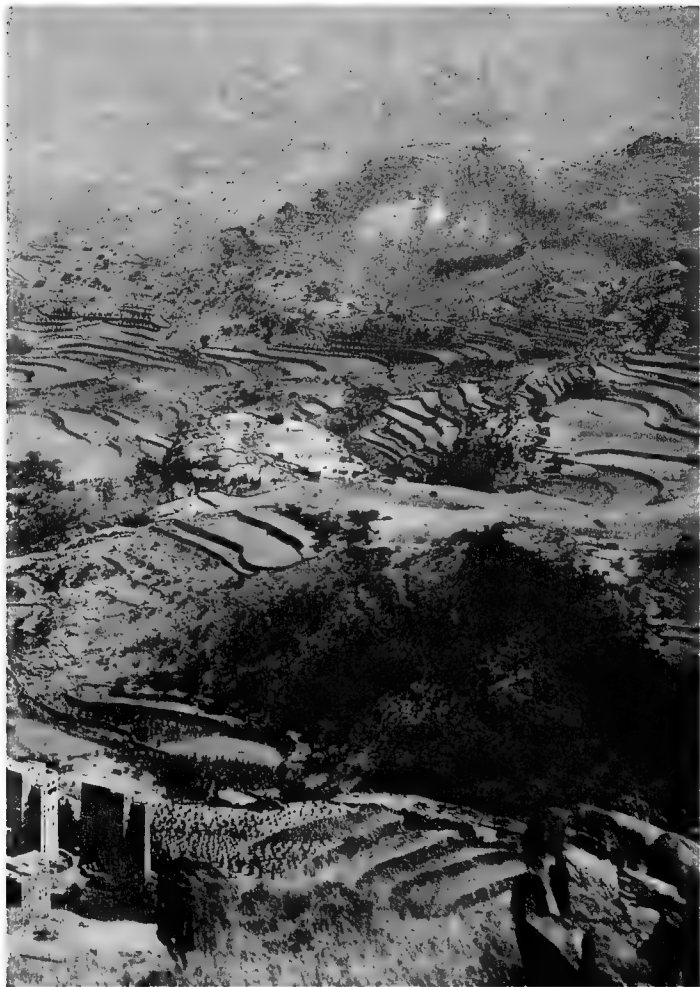
(٥) هذه أغنية مشهورة في الجيوب التونسية وهي تعني:

الرجال للحكمة طالين التحطوا به مصيرهم الموت!

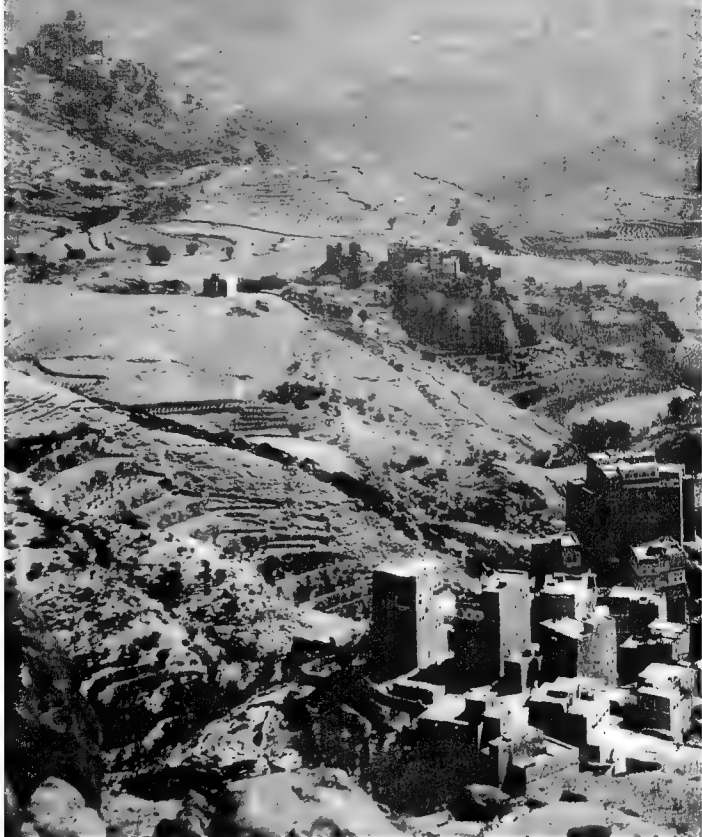
لقد انتصروا بحسب الحركة القصيدة المشهورة الدخيلاني.

(٦) الطائر الحادك كاتب: وفرنسا في الشريعة والطمع الذي دعا له إلى ضرورة تحرير الرأفة

(٧) مركب محمد علي الحامي وسفوفات الأيام لمحمد علي بلحولة. مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ١٩٨٥



رحلة الى اليمن السعيد





ملاحظات حول تاريخ اليمن السعيد

سييتينو موسكاني

جديرون خاصة بالتتويه لتتمتهم التجارة مع الشمال، وقد أسسوا مستعمرات هامة على طول الطريق الساحلي المحاذي للبحر الأحمر والمؤدي إلى فلسطين والبحر المتوسط. وقرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد ذاتت مملكة معين في مملكة سبأ التي كانت في الوقت نفسه تمد نفوذها في المنطقة نحو الجنوب.

وتتبعنا النقوش المسبارية التي ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد أن زعماء سبأ وملوكها قدموا الجزية والهدايا للملوك آشور. ولابد أن هؤلاء السبئيين كانوا مستوطنين في شمال الجزيرة العربية، وهذا يدل على ازدهار الدولة في مثل هذا الزمن المتقدم. وتدلنا أقدم النقوش السبئية على أن التقدم الحضاري بلغ في تلك الفترة شأوا بعيدا.

وقد تطورت دولة سبأ من حكومة دينية إلى حكومة مدنية. ففي عصر متقدم كان حكامها يتخذون لقب والمكرب، ومعناه والكاهن الأكبر. وقرب نهاية عصر المكارية استقرت عاصمة الدول في مأرب، حيث كان يبنى سد عظيم للتحكم في وادي أذنة

في الألف الأول قبل الميلاد ظهرت دول مختلفة في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، أهمها دول معين وسبأ وحضرموت.

والمملكة المعينية، في شمال اليمن، هي التي دار حولها أكثر الجدل فيما يتعلق بزمنائها. ففي الماضي لم يكن يعرف على وجه اليقين أكانت متقدمة على مملكة سبأ أم معاصرة لها. ولكن الحفائر الحديثة وتطبيق العملية الراديوكربونية تشير إلى تعاصرهما، ويبدو أنه يمكن تأريخ قيام مملكة معين بحوالي ٤٠٠ ق. م. والمعينيون



جنيته يمنية تصاحب الرجل اليمني طول الوقت

رأس يعود تاريخه إلى الملة الأولى قبل الميلاد (متحف بولونيخ الأثولوجي).

فقد ساد في جنوب الجزيرة العربية ثالثون من الكواكب، رأيتهم من قبل في أرض الرافدين: اله نجمة الصباح، واله القمر، واله الشمس. ومن الغلو أن نحاول، كما فعل نيلسن Nielsen في بحثه المشهور، إخضاع جميع الآلهة لحدود هذا الثالث، ولكن الحق أنه لعب دوراً هاماً في نظام الآلهة بجنوب الجزيرة العربية، وأن كثيراً من الآلهة المختلفة ليست سوى مظاهر له.

واسم اله نجمة الصباح معروف للمنطقة كلها: عتتر، نظير عشتار لدى البابليين والأشوريين وعشتري لدى الكنعانيين. ولكن من الجدير بالملاحظة أن عتتر العربي الجنوبي اله ذكر، بينما نجد نظائره في جميع الأديان السامية الأخرى مؤنثة.

ويتخذ اله القمر والشمس أسماء مختلفة. فاله القمر اسمه ود عند اللينيين، والمقه عند السبئيين، ورمع في قتبان، وسين في حضرموت (كما في بابل). واله الشمس اسمه في قتبان وحضرموت شمس، إلى جانب أسماء أخرى، والاسم شمس قريب من الاسم شمس في أرض الرافدين. فهذه الصلات تؤيد أن كثيراً من العناصر الدينية في الشعوب السامية كان يتوقف بعضها على بعض.

والى جانب الآلهة المشتركة كانت هناك طائفة كبيرة من الآلهة الخاصة، تحمي بعض الأماكن أو القبائل بل الأسر أيضاً. ويشار إليها غالباً بالاسم بعلى الذي رأيتهم من قبل لدى الكنعانيين، ومعناه «صاحب» أو «مولى». ثم تأت هذه الآلهة جميعاً من التراث القوي، «بعضها أخذ عن الشعوب المجاورة طبقاً لاستعداد عام بين الصرب الجنوبيين يحدوهم إلى النقل والاستعجاب، وهو استعداد يسر في مراحل متأخرة من تاريخهم دخول العقائد اليهودية والمسيحية.

وبين آلهة العرب الجنوبيين عدة آلهة لا أسماء لها، يتنهل بها فرادى أو جماعات باسم اله أو الهة مكان أو جماعة أو شعب ما. ولندكر خاصة آل، وهو اله سامي مشترك: آل لدى الأكربيين (٣)، وآل لدى الكنعانيين، والوهيم عند المصريين، وآله عند الصرب. وقد عرف الينينيون أيضاً هذا الاسم، واستعملوه في الغالب اسماً عاماً بمعنى اله، وهو مدلوله الأصل حقاً. ولكنهم استعملوه أحياناً عاماً على اله خاص، ويكرر وروده عنصراً في أعلام الأشخاص.

وأعلام الأشخاص التي تدخل في تركيبها أسماء الآلهة هي المصدر الاسامي لمصوغاتنا عن الصفات التي اعتاد العرب الجنوبيون إطلاقها على الآلهة في إبتهاهم. فمن أشهر هذه الصفات: الأب والرب والملك والعزيز والعادل والأمين. ويبرز دين الصرب الجنوبيين عبودية الإنسان للآلهة، وهذه النظرة الدينية تستدعي دائماً أن يسعى الإنسان للظفر بحماية الآلهة.

وقد دخل دين العرب الجنوبيين كل صورة من صور حياتهم. ولما كانوا يرون أنه لا بد من حماية الآلهة لتوفيق كل حي ونجاح كل عمل، فقد كان للقبائل والأسر، بل للدول والمجاعات الزراعية والتجارية أيضاً، آلهة تحميها. وكانت تقام عند أدائها عمل له

وتحويل مباهه للري. وحوالي القرن الخامس قبل الميلاد تحولت الدولة إلى حكومة دينية تعتمد على حكم أقلية تتألف من عدد صغير من الأسر العسكرية والأسر المالكة للأرض. وقام على رأس الدولة ملوك. أخذ السبئيون في ظلمهم وسرعون نفوذهم شيئاً فشيئاً. وفي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد أضاف ملوك سبأ إلى قطعهم ملك ريدان، وأقيمت عاصمة جديدة في ظفار. وفي الوقت نفسه بدأت قبيلة حير حنظل مركز الصدارة في الدولة، فأخذ اسمها (Homertae) يزداد وروداً في المصادر اليونانية والرومانية إلى جانب اسم السبئيين أو مكانه.

وقرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد، كما قلنا، ذابت مملكة معين في مملكة سبأ. وكان هذا أيضاً مصير مملكة قتبان التي يقضى نظام التاريخ الجديده بوضع تاريخها بين ٤٠٠ ق. م و ٥٠٠ ق. م على وجه التقريب. ثم ذابت حضرموت بعد ذلك زمن، وتاريخها حسب نظام التاريخ نفسه يقع بين ٤٥٠ ق. م والقرن الثاني الميلاد. وتذكر نقوش قتبان وحضرموت بعض المكارية، وهذا يؤدي بنا إلى أن نفترض أن نظام الحكم الأصلي فيها كان مشابهاً لما عرفه السبئيون. وعندما حل القرن الثالث الميلادي كان السبئيون قد وحدوا جنوب الجزيرة العربية في دولة قوية واحدة، هي أكبر وحدة سياسية أنشأها العرب الجنوبيون.

ولم تلبث هذه المملكة أن تعرضت لمجموع عنيف شنه الاثيوبيون. وفي القرن الرابع احتلها الاثيوبيون زمناً، ثم استعادت حرمتها بعد ذلك، ولكن الفركة الداخلية التي ترجع أولاً إلى دخول اليهودية والمسيحية بدأت تدفع البلاد في طريق الانحلال. وأخذ النصر اليهودي يزداد قوة، فحاول ذو نواس، آخر ملوك سبأ، فرض اليهودية على شعبه، وبدأ يضطهد المسيحيين اضطهاداً عظيماً. لدفع هذا الاثيوبيين المسيحيين عام ٥٢٥ م إلى غزو اليمن واحتلالها.

وقد استحكمت الأزمة في ظل الاحتلال الاثيوبي. فبينما كان الحكام المسيحيون يبنون الكنائس ويحاولون الاندفاع نحو الشياك كما فعل أبرهة (الذي يظن العلماء اليوم أنه حكم اليمن مستقلاً عن الحبشة)، كانت البلاد تزداد اضطهاداً، لحمود النشاط التجاري الذي كان يتوقف عليه بقاؤها إلى حد كبير. وفي ذلك الوقت ازداد استعمال الطرق البحرية، فكانت هذه المنافسة كارهة على تجارة القوافل، وأخيراً أدى انهيار سد مأرب عام ٥٤٢ م إلى خراب أراضي الري البائنة، وسدد ضربة الموت إلى ازدهار البلاد.

وقد انتهت سيادة الحبشة عام ٥٧٥ م، وتلتها سيادة الفرس التي انتهت هي أيضاً بالفتح الإسلامي في أخريات حياة الرسول. تشمل النقوش العربية الجنوبية على طائفة كبيرة من أسماء الآلهة والقبايل، وهذا يوحي بوجود نظام للآلهة بالغ التعقيد. ويزيد من الصعوبات التي يلاقيها الباحث الطابع المحلي لمعظم الآلهة، والاشارة إليها عادة دون ذكر أسمائها أو يذكرك القبايل. ولكن لا ريب في وجود أفكار عامة معينة يمكن تجميع جملة الآلهة حولها.

ملكيات متحدة قوية. وكان رأس الدولة هو الملك، وقد تطورت سلطته في أكثر هذه الدول من سلطة دينية إلى أخرى دينية. وقد تتبع لنا جاك ريكترز Pyckmans. يجري التطور السياسي في ملكة معين، وكذلك في ملكة سبا خاصة. ففي سبا، تحت حكم المكارية، كانت القبائل جماعات دينية تظلمها حماية أمتها الخاصة، وكان مجلس من الشعب يساعد الحاكم وفي وظائفه التشريعية. وفي عصر الملوك ظل للمجلس قاطبة في أول الأمر، وكان ينفذ القانون في كل قبيلة موظفون قضائيون يتوارثون وظيفتهم ويتخلون لقب كبير. وبحوالي بداية العصر المسيحي أدى اتساع فتوح سبا إلى ازدياد نفوذ هؤلاء «الكبراء» حتى أصبحوا طبقة في القبائل لها امتيازات خاصة وتمتلكت من الأراضي واسعة، فاختلف مجلس الشعب، وتضاءلت سلطة الملك إلى حد كبير، فقام نوع من النظام الانتقالي. وفي المسائل العسكرية، كانت السلطة في يد الحاكم دائماً على ما يبدو، فانقشروا التي تسجل الأعمال الحربية تقرر أن هذه الأعمال تمت باسمه، ولا يبدو أنه كان للمجلس الشعبية كلمة ما في هذا الصدد. ومن الناحية الدينية، يبدو أن سبا، حتى في عصر المكارية، كان لها نظام من الحكم أقرب إلى النظام الديني مما لدى معين أو قتيبان، حيث كان للكهنة نشاط أكبر وأظهر.

ويبدو أن عرش الملك كان يرثه عادة الابن من الأب، فإن لم يكن للملك ابن خلفه أخوه. ومن النظم الخاصة بالعرب الجنوبيين ملك شخصيين أو أكثر معاً، وهو نظام أصله معني أو قتيبان، ولعل سبا أخذت به بعد فتحها لقتبان، وكان يقضي بأن يشرك الملك معه في حكم الدولة ابن الذي سيخلفه أو، في مرحلة متأخرة، بعض أبناءه ومنهم ولي عهده.

وكانت سلطة الملك والزعماء المحليين تقوم في آخر الأمر على ما يملكونه من الأرض، ومن هنا أقيمت إدارة الدولة على أساس من عقار الأرض، ووجهت إلى حد كبير نحو رعايته. وكان للمعابد أيضاً ضريبة على ما فضل كبير في ازدهارها. ولدينا بعض المعلومات عن الإدارة المالية. فكانت تفرض ضرائب على الصفقات التجارية وعقار الأرض، كما كانت هناك ضرائب خاصة لسداد النفقات العسكرية. ويبدو أن نسبة الضريبة لم تكن محددة، وإنما كانت تختلف حسب المحصول وبعض العوامل الأخرى.

وكانت الحياة الاقتصادية لجنوب الجزيرة تقوم على التجارة الدولية، فضلاً عن مواردها الزراعية العظيمة. وكانت العطور العربية خاصة مشهورة في أنحاء العالم، وكانت تصديرها أو على طريق القوافل المؤدية إلى أرض الرافدين وفلسطين. وفي الميدان التجاري، كان جنوب الجزيرة مركزاً أساسياً لتبادل السلع، وكان مرسى المحيط الهندي للتجارة مع البحر المتوسط. والقواعد التجارية التي أقامها السبيون على سواحل الهند والصومال أثارت لهم احتكار تجارة الذهب والبخور والمر وأخشاب الزينة التي تصدرها تلك المناطق إلى الشمال.

أهمية ما احتضنته لاسترضاء الآلهة وتكريس ذلك العمل لها. وكانت المعابد والقبائل، والقوانين ومراسم الدولة، وأنصاب القبور، توضع كلها في رعاية الآلهة، وكان على الآلهة أن تنتقم من كل من يتهاون تلك الأشياء أو يندسها.

وفي مثل هذه البيئة كانت للمعابد أهمية قصوى. فكانت تخصص لها العشور ومصادر دخل أخرى لتوفير أموال كافية لعمدها. وكان تعهد المعابد واجب الكهنة، وكانوا كثيرين على نظام حسن. وربما كان من وظائفهم أيضاً إصدار التوبة باسم الآلهة، ولكن معلومنا في هذا الصدد لا تكفي للعلم اليقين. وكان بين العامالين في المعبد أيضاً بنائياً مقدسات، أكثرهن إمام اجنبيات يوجهن للآلهة ويهين أنفسهن تماماً لخدمتها. وكانت تقدم قربان من حيوانات مختلفة، كالثيران والغنم، في أعداد كبيرة غالباً. وكانت هناك أيضاً قربانين من خردم، كقربان الشرب وتقديم البخور.

ومن المصادات التي تدعو إلى الاهتمام البالغ عادة الحج إلى الأماكن المقدسة، وكان لها نظير في وسط الجزيرة العربية صارفياً بعد من فرائض الاسلام. وليست، هناك أدلة صريحة على عادة الطواف بالأماكن المقدسة، ولكن هناك دلائل تشير إلى أنها وجدت في صورة لا تختلف عن الصورة التي سادت بين سائر العرب.

ولا بد أن الصلوات الخاصة، أي الصلوات التي لا ترتبط بوظائف دينية أو بأوقات محددة، وكانت منتشرة انتشاراً واسعاً. وكان الغرض منها قبل كل شيء، استجداء حماية الآلهة حتى يتحقق الخصب للأرض، والزواج للتجارة، والخلاص من الفقر والمرض. وكان انتهاك مبدأ الطهارة يستدعي الاعتراض علناً به، وكانت الطهارة ركناً هاماً من أركان الطقوس. ولدينا أمثلة لا حصر لها أدلت بها قبائل لآلهة مختلفة، واستغفار على الملأ آداء بعض الملوك.

وقد وجدت في قبور جنوب الجزيرة حلى وكؤوس واختام وأشياء من كل نوع. وهذا يشير إلى الألبان بالحياة الأخرى، ولكننا هنا أيضاً لا نستطيع التحقق من تفاصيل تلك العقيدة. فالحياة الدينية لجنوب الجزيرة تتميز في مجملها بطابع حضارة مستقر بالغة الشأن لها شخصيتها البارزة واستقلالها في نطاق بيئتها. وهي تختلف عن أحوال العرب البدوي في الشمال اختلافاً كبيراً من عدة وجوه.

وليس من السبر رسم صورة للحياة السياسية والاجتماعية لشعوب لم تترك لنا من الوثائق سوى نقوش نادرة وتذكارية. ولكن النقوش التذكارية كثيرة إلى حد يكفي لاستخراج نتائج معينة في هذا الصدد تنسج بالحيط والحذر. هذا إلى أن انقسام المنطقة إلى دول مختلفة يعني أنه على الرغم من التجانس الكبير في تلك المنطقة لا يلزم للتسليح التي تكونها عن دولة ما أن تصلح لدول أخرى دون استثناء أو تعديل.

وقد انعقد التنظيم السياسي للدول العربية الجنوبية صورة

أهميته الخاصة، وكان لأحد هذه السلود، وهوس مأرب أهمية قصوى لارتفاع البلاد السياسي. وقد كشفت الحفائر في منطقة تمنع (عاصمة قتيان: المترجم) عن شبكة كاملة من السلود تتصل بها قنوات وصهاريج لتوفير مياه الري لرقعة واسعة من البلاد.

٣- تصميم معبد مأرب

وكانت أبنية القبور موضع اهتمام خاص. وقد كشفت غرف دفن وأضرحة وأصصاب، عليها في الغالب صورة للميت ونقش تذكاري. وكشفت البعثة الأمريكية الأخيرة في تمنع قبورا نحتت في الصخر، وفيها أثاث مما يوضع في القبور وكثير من النقوش. ولم يبلغ فن النحت مبلغ الفن المعباري. والنمط السائد في فن النحت تماثيل صغيرة لأشخاص توضع في المعابد قربانين لنذور. وقد كشفت بعض التماثيل البرونزية الجميلة، كالتماثيل الذي كشف أخيراً في مأرب، وهو نحو ثلاثة أقدام ارتفاعاً، ويمثل رجلاً يلبس على ظهره جلد أسد، وكتمثال الحصان الذي تضمه الآن مجموعة دميترون أوكس Dumberton Oaks Collection واشنطن، ولكن هذا الفن عامة من نمط غليظ بدائي. وهذا يصدق أيضاً على الصور المخسورة، ففي صور البشر المخسورة نجد عامة أن الجسم في وضع مروحية، القدامين في وضع جانبي، والوجوه ضعيفة الأداء. ويعبر عن تفاوت المكانة بين الأشخاص المرسومين باختلاف الأحجام، كما في أرض الرافدين. ولم يستطع أولئك الفنانون التغلب على مشاكل الأبعاد، فاختفوا بوضع صور الأشياء بعضها فوق بعض أو أزاء بعض. ونجد كالعسادة أن الصور المخسورة التي تمثل الحيوانات والأزهار والأكاليل والرسوم الهندسية أكثر توفيقاً، فهناك مثلاً في المتحف البريطاني صورة محفورة لجمل بالغة الروعة.

وكان العرب الجنوبيون عظمي التوفيق في صناعة القطع الفنية الصغيرة. فالكتاب اليونان والرومان ترموا بأنائيد الشاء على الكنوس والأوعية التي صنعها السبيون من الذهب والفضة. ولم يصل إلينا سوى القليل من هذه الأشياء لسوء الحظ، وإن كان هذا أمراً طبيعياً، ولكن لدينا مثلاً مصباحاً برونزياً بديعاً، على سطحه الأعلى رسم في صورة جدي يقفز. وثمة دبابيس وفصوص من البرونز عليها صور معارك حيوانات وأهلة تذكر بالاختام البابلية والآشورية.

وقد صنعت قطع كثيرة من الحلي بالغة القيمة من الذهب الذي كان وفيراً في جنوب الجزيرة. وسكت أيضاً نقود كثيرة، اقتداء بالعماليق اليوناني الذي نجد أثره في تلك النقود نفسها. وفي الحتام نقول أن فن جنوب الجزيرة، كسائر مظاهر الحضارة التي ينتمي إليها، يدل على مرحلة من الحضارة تروخ المرء بتقدمها، قامت مزهرة راسخة في أحوال مستقرة، وكانت مستقلة عن بقية أنحاء الجزيرة بل مختلفة عنها من عدة وجوه.

ولهذا تثللت المصالح والحاجات التجارية سياسة العرب الجنوبيين بأسرها، وقد استطاعوا بلوغ بلاد قسبية دون أي فتح سياسي كبير، بفضل استيطانهم وتجارهم. ولم ينتب علماء الآثار بعد في جنوب الجزيرة العربية على نطاق واسع كما فعلوا في مناطق أخرى من الشرق القديم. فلما عابد الكبيرة والصور البدئية التي حفظ الكتاب القدامى ذكرها لا يزال جانب منها يترقد خرابث تحت تلال الرمال التي تغطي منذ قرون بقايا تلك الحضارة البائدة.

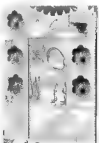
وجنوب الجزيرة غني بالخرابث، وهو حجر رافع للبناء نحتت منه كتل مربعة كبيرة وأعمدة قوية. وكان في الزمن القديم غابات واسعة يؤخذ منها الخشب. وقد استعمل الأجر أيضاً، وكانت تصنع منه كثيراً تركيبات على هيئة درج في رؤوس الأعمدة وفي السقوف تذكر بنظائرها في كثير من مباني أرض الرافدين.

ومعلوماتنا عن الفن المعباري في جنوب الجزيرة العربية تسمح لنا، رغم نقصها، بوصف بعض خصائصه. فالكتل الحجرية الكبيرة كانت تسوى وتركب بعضها إلى جانب بعض في دقة بالغة يصعب معها رؤية أماكن الوصل. وكانت الأعمدة توطد في نقر في قواعدها وعلوها والجدران مساه عامة، ولكننا نعرف أنها كانت تبنى أيضاً بسطوح مضلعة. وهذه الطريقة توحى بأنها تأثرت بمباني الأجر. وفي جملتها تذكر بالنقش المعباري البابلي. وكانت تبدل حناية كبيرة في تزئين الجدران والأعمدة بفصوص من الذهب أو غيره من المعادن التي كان جنوب الجزيرة غنيا بها.

وكانت الأعمدة المربعة والأعمدة الأسطوانية تستعمل كثيراً. وكانت تنصب مليشات Monoliths طويلة، كتبت عليها نقوش غالباً. وكانت رؤس الأعمدة مربعة في الغالب، وكان للعمود أحياناً حدة رؤوس يعلو بعضها بعضاً على هيئة درج، وكانت الأعمدة نفسها مربعة أو لها ثمانية ضلوع أو ستة عشر ضلعاً.

وكانت المعابد يضيأها أومرعة في تصميمها. فمن الأمتلة الطويلة للنمط الأول معبد مأرب الكبير الذي كشفته البعثة الأمريكية. وقد عثر على سور، وهو يضيأ تقريباً، كما نقب تنقيباً دقيقاً في مبنى بني في السور فيها بعد. ولهذا المبنى وجه فيه ثمانية أعمدة مربعة، ومدخل من ثلاثة أبواب جنباً إلى جنب يؤدي إلى رواق، وفي هذا السرواق باب واحد يؤدي إلى ساحة للمعبد نفسها. ومن الأمتلة الطويلة للمعابد المربعة التصميم معبد خور روري في عمان، وقد كشفت البعثة الأمريكية أيضاً. وجدان هذا المعبد بالغة السمك (تبلغ عشرة أقدام أو أكثر)، وفي داخل الجدار الشمالي بنيت ثلاثة جدران أخرى. وليس هناك سوى مدخل واحد، وهو ضيق أقيم في الجدار الشرقي. وفي ساحة للمعبد لمباحن ويركب فيها صهيير.

وقد كشفت أيضاً عدد المباني الدينية أبنية أخرى بنيت من كتل الحجرية أو من الأجر: قلاع من عدة طوابق، وأسوار، وأبراج. وكان بناء السلود فرعاً من الفن المعباري الذي يولي له



الرحلة الأوروبية الاولى الى اليمن السعيد

رحلة كارستن نيبور الى بلاد العرب (١٧٦١ - ١٧٦٧)

ذلك قَرَّر المخطوون ان تكون هذه الرحلة الثانية مستقلة تماما عن الاولى وإن يكون هدفها الرئيسي والوحيد البحث العلمي، ويعود الفضل في ذلك الى شخصيتين من أبرز شخصيات ذلك العصر، هما البروفيسور «يوهان دالميد ميشائيلس» من جامعة جوتينج والأخر «يوهان هارتفيغ برنستورف» عمل ألمانيا في كوبنهاجن والمسؤول عن سياسة الدانمارك الخارجية.

كان «ميشائيلس» مستشرفا ومن أبرز علماء دراسة الانجيل في عصره. ومن المرجح أنه كان قد قرأ كتاب «نورد» وأنه كان عازما باهتمام ملك الدانمارك «فريدريك الخامس» ومستشاريه بالعلوم والفنون، ولهذا عرض على «برنستورف» فكرة تنظيم رحلة علمية الى اليمن أو اليمن السعيد» وهي التسمية المتعارف عليها في ادبيات العصر العلمية والمأخوذة عن التراث الروماني. وقد كتب «ميشائيلس» قائلا: «إن هذا البلد غني بالثروات الطبيعية التي لا تزال مجهولة عندنا، وتصل جلوه التاريخية الى قديم الأزل. كما تختلف لهجة عن اللهجة العربية لسكان المناطق الغربية. اليس من المتوقع إذن أن تساعدنا لهجة بلاد العرب الشرقية على زيادة معرفتنا بأهم كتب العالم القديم الا وهو الانجيل؟».

وسرعان ما استجاب «برنستورف» لهذا الاقتراح وظل متمسكا به حتى بعد أن تغير شكله تماما بناء على استشارة العلماء الآخرين. وقد تقرران تطلق البعثة من القاهرة وليس من مركز التبشير الدانماركي في «ترانكيار» على الساحل الجنوبي للمهند، الشيء الذي ربط بينهما وبين رحلة «نورد» ربطا مباشرا. وقد كلف المشتركون فيها بجمع المعلومات لا بهدف دراسة الانجيل فقط وإنما التركيز على احتياجات العلوم الطبيعية والجغرافية. وقام «ميشائيلس» بوضع قائمة من الاسئلة العلمية طالبا من اعضاء البعثة توفير الاجابات الوافية عنها. وقد ظهرت هذه الاسئلة في كتيب بعنوان «اسئلة موجهة الى مجموعة من رجال العلم الداهيين في رحلة الى بلاد العرب بأمر من صاحب الجلالة ملك الدانمارك».

وشملت القائمة اسئلة مفصلة عن مجالات العلوم المختلفة منها التاريخ والتاريخ الطبيعي وعلوم اللغة. وصدر الأمر الملكي

لم تكن المعارف التي اكتسبتها العلوم الأوروبية خلال القرن السابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر حول البلاد الغير الأوروبية وحول حضارتها، وشموسها ذات أهمية كبيرة ذلك انها اعتمدت بالاساس على رحلات أساطيل الدول الكبرى التي كانت تبحث عن طرق تجارية جديدة. تشهد على ذلك كتب الرحلات والأسفار الى تلك القارات المجهولة للمؤلفين من الانكليز والفرنسيين والهولنديين ولا تصبح المعرفة هدفا مستقلا بذاته تنظم من أجله الرحلات الطويلة الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. ومن اهم هذه الرحلات تلك التي تعارف الدانماركيون على تسميتها آنذاك بـ «الرحلة العربية». وهم يعنون بها رحلة نظمت الى بلاد اليمن خلال الفترة الفاصلة ما بين ١٧٦١ و١٧٦٧ والتي قام بتوليها البيت المال.

إن الخلفية لهذه الرحلة التاريخية هي فلسفة التنوير واجتهاداتها في جمع وحصر المعارف الانسانية بشكل منهجي منظم. وكانت هذه البعثة هي ثاني محاولة دانماركية بهذا الصدد. اذ أن الاولى كانت الرحلة التي قام الضابط البحري فريدريك لودفيك نوردن (١٧٠٨-١٧٤٣) عام ١٧٣٧ بهدف التخطيط لعلاقات تجارية واسعة النطاق مع امبراطورية الحبشة. وكانت نتيجتها الاساسية العديد من الخرائط والمعلومات عن بلاد مصر. ولو نحن القينا نظرة على الاوضاع السياسية في ذلك الوقت، لوجدنا ان التفسير الاساسي لهذه العوامل الجديدة هو التطلع الى بناء العلاقات التجارية ذلك ان الحروب ضد الامبراطورية العثمانية كانت قد انتهت بمقتد معاهدتي السلام مع النمطونية في عام ١٧١٨ و١٧٣٩ التسين وافقها تحييد دول الساحل في شمال افريقيا وذلك ابتداء من عام ١٧٥٠. وهذا ما ساعد على اكتشاف أسواق، وطرق تجارية جديدة، وجعل جمع المعارف عن هذه العوالم المجهولة ضرورة اقتصادية ملحة. ظهر كتاب «نوردن» حول «الرحلة الى مصر ويلاذ اثيوبيا» في عام ١٧٥٥ اي بعد وفاته بسنوات عديدة. وقد تميز بخراطة الدقيقة لوداي النيل. وهو ما ساعد على التخطيط للرحلة العربية بشرط ان تكون هذه الرحلة الثانية تكملة لرحلة «نوردن». وبعد

سبعة أشهر (أي من ١/٧ إلى ١٧٦٠/٦/٣٠) وذلك بسبب قوة الرياح المضادة مما اضطر السفينة إلى العودة إلى ميناء هلسنغور مرة أخرى. ويقول نيبور في مذكراته: (عاني بحارتنا من الأحوال الجوية السيئة معاناة شديدة حتى أن بعضهم لاقى حتفه، ومرض منهم حوالي ٣٠ شخصاً). ولم تبدأ الرحلة فعلاً إلا في ١٠ مارس، لتسري في البداية في الاتجاه الخاطئ، بسبب الرياح. وفي القسطنطينية استقل أفراد البعثة سفينة إيطالية طاقمها تركي وصلت إلى الإسكندرية في ٢٦ سبتمبر عن طريق رومس، وكانت السفينة تحمل معها جواز مرور وخطاب توصية من السلطان. كان أفرادها قد غيروا ثيابهم الغربية واستبدلوا باللباس الشرقي لأن



الثياب الأوروبية وكانت ستكون موضع تساؤلات كثيرة، بل من المحتمل أنها كانت ستثير علينا تبهكات العامة من الناس، كما يقول نيبور.

وقام نيبور في الإسكندرية بالعديد من عمليات المسح لاقى خلالها بعضاً من المصابيح وهو يقول (لاحظ أحد التجار الأتراك أنني أوجه الأسطرلاب باتجاه المدينة، فدفعه فضله الشديد إلى النظر من خلاله. وقلق جداً عندما رأى برجاً يقف رأساً على عقب. وقد نتج عن ذلك ظهور اشاعات تقول بأنني أتيت إلى الإسكندرية لأقلبها رأساً على عقب. وكان هذا موضع حديث

كارستن نيبور بلباس عربي.

إبداً أن يسده الرحلة في ١٥/١٢/١٧٦٠ على قاعسة اسئلة ميشائيلس والافتراحتات المقدمة من طرف العلماء الآخرين. وقد نصت الفقرة العاشرة من القرار الملكي على مايلي: «على أعضاء البعثة أن يكونوا في غاية الأدب مع سكان بلاد العرب وعليهم ألا ينأقسطوا تعاليم دينهم أو يوقلوا من شأنه حتى في ما بينهم وبين أنفسهم». ولم يكن السبب في إتخاذ هذه الاحتياطات هو المشاكل الدبلوماسية التي يمكن أن تنتج عن مثل هذا السلوك وإنما كان التسامح الذي كان الشعور المهيمن في ذلك الوقت والقاعدة المتبعة في كل المعاملات وخاصة مع الشعوب والأمم الأخرى.

ويتحدث «نيبور» عن مناقشة دارت بين أعضاء البعثة وبين أحد العاملين في السفينة التي نقلتهم من القسطنطينية إلى الإسكندرية فيقول: «تبين لنا من خلال النقاش أنه مسلم مؤمن بدينه إيماناً قوياً. وعندما حاول أحد أعضاء بعثتنا إقناعه بصحة الديانة المسيحية غض واقفا وقال: «والذين يؤمنون بغير الله ليسوا إلا ثيراناً ومجرأ» ثم خرج. وقد ذكرنا هذا الرجل البسيط بأنه علينا ألا نخوض في مثل تلك النقاشات وأن نترك كل واحد يعتقد أن دينه هو الأفضل».

شارك في «الرحلة العربية» خمسة أشخاص هم: وفسون هافنر، الدانماركي (١٧٢٧-١٧٦٣) وهو من تلاميذ «ميشائيلس»، والسويدي «بيترسون فورسكال» (١٧٣٢-١٧٦٣) الذي درس اللغات الشرقية لدى ميشائيلس أيضاً وذلك خلال الفترة الفاصلة بين ١٧٥٣ و ١٧٥٦. وفي نفس الوقت كان تلميذ عالم النباتات السويدي الشهير كارل فون لينيه. وقد كان مختصاً في العلوم الطبيعية، و«كارستن نيبور» (١٧٣٣-١٨١٥) الذي كان طالباً يدرس الرياضة التطبيقية على يد إبراهيم غزنيلاف كيستن في جوتنجن، وقد أهلت دراسته لعلم الفلك على يدي الفلكي المشهور «يوهان توبياس ماير» (١٧٢٣-١٧٦٢) إلى الاضطلاع بمهمة رسم الخرائط. وعند لقائه الأول برينستورف في مدينة كوبنهاغن، كلفه هذا الأخير بإدارة الشؤون المالية للبعثة. وكان أعضاء البعثة الآخرين هم الطبيب «كريستيان كرازر» (١٧٣٢-١٧٦٣) والرسام «بارونفانيند» (١٧٢٨-١٧٦٣) وخادم عسكري سويدي اسمه «برججرين» (١٧٩٣-١٧٦٣).

بدأت البعثة رحلتها على ظهر الباخرة العسكرية «غرونلند» من ميناء كوبنهاغن. وفي ٢٠ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٧٦٦، لم يعد سوى كارستن نيبور، وهو الوحيد الذي تبقى على قيد الحياة من بين كل أعضاء البعثة.

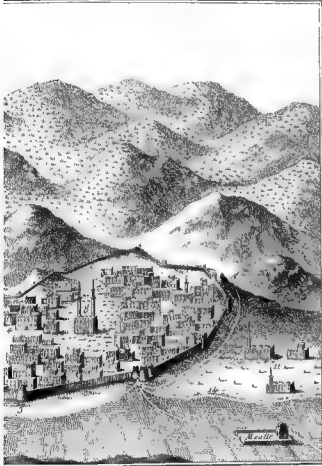
خطف سير الرحلة من القسطنطينية إلى القاهرة استغرقت الرحلة من كوبنهاجن إلى القسطنطينية حوالي

اياهم الابحار ومرورا بأفريقيا الجنوبية.

وطيلة الرحلة في البحر الأحمر، كان وفورسكال يصيد الحيوانات المائية ويعطيها لزميله «بارونفايند» ليرسمها. كما أنه أرسل من جلة مجموعة من النباتات والحبوب وأشياء أخرى من بينها أسماك وأصداف.

من جدة إلى اليمن

أبحرت البعثة من جدة في مركب صغير إلى ميناء لحية في



اليمن. ثم سارت في طريق البر إلى بلدة بيت الفقيه التي وصلتها يوم ٢٥ فبراير/ شباط ١٧٦٣. وفيها أقامت مايقرب الشهرين. وقد توطدت الصداقة بين «نيور» وفورسكال. وهذا ماسهل عليهما القيام برحلات عديدة سواها، رحلات إلى سهول تهامة وإلى الجبال المحيطة بها. وقد كتب نيور قائلاً: «كنّا نستأجر حمارين تركبهما بينما يظل صاحبهما سائرا على الأقدام وراةا فهو

الناس في كل مكان وحتى في بيت الحاكم».

اضطر نيور إلى التوقف عن المسح لهذا السبب معوضاً برحلات متعددة إلى الدلتا. وفي الطريق إلى القاهرة قام بمسح لأحد فرعي النيل ورسم له خارطة. كذلك شرع فورسكال في تدوين ملاحظاته العلمية وفي جمع عينات مختلفة من الحيوانات والنباتات وقد أقامت البعثة عامين في القاهرة وذلك بعد وصولها إليها في ١٠ نوفمبر. وكان السبب في هذه الإقامة الطويلة، الصراعات الداخلية بين أعضاء البعثة أنفسهم، والتي أدت إلى استئصال الخلافات بينهم وإلى بروز الكثير من المشاكل التي عرقلت أعمالا كثيرة.

ورغم ذلك استمر العمل طبقا لمواد القرار الملكي. وقد واصل نيور عمليات المسح، ودرس في القاهرة فرع النيل الثاني المؤدي إلى رشيد، ووضع خريطة دقيقة للمدينة، وقاس ارتفاع الأهرامات، محصلاً نتائج لا تختلف إلا بنسبة ٥,٠٪ عن النتائج الحديثة. كما نسخ بعضاً من النقوش المبروغرافية كانت في الأصل من أماكن قديمة. أما فورسكال فقد أضاف إلى مجموعته حوالي ١٢٠ نوعاً جديداً، وجمع المئات من الحبوب، واشترى قون هافن ٧٢ غطوطاً ورسم بارونفايند صوراً معبرة عن الحياة اليومية من خلال الأدوات المستخدمة والمأكينات والملابس الشعبية والآلات الموسيقية.

من القاهرة إلى جدة

رحلت البعثة في ٢٨ أغسطس ١٧٦٢ بصحبة قافلة الحج السنوية من القاهرة إلى السويس لتبحر منها إلى جدة المرفأ الوحيد المؤدي إلى مكة.

وكان أفراد البعثة قد تعطيوا أكثر فاكثر بأسلوب الحياة الشرقية خلال إقامتهم في القاهرة. وقبل الانقلاع من السويس حاولت البعثة البحث عما كان يسمى في أوروبا بجيبل (المكتتب) والمنصوص عليه في القرار الملكي، وهو جبل كان العلماء يتوقعون العثور فيه على معلومات جديدة بخصوص رحلة بني إسرائيل في صحراء سيناء، غير أن بحثهم باء بالفشل، ويمكن نيور من نسخ بعض النقوش النبطية من القرن الأول الميلادي.

أبحرت البعثة في ١٠ أكتوبر على ظهر سفينة من سفن الحجاج تاركة السويس إلى جدة، وواصل نيور دراساته الفلكية سرا في الطابق العلوي من السفينة. وشكلت هذه الدراسات مع ما لاحظته حول الشعب المرحجانية القاعدة الأساسية لأولى خريطة علمية للبحر الأحمر. وقد كان الجزء الشمالي منه مجهولاً لدى الرحالة الأوروبيين، ولذا فإنهم لم يكونوا يتجاسرون على السير فيه أبعد من جدة شلأً. وكانت هذه الخريطة هي الهدية التي قدمها لنيور إلى قبطان الإنكليزي في فترة لاحقة. وهي التي اعتمدها البريطانيون في إقامة طريقهم البريدي من أوروبا إلى الهند، جنباً

تخطيط شهاب اليمن من اعداد كارستن نيور (١٧٦٣)

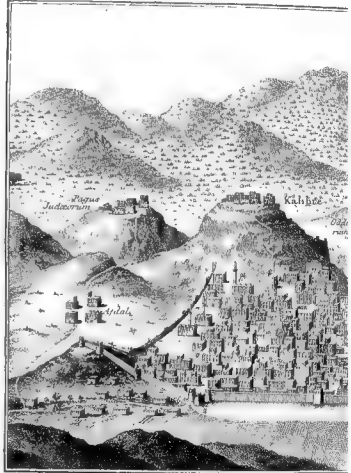
ويبدو من خلال مذكرات «نيبور» ان أعضاء البعثة كانوا على ما يرام على الأقل في بداية انقائمتهم في اليمن السعيد. كما كانوا يتمتعون بحرية الحركة وبالأحساس بالأمان. ولم يلاقوا من السكان نفورا مثلما حدث لهم في تركيا أو في مصر. وقد كتب «نيبور» يقول ان على الرحالة ان يعلم بان الرحلة متعبة. غيرها ليست اكثر ارهاقا من تسلق الجبال.

وقد بدأت التساب بعد ترك بيت القفيه. ومنها حادثة «غشاء المضحكة» والمبكية في نفس السوت، والتي وصفها «نيبور» في مذكراته بالتفصيل: بعد وصول البعثة مساء ٢٤ نيسان / ابريل الى غاكان من الضروري تفتيش الشاح الذي وصل من لحية مباشرة ويحضور حاكم المدينة. ورغم ان أعضاء البعثة طلبوا البده في التفتيش بادوات الطبخ وبالأغطية حتى يتمكنوا من ان يناسوا بعد ذلك، فان التفتيش بدأ بادوات العمل. وكان من بينها برميل صغير به اسك من الخليلج العربي. وقد رجا السيد «فورسكال» المفتش بال لا يفتحوا البرميل لانه كان مثلثا بالكحول ولان رائحة الاسك التي فيه ربما تكون غير ممتعة على الإطلاق. غير ان المفتش اصصر على فتحه وبعد ذلك اخرج منه الاسك وقلب فيه بواسطة عصاه الحديدية كما لو انه كان يتصور العثور على اشيء ثمينة بداخله. وجرع نولات أعضاء البعثة، فان المفتش قلب البرميل رأسا على عقب. وهكذا املا المكان برائحة الكحول والاسك الممتعة. اما القواقع التي كانوا قد لقوها بحرص شديد، فقد زععت لفائفها، ومزق البعض منها بواسطة العصا الحديدية المدببة. وربما لم يكن العرب يتصورون ان بإمكان انسان عاقل جمع مثل تلك الأشياء ولذا فانهم تصوروا ان أعضاء البعثة احضروها بهدف السخرية من الموظفين بل ومن الحاكم نفسه. واعتقد اخرون ان هناك اشيء ثمينة مخبأة بينها وان أعضاء البعثة قد مسحروهم بحيث انهم لم يعودوا قادرين على رؤيتها. وبدأ الحاكم غير مبالي تماما بما يحدث. وفي نهاية التفتيش احضر صندوق مخصص لنقل القناني كان فورسكال يحتفظ فيه بنماذج من الشعابن المختلفة والتي كان قد قام بتحنيطها. وإثار هذا أيضا استغراب المفتشين ودهشتهم. وعندئذ قال أحد عبيد الحاكم اوخدمه ان الفرنج قد جاؤوا الى اليمن لتسليم المسلمين. وحتى تلك اللحظة، لم يصدر عن الحاكم أي غضب أو أي سخط. كان يبدو مشغولا الى حد ما على أعضاء البعثة، غير انه لما سمع ان الناس قد يكونوا في خطر حتى ثارت ثائره وهاج وباح وقال: والله لن يبق هؤلاء الناس ليلة واحدة في مدينتنا. ويضيف فورسكال في تقريره الى لبيته: لكنه - أي الحاكم - غير رايه في النهاية بعد ان اتقنه اصداقاؤنا بواسطة الهدايا الثمينة بحسن نوايانا. وهكذا انتجلى عنه الاعصار الذي اجتاحت نفسه. ان الجبل هو بالفعل أساس لحياقات كثيرة.

وراحت المصاعب تشتد امام أعضاء البعثة. وسرعان ما واجهتهم الملايا التي راحت تمصدهم الواحد بعد الآخر.

مرشدنا وخادمتنا بل وفي كثير من الاحيان مترجم لنا وكنا نحن قد اصبحنا من ذوي اللحي العربية المهيبة وترتدي ثيابا طويلة بحيث كان شكلنا شريفا إلى حد كبير. وحتى لا يشك احد في اننا اوروبيون، اطلق كل منا اسما عربيا على نفسه، وجعلت احتياطاتنا هذه صاحب الحمار يوفن بأننا لسنا اوروبيين واننا مسجونون من الشرق.

وقد واصل بيور عمليات المسح خلال رحلته الى غاوتز وصنعاء راسيا بذلك القاعدة لانجاز عمله الكبير الثاني: خريطة



اليمن، أساس كل الأبحاث الجغرافية عن المنطقة لفترة المئة سنة اللاحقة. كذلك استمر فورسكال في جمع النباتات، من بينها أصناف متعددة تجهلها العلوم الأوروبية جهلا تاما، كما استطاع ان يجد شجرة البسم العربي التي يستخرج منها بلسم مكة، الشهير في أرض كنعان وفي الشرق كله. ولم تكن أوروبا تعرف الى أي نوع من النباتات ينتمي حتى ذلك الحين.

١٧٦٤ مرفأ صبرات التجاري في شمال الهند. ويكتب في مذكراته: وكنت مريضاً جداً إلى درجة التي لم أتمكن من الشروع في رحلة العودة. وهكذا اضطررت للبقاء في بومبي طيلة موسم الأمطار. وقد قررت أن أعود عبر الطريق المرسوم لي والذي يمر من البصرة وذلك حالما أتعافى. لقد أرسلت الآن كل العينات وكل الوثائق التي جمعناها خلال رحلتنا. وأنا الآن اشعر بالاطمئنان».

رحلة العودة

غادر نييور بومبي بعد أن أقام بها أكثر من عام بأكمله وكان

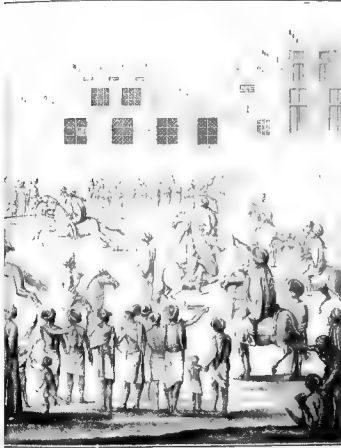
مصاعب

نوّي اثنان من اعضاء البعثة اشرعوا معها في نهاية نيسان/ ابريل ١٧٦٣ الى منطقة الساحل. وهما فون هافن (٢٥ مايو/ أيار ١٧٦٣) في غا وفورمسكال (١١ يوليو ١٧٦٣) في جريم. وقد ذهباً ضحية نوع خاص من الملايا اشتهر اليمن بشراسته. وكان فورسكال في طريقه من جريم الى صنعاء عندما باغته المرض. وعاشل نييور ان يجني حزنه على صديقه فورسكال بالذات وراء تقريره الموضوعي عن الحادثة: «ولقد حزنا حزناً شديداً على فقدانه ذلك انه كان أكثرنا إجادة للغة العربية بل وللهجات المختلفة بسبب اختلاطه بعامة الناس اثناء جمعه للنباتات. وفي بعض الأحيان كان يقوم بدور المترجم لنا. وكان مهتماً شديداً الاهتمام بتسهيل أمور الرحلة علينا، الشيء الذي اقمته بأنه كان أكثرنا صلاحية للسفر الى بلاد العرب. وقد تعود على أسلوب حياة السكان الاصليين بسرعة مدهشة. وهذا شيء ضروري للغاية بالنسبة لمن يريد قطع بلاد العرب مستقيماً ومستمتعاً في آن واحد».

وقد قرّر اعضاء البعثة الاخرين بعد زيارة العاصمة صنعاء ان يشادروها الى غا ليستقلوا بعد ذلك المركب الى بومبي، محاولين تجنب الساحل الجيمي المموسر بالملايا، قاطعين بذلك رحلتهم التي كان من المتوقع ان تمتد عامين او ثلاثة. ورسد لنا نييور أسباب قرارهم ذلك قائلًا: «استقبلنا في صنعاء استقبالاً طيباً للغاية بل ان كثيرين من أهل البلد الجفريين حاولوا اقتناعنا بالبقاء بينهم وذلك بترك المراكب البريطانية تقف بدوننا. وكان يودون ان نستجيب الى دعوتهم تلك. غير ان وفاة زميلينا جعلتنا عاجزين عن مواصلة دراستنا الطبيعية واللغوية».

اما انا فقد كنت زرت من قبل العدد الاكبر من مدن المملكة الصغيرة كما اني وضعت خريطة أساسية لليمن. وخوفاً من تكرّر المصاعب والصراويل والمضايقات، ومن الأمراض التي يمكن ان تصيبنا من جراء تغير الجو والوهاء والماء وبسبب الفروق بين السهول والجبال قرّرنا الانقلاع الى الهند بهدف تأمين حياتنا ومذكراتنا وأوراقنا».

أقلعت السفينة من غا في ٢١ أغسطس، لكنها كانت قد تأخرت: ففي خلال السفر اودت الملايا بكل من باورنساند وبرججرين، وتبعهما كرامر في فبراير ١٧٦٤ في بومبي، ولم يبق الا نييور، مرهقاً ومريضاً واستغرق وقتاً طويلاً للشفا من المرض، ونراه يفسر ذلك على انه اندثار وتحذير ايلي يقول: «أكاد أياأس من رؤية أوروبا مرة أخرى. لقد قررت ان التزم البقاء على قيد الحياة. وإذا ما أنا مت أيضاً، فمن يوصل الأوراق والوثائق الى أوروبا. اني اخاف من اني لن تصل على الاطلاق. وغدا في هذه هي التي جعلني أقرر السفر في إحدى السفن المبحرة من بومبي الى لندن». ويستغل نييور فرصة وجوده في الهند ليؤرد في مارس



ذلك في ديسمبر ١٧٦٤، ورحل شمالاً عن طريق عان والخليج العربي، وفي ميناء بوشهر الفارسي شاهد الاستعدادات قائمة على قدم وساق لتسيير قافلة الى شيراز، فانتشر الفرس ليجقق حلماً قديماً من أحلامه وهو يقول: «بالرغم من رغبتي الجامحة بالعودة الى أوروبا الا انني لم أرغب في ان تفوتني فرصة السفر الى شيراز ومشاهدة اطفال برسبوليس علي مسيرة يومين منها وهكذا قرّرت الرحيل مع القافلة في ١٥ فبراير الى داخل البلاد، وبقيت

لغرين حرة عريّة.

برا هير العراق حتى بغداد التي وصلها في يناير ١٧٦٦. وانضم هناك الى عدة قوافل نقلته الى الموصل ومنها الى حلب التي غادرها الى قبرص بناءً على تعليمات القنصل برنستورف لكي ينسخ نقوشا كان يعتقد انها فينيقية الاصل. وانتهاز فرصة وجوده في المنطقة ليزور الاماكن المقدسة، فقادها طريقه مرة اخرى الى حلب مارا بدمشق في أغسطس ١٧٦٦، وقد اقام فيها حتى نوفمبر ليغادرها بصحبة قافلة الى القسطنطينية، التي وصلها بعد شتاء قارس في فبراير ١٧٦٧، وهناك رسم خارطة للمدينة كان المرض قد منعه من رسمها خلال زيارته الاولى لما قبل اكثر من خمس سنوات. ويعد هذا اظهره للغة الاسبوية عائدا الى اوروبا عن طريق البر عبر بولندا وشمال ألمانيا، وقد توقف في مدينة جرتنجن وزار بعضا من اسرته في قرية التنبورج وهي القرية المجاورة للقرية التي ولد فيها. ووصل كوبنهاجن في ٢٠ نوفمبر ١٧٦٧، وبادر الى تنقيح ملاحظاته ونتائج تأملاته خلال الرحلة ليعدها للنشر في كتاب.

وتقلد في عام ١٧٧٨ منصب سكرتير الاقليم المسؤول عن جمع الضرائب واستقر في بلدة ميلدورف حيث توفي في عام ١٨١٥.

وعندما عُرض عليه ان يُرَفَّع الى مصاف النبلاء رفض العرض قائلا: (من يقبل مثل هذا العرض لا بد وانه يحس بان اصله ليس بالنبل الكافي).

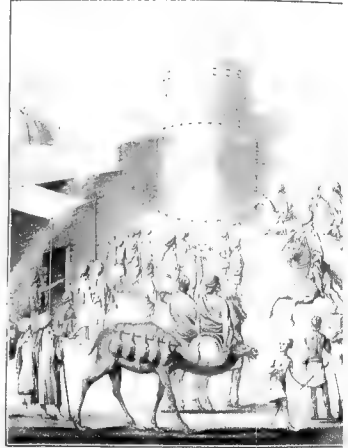
نتائج الرحلة

بماكاننا تصنيف نتائج الرحلة الى مجموعتين: هناك الاشياء العينية التي جُمعت خلالها وأرسلت الى كوبنهاجن، أصناف مختلفة من الحيوانات والنبات، مع عدد من المخطوطات العربية والعربية وهناك المشاهدات المدونة كتابةً والرسومات والخرائط، والكتب التي طبعت على اساسها.

نرى ان البعثة قد تمكنت من الاجابة على العديد من الاسئلة المطروحة عليها قبل مغادرتها الدانمارك. نظالنا الاجابة على الاستفسارات اللغوية في مقدمة كتاب نيبور (وصف بلاد العرب) بينما نجد الاجابات على الاسئلة في المجالات العلمية المختلفة متناثرة في نفس الكتاب. وتظهر فيها بعد ان بعض نتائج الرحلة له ابعاد تاريخية، مثال الخرائط التي رسمها نيبور ونسخه لخبط المساهري، وايضا انجازات فورسكال في علمي النبات والحيوان. اما المخطوطات المقتناة من فون هافن فوضعت الاساس لمجموعة المخطوطات الشرقية في المكتبة الملكية، حيث ان هذه المجموعة لم تكن تخترى سوى على عدد بسيط من المخطوطات قُدمت كهدايا للمكتبة ومازال جزء كبير من مخطوطات فون هافن موجودا بها ويستخدم لأغراض البحث العلمي.

مرتديا ثيابي الأوروبية التي كنت قد اتيت بها من الهند في طريقي الى برسيوليس، لكني قاسيت الامر من السفر مع القافلة بتلك الثياب القصيرة الضيقة).

امضى نيبور ثلاثة أسابيع في اطلال ذلك القصر الملكي، وكان الاسكندر الاكبر قد اشعل فيه النيران انتقاما من غريمته امبراطورية فارس القديمة. وهنا يقوم نيبور بثالث انجازاته العظيمة، فينسخ كل النقوش المكتوبة بالخط المساري بدقة فائقة جعلت من نسخته قاعدة لفك رموز هذا الخط بعد سنوات قليلة.



غير ان هذا الانجاز كان على حساب صحته ذلك انه لم يراع انعكاس الشمس على المرمر الشيء الذي اتعب عينيه وتسبب في اصابته بالعمى في الشيخوخة. ويقول ابنه بهذا الصدد: (ان صورة هذه الاطلال انطبعت في ذهنه طيلة العمر، فكانت هي الجوهرة بين كل الحجارة الثمينة التي شاهدها في رحلته).

وصل نيبور في اغسطس ١٧٦٥ الى البصرة وتابع رحلته منها

فقرات من القرار الملكي والتعليمات الموجهة فيه الى أعضاء البعثة

أمثلة من الأسئلة المصاغة من ميشائليس وإجابات نيبور عليها في كتاب (وصف بلاد العرب)

السؤال رقم ٣٢:

بما أن بلاد العرب هي موطن الجراد فمن المؤكد أن
البروفيسور فورسكال سوف يزودنا بوصف دقيق للجراد العربي
حتى ولو لم نطلب منه ذلك صراحة.

لكن رجائي هو مراقبة الظواهر التالي ذكرها بالتحديد: هل
يؤكل الجراد؟ وإن نعم فأي أنواع منه هي الصالحة للأكل؟ وما هي
طريقة إعداده؟ أي الأجزاء التي تؤكل؟

نيبور: إن الجراد موجود بكثرة في بلاد المشرق، وإن كان ليس
بالكثرة التي نتجلبها في أوروبا. (سؤال ميشائليس رقم ٣٢)،
ويأكل العرب الجراد الرحال، وكان السيد فورسكال قد ذكر أن
هذا النوع موجود في لمساتنا كذلك. وإذا ما بعض الأوروبيين
يستغربون أكل العرب للجراد، فإن هناك من العرب من يستغرب
حب الأوروبيين للمحار والجمري وسرطان البحر.

نشاهد الجراد يعلق على قتل ويبيع في الأسواق في جميع المدن
العربية من باب المندي وحتى البصرة. وطرق أعداده مختلفة،
وأينا غريباً من مصر قلف بالجرادة على القمح المشتعل عندما
طيناً منه أن يأكلها على مشهد منا فلما تفجعت أسك بكل جرادة
من رأسها وساقها الأساميتين وأكلها في مرة واحدة. وإذا ما كان
الجراد كثيراً، فإن العرب يحرقونه أو يمجفونه أو يطبخونه ويأكلونه
بالملح.

السؤال رقم ٣٩:

يتردد ذكر الذهب العربي في الكتاب المقدس ولدى المؤرخين
الأغريق، ولذا نرجو التأكد من:

١) هل هناك كميات كبيرة من الذهب حتى الآن في بلاد العرب؟
أم أن هذه البلاد تنفقر إلى الذهب كما يظن البعض من أصدقائي
بحيث أن ثرواتها المشهورة في الماضي كانت قد انتهت من الهند أو
أفريقيا ولم يكن مصدرها علياً؟

١) يجب أن ندوم إقامتكم في اليمن السعيد من عامين إلى
ثلاثة أعوام وعليكم أن تركزوا أولاً وقبل كل شيء على إجادة
اللغة العربية والتحدث بها، فبدون هذا لن تتمكنوا من تحقيق
الأهداف المحددة من قبلنا.

وعليكم القيام بالتمرنات الخاصة باللغة العربية خلال
رحلة البحر لسهل عليكم اكتسابها وبذلك يخف عنكم ملل
رحلات البحر.

٢) على كل مسافر أن يضع لنفسه كراسات خاصة به يلدون فيها
يومياته ولا يركز على ذاكرته فقط وعليه أن يكتب ملاحظاته في
نهاية كل يوم وإذا ما صعب عليه فعليه أن يدونها عند نهاية كل
أسبوع.

٣) من واجب كل أعضاء البعثة أن يتحلوا بأقصى درجات الأدب
نجاه سكان بلاد العرب، وصليهم ألا يجادلوه في دينهم أو
يسخروا منه حتى في ما بينهم وبين أنفسهم.

كما عليهم أن يتركوا جانباً كل ما قد يضايقهم، وعليهم
الحذر كل الحذر من القيام بأي شيء قد يوحي للمسلمين غير
المتعلمين بأن هدفهم هو انتقيب عن الكنوز أو ممارسة السحر أو
جمع المعلومات التي فيها أسامة إلى البلد. كما أن عليهم ألا
يستثيروا غيرة العرب المتأججة أبداً ولا يتصرفوا بما قد اعتادوا عليه
من تحجر أوروبي تجاه النساء وبالرغم من أن هدف هذه التعليمات
لا يمكن أن يكون التنبيه إلى المبادئ الأخلاقية العامة فإننا نحرص
عليهم تحريماً باتناً إقامة أية علاقة حب غير شرعية مع النساء سواء
كن متزوجات أو غير متزوجات، مما قد يؤجج نيران الثأر في صدر
الشرقي.

كما عليهم أن يتجنبوا الشتام حتى ولو استغزوا والآ يدافعوا
عن أنفسهم بالضرب في حالة وجودهم تحت حماية السلطة المدنية
ذلك أننا نعلم خطورة مثل هذا التصرف في البلاد التي يسود فيها
دين الاسلام، حيث يعاقب على شتم المسلم بالاعدام.

وبما أن مثل هذا التصرف سيضر بأعضاء البعثة الآخرين
فإننا لا نحلز منه فقط وإنما نمنع مثل هذا التسرع الأرض منعا
باتاً. ومن يتصرف ضد هذه الأوامر ويضارب بالضرر من جراء
ذلك، فسنتركه يواجه مصيره وحيداً ولن نأزم أعضاء البعثة
الآخرين بالاهتمام بأمره لما في ذلك من خطر عليهم.



تمثال معبد كاريك - تمثال برونزي
لامبرسيا (السادس قبل الميلاد)
ويعد هذا التمثال أحد أهم التماثيل
المجسدة للحضارة اليونانية القديمة
بالسيرة للآلان. وقد أعادوا تصميمه
في المتحف المركزي بباريس.

السبت ١٧ آذار/ مارس ١٨٨٨ : قررنا أن نبدأ رحلة العودة اليوم وكان يصحبني إلى جانب الأمير أخوه الشريف محمد والشيخ وخادمي صالح الجفري وعلي السعودي . وكنت متكرراً في زي فقيه أو قاض مسلم . وهو دور كنت قد استعدت له استعداداً جيداً من قبل . فلقد كان هناك مواطن خيروميين من مواطني صنعاء يتسلل كل ليلة إلى منزلنا في الخفاء ، ودون أن يلاحظه الحشم ، ويعطوني دروساً في الصلاة والوضوء وإمامة الصلاة ، والقاء خطبة الجمعة . كما كان يعلمني الحيل والأعداء المختلفة المسموح بها للمسلم لكي يرفض الامامة أو القاء خطبة الجمعة . وأحضرت شيئاً فشيئاً قطع الثياب المختلفة اللازمة ودون أن يثير انتباه احد . وكانت ملابس شيخ في غاية من التواضع اختارها من خزانة ملايسه . لكن حذارياً ! فلا يظن احد ان تلمص دور مثل هذا يمكن دون موافقة البعض من المواطنين من الخاصة . اقول هذا لكي لا يعتقد من يري نفسه في أوروبا عالماً أو متبحراً في اللغة العربية انه باستطاعته لعب دور المسلم البسيط . فكل كلمة وكل فكرة وكل حركة وكل تعبير يشي بحقيقة الأوروبي .

الخميس ٢٢ مارس ١٨٨٨
تجولنا بعد الظهر لأول مرة في القرية بهدف نسج بعض النقوش . وكنا قد اتفقا على ان يطلب مني الأمير أو السيد نسخ النقوش كلها عليهم واحد منهم . وعندما قلت اني لا ألقه هذا الشيء ولا معنى ما هو منشوش أسامي ، دفعني السيد قسراً الى الحجر للتشويق لثلاث : « انسخ بقية ، فما لترض آخر أحضرناك معنا الى مأرب ، أما معنى هذا النقش فسوف أشرحه لك ان استحسن ذلك » . وكانت هذه الاحتياطات ضرورية فعلاً لان الأيام الاولى ، لأن سكان القرية كلهم والبدو من المناطق المحيطة بها أتوا افواجاً ليشاهدوا ما يُعشبه السيد الفقيه . ورفع الآباء الأتباع على اكتافهم ليرضوا بقصوهم ، وحتى النساء تجمعن في البيوت المحيطة ليشاهدن من الشرف والنوافذ هذا المنظر العجيب .

ومن البديهي أن تجمعاً غفيراً من البشر كان ملتقاً حولي يزاحمني أمام الأحجار . فلم تكن مأرب قد عرفت مثل ذلك من قبل . ولقد تأسفت شديد الأسف لاني تعلمت في شبابه التاريخ الطبيعي مضطراً ، ذلك اني لم استمد من دراسته أية معلومات تقنيدي عن الحياة اليبوسية . وكنت متعجباً بالطبيعة التي تعطي دورسها عن طيب خاطر لكل فتى من قتيان البلد . وكنت اراقبهم باحساس هي خليط من الحجل والتحسر ، فحتى أصغره كان يعرف اسم كل شجرة وكل شجيرة وكل عشب وكل عصفور يطير فوق رأسه ، بل كان يعلم اسم كل نهر يصره وكل حجر يتشرف به . وكثيراً ما

فكرت في ما بيني وبين نفسي :

وأيا الهي ، ما كنت نعن علي بأن أمضي أنا أيضاً حقبة شبابه الذهبي في أخصان الطبيعة الحرة الجميلة حتى أظل محفظاً باسم كل عصفور وكل زهرة .

فيور : قد يكون الاغريق وجدوا الكثير من الذهب في بلاد العرب سابقاً أما حالياً هي خالية تماماً منه وكان إمام اليمن قد أمر منذ سنوات قليلة بصك عملة صغينة من الذهب . لكن الذهب المحلي لم يكن ليبي بهذا الغرض فصهرت عملات أجنبية لتنفيذ الأمر الملكي

ويطالعنا الذهب في المدن التي تزدهر فيها التجارة وموطنه ليس فقط الحبشة وإنما هناك كميات تأتي من البنديفة عبر سوريا والبلدان عبر مصر وبها تؤدي أثان البن والأقمشة والتوابل القادمة من الهند ، حتى أن العرب كثيراً ما سألوني ان كان سكان البنديفة هم الوحيدين الذين يمتلكون مناجم الذهب في أوروبا . بل أن من بينهم من يعتقد ان هناك سرا ما لانتاجه .

السؤال رقم ٨٦ :

لواظظ الملازم نيبوربان الرجل العادي في داخل بلاد العرب يعطي النجوم أسماء غير مذكورة في معاجنا فالتنا نرجومنه تادونها والتعمن في تصورات العرب وخرافاتهم الدائرة حول النجم المعني بالأمم .

نيبور : إن الضرورة المحضة والافتقار للساعة علمياً الشرقي العادي مثله في ذلك مثل الفلاح الأوروبي ان يُراقب مدار الكواكب خصوصاً وأنه ينم في الغراء . وهو مثل الأوروبي العادي يمنع النجوم أسماء مختلفة عن اسمائها العلمية . وليس في لغة العرب أسماء للأبراج الساقية والنجوم تشابه تسمياتها العبرية مثلاً نعرفها من سفر أيوب .

رحلة ادوارد جلازلر الى اليمن السعيد : رحالة في ثياب قاض

ولد ادوارد جلازلر عام ١٨٥٥ في النمسا . وكان والده يرغب في ان يعمل في مكتب للتجارة حينما بلغ السادسة عشر من عمره ، فإيران جلازلر فضل الذهاب الى براغ لمواصلة دراسته فيها على ان يكسب قرنته اليومي باعطاء الدروس الخاصة . وفي تلك الفترة شرع في تعلم اللغات الأجنبية المختلفة . وفي يوم من الأيام شاهد مجلة في إحدى المقاهي بها وصف لرحلة ليفنجستون ، فقرّر ان يصبح بدوره عالماً ورحالة وان يتعلم اللغة العربية وان يدرس علم الفلك والعلوم الطبيعية والرياضيات وعلم مسح الأرض (التوبوغرافيا) . وفي عام ١٨٨٢ ، رحل الى تونس ليحصل لفته العربية ، وغادرها في نفس العام متوجها الى اليمن عبر مصر وجده .

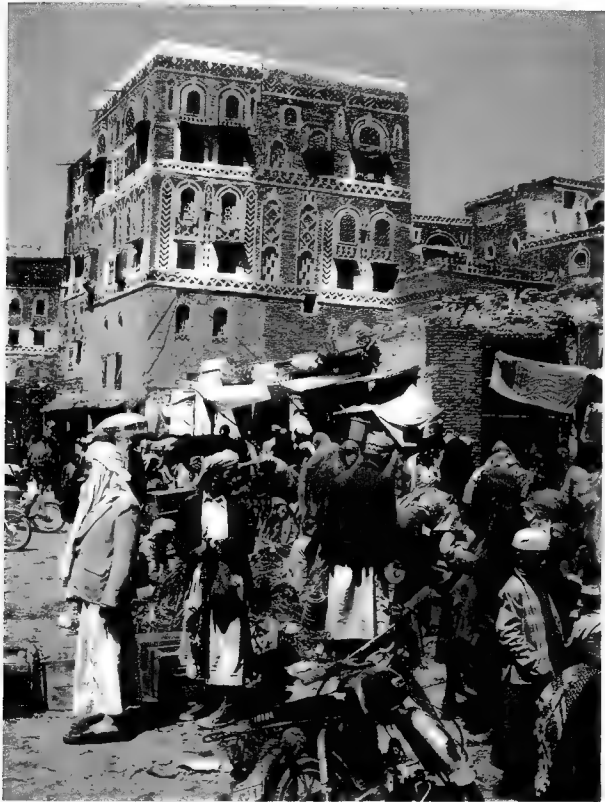
كان جلازلر رحالة وصحفيّاً في نفس الوقت . وقد قام بدراسات أثرية ولغوية وتولوجية مهدها الطريق لكل الذين رحلوا الى اليمن في ما بعد . ومازالت المعلومات الجغرافية في أعماله مهمة الى حد اليوم . ونشر هنا مقتطفات من وصفه لرحلته الى صنعاء ومأرب .



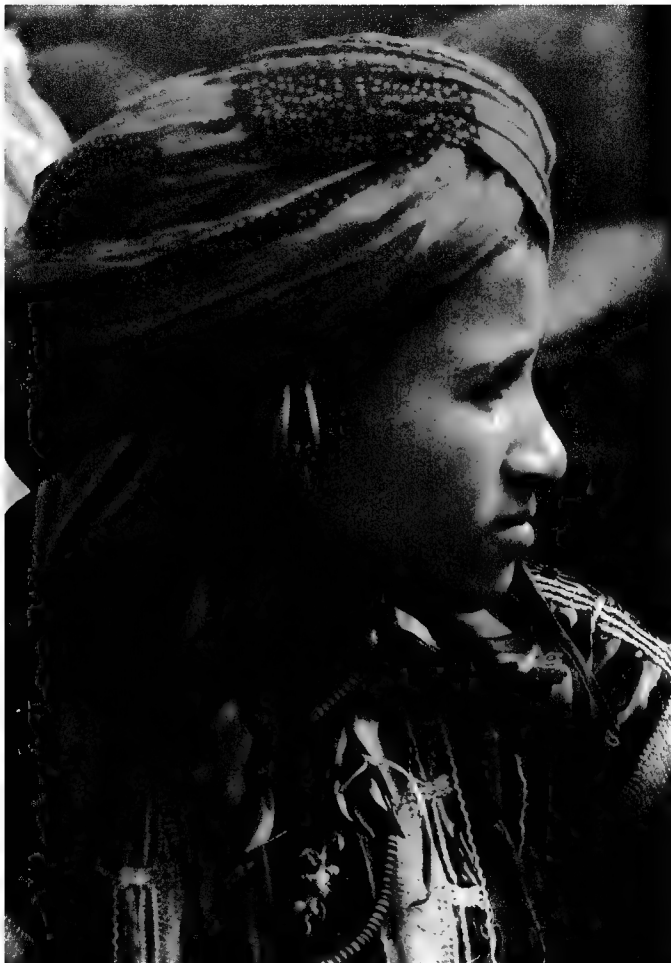
ابوارد جلازور (١٨٥٥-١٩٠٨).



مارتن بوزخاوت الذي كان أول من أمد صبرا عن بلاد اليمن صحيفة معلمه العربي أحمد بن محمد الشراكبي . (صنعه ١٩٠٧)
وقد قتل صحيفة جمع من رفاقه خلال رسالته الثالثة إلى اليمن .



سوق في إحدى شوارع صنعاء القديمة



انقاذ مخطوطات قرآنية نادرة

علماء الاثار الالمان يشرفون على العملية

تلك الخزائنة فوجدوها مكتظة بأوراق الرق والجلود المكتوبة بالخط الكوفي، وقد تسربت إليها بعض مياه الأمطار من الكوة المفتوحة والتي تدخل منها الحمام فتعشش فيها، ووجدت هناك ثعابين كثيرة كانت تعيش في تلك الخزائنة وتصطاد الحمام والعصافير فتقتل العمال منها ماظفروا به منها وفر منها مافر. وقد أصلح الحائل الذي كانت المياه تتسرب منه إلى الجامع، وأعيد وضع الخزائنة إلى ما كان عليه بعد أن أخذ القاضي حسين بن أحمد السياغي مجموعة من تلك الأوراق القرآنية ما ملاحسة أكياس أو أكثر من ذلك وأبقاها في

اليمن السعيد غني بالمخطوطات العلمية النادرة. ويتأكد هذا من خلال عملية العثور على أربعين ألف مخطوط قرآني. يروي تفاصيل هذه العملية، القاضي اسماعيل الاكوع، رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب قائلًا:

وفلما تولى القاضي حسين بن أحمد السياغي وزارة الأوقاف في العهد الجمهوري سنة ١٣٨٥ هجرية (١٩٦٥م) نزلت أمطار غزيرة فخرسفت الجامع من المكان الذي تقع فيه الخزائنة فأمر باقتاد السقف، ومعرفة ما يحتاج إلى إصلاح فيه ففتح عمال البناء



الجامع الكبري صماء

تتناقص شيئاً فشيئاً على يد من أيقن عليها أمرت بإعادتها إلى الحزانة الغربية في الجامع الكبير.

ولما زرت تونس في نيسان سنة ١٩٧٩ رتب لي المعهد القومي للآثار زيارة مدينة القيروان لمشاهدة جامعها الشهير: جامع عقبة بن نافع رضي الله عنه، وشاهدت فيه مجموعة متناقة مما في حوزته من المخطوطات القرآنية الكوفية قد نضدت ووضعت في أمكنة بارزة فقلت في نفسي: ولماذا لا يتم بما تملك اليمن من هذه الثروة العظيمة؟!

شرح عليه الأثر الأسرار الإنسانية في المساهمة في عملية إنقاذ المخطوطات الواردة ذكرها عام ١٩٧٦ وذلك بعد اطلاع الأستاذ «البرخت نوط» (Albrecht Noth) عليها خلال زيارة له إلى صنعاء.

وقد ذلك بمواصفة قسم العلاقات الثقافية في وزارة خارجية ألمانيا الاتحادية اعتياداً على اتفاقية بين الحكومة الألمانية والجمهورية العربية اليمنية بخصوص ترميم وتبويب المخطوطات العربية. وقد أمضيت الاتفاقية بين الحكومتين المذكورتين يوم ٢٧ مارس / آذار ١٩٨٠.

تحتوي المخطوطات على ٧٥٠ مصحفاً مكتوبة على الرق وعلى ٣٥٠ مكتوبة على الورق. ويؤكد عليه الأثر أنها تعود كلها إلى الخمسة القرون الأولى من الإسلام. بل إن البعض منها ربما يكون من أولى المصاحف التي ظهرت. وجعلها مزوّقة ومزخرفة بالذهب وبمواد نادرة.

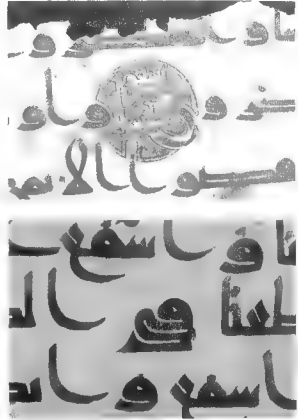
والآن وبعد ستة أعوام من العمل، بدأ عليه الأثر المكلفون بعملية الترميم والانقاذ يفترون من نهاية الأشغال التي استعملوا خلالها أحدث الساليب التقنية الحديثة. ومن الأكيد أن عملية الترميم هذه وكما يؤكد ذلك عليه أثار مرموقون، سوف تضيف معلومات جديدة حول المخطوطات العربية الإسلامية، كما أنها سوف تعمق معرفتنا بأشياء لاتزال مجهولة في مراحل من التاريخ العربي الإسلامي.

ومعلوم أن عليه الأثر الألماني لهم تقاليد تاريخية عميقة بخصوص المخطوطات العربية الإسلامية وخاصة المصاحف القرآنية. ويعود الفضل في ذلك إلى الترجمة الممتازة التي قام بها «رودي باربات» (Rudi Parat) للفرقان.

وسوف يجاول العلماء المشارفون على عملية الترميم العثور على مصادر المخطوطات المذكورة خاصة وأنها مكتوبة بخطوط مختلفة.

أول من أشرف على عملية انقاذ المخطوطات المذكورة كان د. جارت بويين (Gerd Puijn) من جامعة «ساربريكن» (Saarbrücken) الذي عمل بمساعدة عدد من الأساتذة اليمنيين. وبعده كلف السيد «هانس غاسبار غراف فون بوتنار» (Hans-Caspar Graf von Bothmer) الذي ظل مشرفاً على العمل إلى حدود ١٩٨٦. والآن تشرف على مواصلة أعمال الترميم والتوثيق السيدة أورييلا درايبهولتس (Ursula Dreiholtz) التي تعمل في جامعة «ساربريكن» (Saarbrücken).

خزانة الأوقاف، ولكن أمينها السابق غير الأمين تصرف بها بالبيع لهُواة جمع نواذر المخطوطات والتحف، وخسرت من مواطنها ففترقت في بلدان العالم، وقد رأيت بعضها في إحدى المكتبات في دول الغرب (٢٦) ثم مرت سنون وحصل في الجدار الغربي للجامع خلل فيه إذ تزحزحت أحجاره من مواضعها قليلاً إلى الخارج. ويقال لثل هذه الحال في صنعاء: كَرَّش الجدار، فلما خشي عليه من السقوط بعد أن كاد ينقض عزمته وزارة الأوقاف في عهد وزيرها القاضي علي بن عبد الله المعري سنة ١٣٩٢ هـ



خطوط قرآنية نادرة

(١٩٧٢م) على نفق هذا الجدار تحت اشراف هيئة العامة للآثار ودور الكتب التي سارعت قبل نقضه بتصويره وترقيم أحجاره حجرة حجرة لمعرفة مكان كل حجر عند إعادتها وقت البناء إلى موضعها. وكان لا بد من إزالة تلك الخزائنة التي تقع في مقدم سطح الجناح الغربي قبل البدء بنقض الجدار، وجنبا رفع سقفها وجدت أكوام كثيرة من صفحات القرآن الكريم فكلفت المهندسين احمد حسين السباغي ومدير المتحف آنذاك بجمعها وحفظها في أكياس كبيرة فملئت قرابة عشرين كيساً، وأمرت بنقلها إلى المتحف الوطني لحفظها حتى نبت في أمرها، ولمّا عرفت أن كمياتها



نقل الصورة مسجداً. ويستكشف
أن تشاهد الباب والمحراب وبعض
الأشجار والأشجار. وتتم هذه
الصورة النادرة إلى العصر الأموي.

وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ ذُرِّيَّتَهُ لَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ وَإِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ
 لَهَا شَكْرًا وَلَئِنَّكُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ
 لَتَتَذَكَّرُونَ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنْ
 السَّحَابِ كَثِيرًا مِّنْ قَبْلِ الْغَاسِقِ إِذْ
 ظُنُّوا أَنِ الْغَاسِقَ إِذَا وَقَعَهَا أَنَّهَا
 سَحَابٌ مَّاءٌ فَكَفَرُوا بِهَا فَأَخَذَهُمُ
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّحَابَ فَغَدَا
 بِهِنَّ مِنْهَا فَمَا يَصَّالُوا فِيهِ إِلَّا تِلْكَ
 الْأَمْثَلُ وَأَوَّلُ الْغَاسِقِ إِذْ وَقَعَهَا
 فَتَنَّا الَّذِينَ أَنزَلْنَاهُ فِيهَا وَأَخَذَ

في العلاقة بين الشفوي والمكتوب

هاينز شلاف

تكون إلى جانب الكسب المائل للعبان خسائر اقترنت بالتقنية الحديثة قياسات ملموسة ومحددة أيضاً.

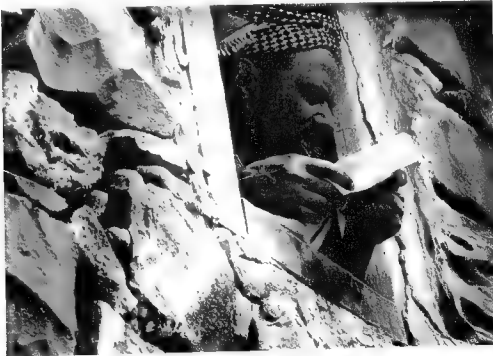
لقد أتى أفلاطون، الذي حفظ في كتاب محاورات استأذه سقراط التي تلقاها منه شفويًا، بأول نقد لهذا الوسط «الكتابة» فقدم بذلك أول نظرية عن «نتائج الكتابة ذات الأثر الثقافي». ويسرد أفلاطون في مؤلفه فيديروس «Phaedrus» اعتراضات سقراط الأربعة على الكتابة:

١- أنها تضعف الذاكرة نظراً لاعتقاد الذاكرة على دعامة خارجية بواسطة دلائل غريبة.

٢- تقدم نصاً صامتاً لاغير للنفترض أن يوسعك الاعتقاد أنها، أي الكتابات، تستطيع الكلام كما لو أنها تفهم شيئاً، بيد أنك تستنطق هذه الكتابات، وأنت شغوف بالتعلم عما تفصح عنه، وهذا تتضمن الكتابات الشيء ذاته دائماً. وهكذا تسلب القارئ

تساعد التغييرات على نقل الأفكار. ومنذ أن تراكمت الدلائل والتكهنات التي تشير إلى أن الكتابة ستفقد مكانتها البارزة بوصفها تقنية الاتصال، اتجهت الأنظار بشكل لاقت للنظر إلى نشأة الكتابة ونتائجها ذات الأثر الثقافي.

إن من يراقب اليوم عن كتب ما يتفق على التكنولوجيا لأحلال الإشارات الرقمية والرموز التصويرية على الحروف الكتابية، ومن يراقب أيضاً النتائج الحتمية الثقافية لاستبدال الكتابة والقراءة بالرؤية والسمع المنقولين بطريقة اصطناعية يشهد، بصورة أسهل من العصر الذي كانت فيه الثقافة الحرفية أمراً بديهياً، إلى تحليل تلك المرحلة التاريخية التي يبرز من خلالها الانتفاك من الحالة الشفوية البدائية إلى الكتابة التحريرية. كان استخدام الكتابة في العصر الكلاسيكي في اليونان ما يزال فنياً للغاية، ولمّا لم تكن الكتابة أمراً مسلماً به على قدر كبير، كان



الحضرات البارزة استخدام أو عدم استخدام الكتابة، وبصورة أخص، الاختيار المستغنى الواردة في النص التي أوضحت استخدام نظم كتابية مختلفة. مع المقارنة الممكنة التي أصبحت بحق مقارنة ملحة للثقافات العصرية مع الحضارات التقليدية تبين جلياً انكسار الوسط «Medium» الكتابي، كما تفيد اليوم الأبحاث الخاصة بالشفوية «Orality» والحرفية «Literality» من مثل هذه المقارنات وسرعان ما أصبح تقويم هذين النمطين من الثقافة مشأراً للجدل. وفي الوقت الذي استندت فيه الفقه إلى توضيح متواصل لامتداه، وقيل كل شيء استرقت إلى إيصال المصرفة من خلال الكتابة والكاتب، قام روسو «Rousseau» بالأجابة عن المسألة الخاصة بجائز أكاديمية ديكونا بالنفي الذي اتسم بالتحدي عن السؤال فيما إذا كان أحياء العلوم والفنون قد أسهم في تطوير الأعراف والتقاليد.

ومنذ مقالة «Discours» 17٥٠ اكتشف روسو أوجه الاختلاف بين أهداف الكتابة التي أسهمت في تجريد المجتمع الحضري وصداراته وبين اللغة البدائية (الحالة الطبيعية الحسنة) «Guten Willen» التي خدعت التعبير الصادق عن الشهوات. تبدو الكتابة كأنها تقرب للوضع الطبيعي الذي لم تكن موجودة فيه سوى اللغة الشفوية فالكتابة التي يتعين عليها في الظاهر تسجيل اللغة، هي تماماً ذلك الشيء الذي تغريه: أنها لا تغير الكليات، بل الروح، أنها تستبدل التعبير بالصدق. حينها يتحدث المرء بمرح عن مشاعره وحينها يكتب بمرح عن أفكاره. صحيح أننا نتكلم، إلا أننا لم نعد نعيش في ثقافة شفوية - لكل شيء - يتسم بالجدلية تسجله تحريراً كالدبابة والحقوق والمعرفة، بتعبير أحق، أنها تواجدنا دائماً بصيغة مدونة.

هل يفترض أن يكون الكلام المنطوق ذا شأن، على سبيل المثال، في الخطاب السياسي أو عند أرواء الشهادات في المحكمة؟ وعلى هذا التحول فإن الكتابة تسبب الكلام المنطوق بوصفها مسؤولة أو تتبعه بصيغة محض. وهكذا يتخلص البلاغ الشفوي كما عهدها في المسؤولية الاجتماعية إلى حد كبير، ويكتسب شكلها العجائز في محادثة «Causerie» طريفة غير ملزمة. لا يتعين على المرء في أقصى تقدير استحضار أو انتفاض التعابير الخرافية المقرضة تدريجياً، إذ تواصل الذكرى التي أصابها الوهن العيش في زمن يكون فيه اختيار المفردة المصححة أو المفردة الخطأ بمثابة شيء يقرر المصير. ولا يمكن لمجتمع ما قبل الأدب أن يواجه ديمومه إلا عندما يتم نقل قوانين علم الإنسان لذلك المجتمع وأدعيته وأقواله الماثورة في السحر بصيغة آمنة من جيل لآخر. ويجعل مثل هذه الأقوال مستمدة وبالتالي متواردة، قامت الثقافات الشفوية بتفجيد جداول الوسائل الحافلة وتنميتها: الوضع الهنيئ للمعنين، إذ تفتك ذاكرتهم المدربة تقنيات رائعة لفن تقوية الذاكرة. تثبيت التساوية الكلمة بواسطة إيقاعات الجسم المنظمة (النبت، والتفنس، والحظوة) بحيث يرافق الوزن والغناء والرقص الكلام، ورسوخ في الذاكرة سياقاً على نحو أيسر: توحيد أنماط التعابير بصيغ تتسم

القدرة التي حصل عليها بوصفه مستمعاً لما يقال وللممثل في توضيح ما هو مكتوب.

٣- تختلف عن الكلام الشفوي، في أنها لا تنحصر ضمن نطاق دائرة مختارة بعناية ودقة من المتعلمين، وإنما تطوف في أذهان أولئك الذين يدركونها وأولئك الذين لا يفهمونها.

٤- يكون كثير مما هو مهم في الكلام المكتوب عن أي شيء مجرد لعبة لأن مؤلف الكتابات لا يكون حاضراً، ولذا لا يستطيع بجديته شخصيته الكاملة أن يكون مسؤولاً عن الموصلة التي يقدمها.

الاطلاون ونتائج الحرفية

يستدل من المنهج الافتراض السليم السابق لنقد أفلاطون على إنجازات جوهرية للكتابة:

١- أنها تخفف العبء عن ذاكرة الفرد وذلك من خلال التهام مضامين الذاكرة في أرشيف متنام للمعرفة الموضوعية بحيث تكون هذه المضامين قابلة للاستدعاء عند الحاجة.

٢- أنها تستطيع بفضل قوامها المادي الاستمراري ومع ذلك القوام المتحرك فك ارتباط علامات تتواصل طويلاً فوق أرضية منتقلة من موضع نشأتها وتصبح مثالة في أماكن قصية وفي سنوات لاحقة، يبد أنها بحاجة إلى الترجمة والتعليق والتفسير لتجاوز الفترات الزمانية والمكانية.

٣- أنها بصفة خاصة تكون في صيغة صوتية - أبجدية سهلة التعلم بالنسبة إلى كل فرد بحيث تصبح المعرفة المنتشرة من طريق الكتابة سهلة للملك بوجه عام، وتضيق بذلك عنصراً من عناصر المجتمع الديمقراطي.

٤- أنها تساهج كاتب وضع مسودتها بمفرده، إذ تفتح أمامه فرصة متابعة الأفكار الجديدة بدون أي أزعاج، ويتعرض في الوقت ذاته إلى مغامرة الأشراف الفكرية للامسؤولية وإلى الخيال الساحر. لم تلق النتائج المحتملة للحرفية التي توصل إليها افلاطون اهتماماً واسعاً في الألفي سنة التالية، نظراً لصيرورة الكتابة وسيلة اعتيادية سهلة للاتصال الثقافي، إلا أن استخدام الفاعل انحصر على فئة اجتماعية مختبة حتى بدت مضامينها أمراً بديهاً لا تشكل أدنى خطر. غير أن اكتشاف الطباعة أدخل بتوازن والحرفية المحددة.

وبالنظر إلى الانتشار السريع لما هو مكتوب بفضل التقنية الحديثة انتقلت الحجج من مغارة افلاطون عن منفعة الكتابة ومضارها إلى المؤسسة الاجتماعية. وإزاء إمكانات سوق الكتاب التوسعية والحصص المدرسية العامة والمطالعة الفردية استخدمت أدوات الرقابة الصارمة والرقائق. ولم تظهر الأفكار الفلسفية الثقافية إلا في القرن الثامن عشر إلى جانب جهات السلطة السياسية ولا تصبح شروط الثقافة الخاصة وأعية ومشيرة للارتباك إلا حينها تعرف على البدائل. لقد حدث ذلك من خلال رحلات الاستكشاف التي قام بها العلماء المراقبون في القرن الثامن عشر واختتمت تلك الرحلات بتقارير الأثر وبولوجيا الثقافية. وعلى ما يبدو كان من ضمن غوارق

التيوغونيا «Theogonia» الشعرية لـهسيود (Hesiod) بالثر الذي اتسم بالعلوم الطبيعية لـ «اناسكسيمندر» (Anaximander) وحتى القرن الخامس إلى أن استبدلت الملحمة التاريخية العروضية لـ «هوميروس» (Homer) بالروائع الثرية التاريخية لـ «هيريودوتس» (Herodotus) و«ثوكيديدس» (Thukydides).

إن كل ذلك جعل النقاش بين هذين الشكلين للاتصال المعرفي أمراً حتمياً. وعلى أترحات الفلاسفة على الشعراء انتك الارتبط المستحكم بين الشعر والحقيقة. لقد وجدت حيثيات ذلك في التلويح التحريري للأساطير الشعرية التي باتت محرماً عليها تكيف اقوالها بصمت بالنسبة إلى متطلبات ذلك الزمن الحاضر والبقاء وصادقة: أو بالاحرى كانت نصوص الأساطير معرصة لتقادم الزمن والنقد. ومع أن هذا الاعتراض للتصور الفلسفي إزاء العالم المتعدد الألوان للقصص استند إلى التناقض القائم بين الصيغة الكتابية والصيغة الشفوية، إلا أنه كان مع ذلك ساري المفعول ولايشكل معياراً سائداً في الثقافة العلنية الشاملة للصور القديمة. وعلى الرغم من أن افلاطون كان قد كتب محاوراته، إلا أن المهة الملقاة على هذه المحاورات كانت في إعادة تقديمها بصيغة معادلات وإثارة الاهتمام ولحت على تلك المحادثات.

وتمتة تناقض مشابه في المسألة الأفريقية. لقد كان ادراكها للدولة المدنية اليونانية (Polis) يكمن في أنها عرضت مرة واحدة فقط، بيد أن المأساة ظهرت في كتاب وواصلت ديمومتها في الكتاب حتى وإن كانت الحياة الأدبية بالنسبة لتاريخ الأدب الأوروبي ذات شأن؛ كما هي الحال بالنسبة للمكان والزمان اللذين لم يكونا على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لتحقيق نشأتها الأصلية.

أرتاب اليونانيون والرومان بإمكانات الكتابة الأكثر منطقية وبالاتصال القائم بين المؤلف الوحيد والقارئ الوحيد.

ولقد تمسكوا بالمثل العليا للعلائية السياسية، التي يستطيع جميع المواطنين الأسهم بها في وقت واحد على الرغم من أنهم اكتشفوا مع الكتابة الوسائل التقنية القادرة على مجابهة هذه العلائية. وبالتالي، فقد ترتب على هذه التبعية نتائج وخيمة بالنسبة للدولة المدنية اليونانية (Polis) بحيث استطاع الفرد من خلال المطالعة الشخصية وبفضل حيازته على الكتاب، استدعاء ما كان مثيراً سابقاً في غيخته ثانية حتى أصبح الوجود الشخصي الذي لا يكثر بالاحداث السياسية صيغة الوجود التي تبعت على الرضا.

ولاتتحد العلاقة بين هؤلاء الناس الأفراد المثقفين إلا بالتسامح بين القراء الذين يقرأون كتباً شتى وليس بمشاركة المستمعين الذين يستمعون إلى الشيء ذاته.

لقد بدا الأمر معرباً بالنسبة إلى اليونانيين حيناً أثرت الكتابة نشأة شيء ثالث بين الحقيقة والكسب، أي، الوهم. فالثمة المكتوب بعد أمراً ثابتاً، وعلى الرغم من ذلك، فهو غير جدير

بالتكوار: التقسيم الثابت لأساليب الكلام حسب الطول والوزن واللحن والطبقة الصوتية والمناسبة الأمر الذي يؤدي إلى تكوين عدد محدود من الاجناس التي تنسجم مع انواع التنظيمات في مجالات الحياة: الالتقاء العلني هذه الخطب الثابتة في أيام المناسبات والاعياد حتى يلم به الجبل الصاعد منذ مرحلة الشباب.

لقد تم اكتشاف عناصر اللغة التي تنصرف عليها اليوم بصورتها الشعرية بوصفها وسائل مساعدة لتقليد يستند إلى الذاكرة. وفي هذا المعنى الذي هو معنى تقي يصعب تخمين الرومانسيين، بالاحرى صائباً، ذلك أن اللغة البدائية للبشرية كانت لغة شعرية، حقيقة تاريخية، غير أنه في واقع الحال، كانت الغاية الحقيقية للثقافة الشفوية تأمين المعرفة الاجتماعية وليس إفراز الشعر.

وفي عصر لاحق سادت فيه التفتيات المرحجة لحفظ المعرفة تبدي التفتيات القديمة التي أصبحت وسيلة لا ضرورة لها لتعليم أسرافاً غربياً يشير الدهشة وتصعباً للامكانيات اللغوية التي تكتسب اعتباراً جديداً بوصفها شعراً في ظل السحر الذي لا موجب له. وما لأرب فيه يخلل الكلام المهم المزود بوسائل شعرية مكانة خاصة في الثقافة الشفوية من حيث أنه بين الانحراف عن اللغة اليومية العادية بوصفه إشارة للأهم المتأينة من قوى جبارة. أنه كلام عن أومع الألهة أو العفاريت (اعتقاد يساعد بطبيعة الحال على عدم نسيان النص وجعله ثابتاً).

وإن هذا المظهر لأصالة الكلام الشعري يث نبض الحياة منذ الآن فصاعداً في اجبال الشعر والشاعر بوصفه «تابناً» حتى في العصر الذي تسود فيه الصيغة الكتابية. ويرجع أصل مفاهيم الأدب الأوروبي وصيغة ومواده إلى اليونان حيث تم هناك تدوين أولى الملاحظات والمذكرات» الكتابية التي كانت حتى ذلك الوقت شعراً شفويّاً موروثاً. وفيها عدا ذلك لم يمحذ في أي مكان آخر نقل ثقافة الذاكرة ليجتمع تسود فيه الشفوية في أرشيف للكتابة يمثل هذه الصفة الشمولية. وبالنسبة إلى هذا الانقاذ المحفوظ كان الظرف هو المسؤول في أن اليونانيين بخلاف الحضارات الراقية الشرقية القديمة لم يعرفوا أية كتابة حتى القرن الثامن قبل الميلاد، ولكن فيما بعد استعاروا أفضل نظام للكتابة آنذاك، أي كتابة المقامع الفينيقية، ثم قاموا باستكمالها إلى أبجدية صوتية أجازت نقل اللغة بحروف أخرى على نحو دقيق لها مواتر من احتياطي ثقافة الذاكرة، ذلك الاحتياطي الذي لم يزل كاملاً غير منقوص.

فك ارتباط الشعر والحقيقة.

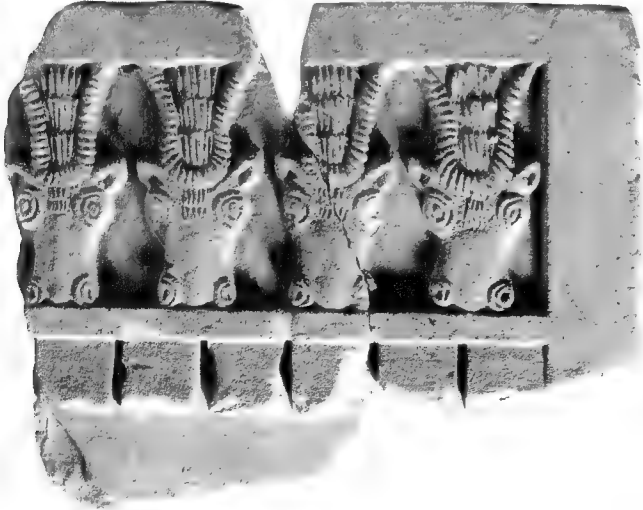
ظلت الثقافة الشفهية في اليونان، على الرغم من اكتشاف الأبجدية، مثالة على نحو مزدوج: من خلال تفوقها الوحيد إلى قرابة العصر الكلاسي ومن خلال توثيقها الشامل والدقيق بفضل أداة الكتابة الصوتية بالذات. ولكن مع ادخالها في القرن الثامن قبل الميلاد لنسج المجال من حيث الأساس والتدوين بصيغة نثرية، فقد استغرق ذلك حتى القرن السادس إلى أن استبدلت

بالغة.

إن من يقول وأناة يقصد بها في الحقيقة هذه الـ وأناة. ولكن من كتب وأناة لا تعد الـ وأناة بالنسبة للقارئ الذي يمسك الكتابة بيديه أمراً ملموساً. الكلام والمصاع يحدثان في أن واحد، وبين الكتابة والقراءة ثمة زمن ماضي دائماً. فالكلمة وأناة المكتوبة هي غائبة، وعليه يصبح حاضرها وهماً. لقد كانت الأسماء المعنية بالأحداث والمناسبات في أغاني سافو Sappho أو الكايوس (Alcaeus) بالنسبة للمستمعين آنذاك واضحة، أما بالنسبة إلى القراء فيما بعد، فقد باتت الأغاني نفسها غير واضحة ويكتنفها الغموض وهكذا تتعرض القصائد كافة إلى الشك في أمرها، فهي إما كذب أو تضليل. كما احتاج الأمر إلى إجراء نقاش طويل حتى تمكن أرسطو من الاعتراف بالوهم الشعري بعنوان «Mimesis» المحاكاة أو ذلك بإعطائه مكانة خاصة تقع خارج إطاراً أما للحقيقة أو الكذب.

لقد كانت تأثيرات الكتابة في اليونان الكلاسيكية ذات شأن أكبر من الفرض المرسوم للكتابة عند تطبيقها. وبمجرد أن تلتفت الكتابة المهام التي كانت تقع في السابق على عاتق الذاكرة، فقد

استطاعت الطاقات المخفية بعد تحرورها أن تتجه إلى ذلك الفكر التصوري الذي أنبثقت عنه الفلسفة والعلوم اليونانية. ولا يمكن أن يقوم الفكر الشكلي المنطقي بدون الكتابة، إنه كامن في عملية الكتابة، بيد أنه يتطلب اختيار الكيات وتركيبها بشكل مدروس. وفيما إذا كان الكلام الشفوي قد أفلح فإن ذلك يقتضي في الأحداث «actu» فهو يتعذر الغائز: «وإزاء ذلك أصبح بالإمكان تخطيط النصوص التحريرية على المدى البعيد. فالمسودات تساعد على التخطيط واسترداد قراءة ما استحضري في الذهن مما سبق كتابته. وما هو جدير بالذكر، أن التشطيط والمسح بلغيان ما هو مكتوب. ولم يكن باستطاعة المرء تحقيق فكرة ما يمكن القيام به، تلك الفكرة التي فطن إليها المثقفون اليونانيون والسياسيون والمهندسون في القرن الخامس قبل الميلاد بدون الخبرة المتراكمة من جراء الكتابة بالحروف الأبجدية، لأن هذه الفكرة تسمح بصياغة تصورات جديدة بمنزلة عن صلات الحياة المحددة وتدوينها بصرامة Stringenz» منطقية، وعندما لا يتفهمها المعاصرون فإنهم يتركون أمر قرار الحكم إلى الأجيال المقبلة. ففي الوقت الذي لا يكتب للموروث الشفوي الاستمرارية إلا عندما يتم نقله بشكل متواصل



التي تمت دراستها، ذكرى عصرها الأخرى واستخدامها من قبل الأمين بحيث يمكن سماع اعتراض الصيغة الشفوية ضد الصيغة الكتابية اللاحقة.

رغبة الشاعر في أن يكون قاصاً

كان الشعر في بلاد اليونان من بقايا "Relikt" الثقافية الشفوية، أما في العصر الحاضر فقد أصبح الشعر عامياً لها. وهكذا أراد كتاب الملحاح البطولي منذ العصور الوسطى إثارة الاهتمام إلى الظاهر الذي يبدو فيه كما لو كانوا مغنين وقراءهم مستمعين. وقد اختلج (رابليه) "Rabelais" في مقدمته لمؤلف "Gargantua" في أنه لم يكتب هذا الأثر في المكتب وإنما في إحدى الولايم بين وجبات الطعام والشراب وما يذكر أن الكتاب تظاهروا حتى القرن التاسع عشر والعشرين بانهم قاصصون كما قلدا نبرة السرد الشفوي، إذ تبتدأ القصائد المكتوبة تحريراً كأنها "أغاني" تواصل ديمومتها في الواقع في ظل الغناء وتعد أغاني شعبية مجبولة. وحتى الرواية، حيث أن حجمها هودليل على تطورها في التصريحي، تأخذ بنظر الاعتبار منذ زمن طويل تقاليد البلاغ الشفوي، إذ تبتدأ قصتها بصورة مستقيمة وتسريدها على نحو برهاني، كما تقدم تلك القصة بكتابات واضحة جلية. وهكذا، فإن القارئ، كما لو كان مستمعاً، يتأكد من كل موضع من كل موضع من مواضيع القصة من الفهم الصحيح دون الحاجة إلى تذكر النص بأكمله. إن علاقة التذكر والنسيان هذه المستعارة من الشفوية لا تتغير إلا في بعض الروايات مثل رواية "والانساب المخفأة" (Wahnenwandschaften) لـ "دروشه" أو رواية "الترية العاطفية" (Education Sentimentale) لـ "فلويسر" أو "بوليسيس" لجويس.

فالنص هنا موضوع بشكل حيث أن فيض المعاني التي يمنح اليه النص في كل تفصيل من تفاصيل الأثر يفيد منها ذلك القارئ فقط الذي يقيم صلات مع فقرات أخرى (للأثر أو مع باقي الأدب). ويتنصع بالرائي من مزايا التدوين التحريري للتصويع. وبمع اجناس العروض على اختلافها، والتقليد البلاغي، والطوبولوجيا انتهى في القرن الثامن عشر أثار الماضي الشفوي في الأدب الأوروبي. فهذه الأصناف مهما بلغت درجة من الوهم والافتقار إلى هدف جاد، فهي لم تزال تعيش في ذكرها بطريقها السابقة التي يمين عليها تأقيتها في الواقع المعيش للثقافة التي كانت تسودها للذاكرة. وترسخت تدريجاً الظروف التحريرية لإنتاج والتلقي في الأدب الجديد للمعدين الآخرين: كتاب ومكتبة وطويلة كتابة وأخيراً آلة الطباعة. وفي ظل هذه الظروف لم تمتد نشأة الأشعار بل "النصوص": مؤلفات كتابية متواصلة واقعية تتسم بتراكيب خارجة عن الطرق المألوفة، منسقة بأسلوب فني. لقد مضت ألفا سنة ونصف حتى أصبحت نتائج الحرفية منقطعة.

ترجمة: إقبال ايوب

● سافو: أواخر القرن السابع، أوائل القرن السادس قبل الميلاد، شاعرة غنائية يونانية، لم يبق من آثارها غير شذرات قليلة.

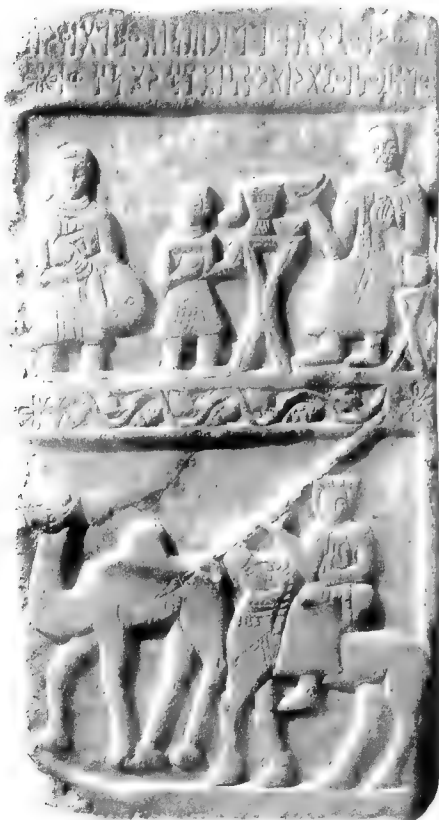
وبلا لغزات، فإن النص المكتب تحريراً يمتلك، بمجرد أرشفته وأن كان غير مقروء، فرصة أن يؤدي مفعوله في المستقبل حتى بعد فترة طويلة من خزنه. وفي هذا الجانب نراه يتمتع باستقلالية ذاتية وطبقاً لذلك يتغير الطابع الاجتماعي للمعرفة عند الانتقال من الحالة الشفوية إلى الحالة التحريرية: ففي الثقافات الشفوية يقوم كسر السن بتشكيل هذه المعرفة، إذ تتبع حكمتهم من خبرتهم الطويلة بالتقليد.

وبخلاف ذلك، أي في الثقافة الحرفية المتطورة، نرى أفكار الشباب الطارئة تحدث ثورة في موجودات المعرفة الموروثة. ولا مناص من شروط خاصة للأطال كي تتطور النتائج الحتمية للحرفية من المعاني الضمنية للكتابة "Implikationen".

وما دامت الكتابة مرتبطة بالنصب الصخرية والمهام ذات العلاقة بالعبادة كما هي الحال في مصر، وتقتصر على صفوف اجتماعية معينة، كما في الصين، أو تكون حكرًا على ميادين دينية خاصة كما في الهند أو في أوروبا القرون الوسطى، فأنها لا تطور متفهمها الملازمين لها وما الطاقات الاجتماعية. ومن الجدير بالذكر أن الكتابة الدنيوية لم يكن بوسعها النجاح في مسعاها بهذه السرعة في بلاد اليونان بدون الظروف الجلية الشأن الظاهرة للعيان، وبدون الظروف التي قد تبدو ذاتية، وغياب رجال الدين والكليروس وأستبراد البردي. ويبدو تحريك سلسلة من السببية التنازلية تحتاج التوضيحات إلى كميات معينة. ولغة شيء مماثل نلاحظه في العصر الحديث، إذ لا تتضح التأثيرات المحتملة لطباعة الكتاب فور تصنيعه. لقد أدخل نظام مكتبي كقوة منذ القرن الثامن عشر بعد أن اجري تخفيض على تصنيع الكتب، كما تم بلوغ القدرة القرائية بشكل عام. ولم تصبح الكتب إلا في الوقت الحاضر - بقدر مماثل أو بقدر أعلى في القريب العاجل، ممكنة وسهلة المنال، كما كانت حال الكتب في العصور القديمة. كان يتعين على الناس في العصور الوسطى أن يقدوا الكتب، وهكذا استطاعت المعرفة الانتشار ببطء. أما في العصور القديمة كما في العصور الحديثة فالكتب هي التي تقصد الناس بحيث تتراكم المعرفة بسرعة مذهلة.

تنقسم الشفوية والكتابية في دول أوروبا العصور الوسطى وبداية العصر الحديث إلى لغتين. ولقد كانت أغلبية الشعب، بما في ذلك طبقته الأرستقراطية تعيش في أطار من ثقافة لم تحظ بلغة كتابية خاصة إلا بتدريج جميع الملهجات المحلية. غير أن فئة صغيرة حددت لهم تعليمية، تعلمت اللغة اللاتينية في المدرسة على أنها لغة عليا ثانية فاللغة التي يتم توارثها بالصيغة الكتابية لا يمكن أن تكون لغة الأم، فضلاً عن أنها لم تكن مفهومة خارج المؤسسات الأكاديمية، ولذا أصابها الجمود في السكولائية التحريدية "Scholastik" وفي البلاغة "Rhetorik" أيضاً ولم يرفع هذا الانقسام إلا في القرن الثامن عشر بحيث أصبحت اللغات القومية منذ ذلك الحين خصصة بجميع المهام الملقة على الكتابة.

ومع ذلك تدوم في هذه اللغات الجديدة، بخلاف اللغة اللاتينية





اغنية حب وموت حامل العلم كريستوف ريلكه

راينار ماريا ريلكه

المقدمة :

إن العمل الشعري أغنية حب وموت حامل العلم كريستوف ريلكه Die Weise von Liebe und Tod des Cornets Christoph Rilke (وهو مكتوب بأسلوب قصيدة النثر) يمزج بين بعض المعطيات الجغرافية (معطيات السيرة الذاتية) وعمل الخيال. موضوعة القصيدة - الحكاية شديدة البساطة: شاب يتطوع في الجيش النمساوي، ويُعين من قبل الجنرال المهيب الجانب «سبورك» حاملاً للعلم، ويشارك في صد الأتراك، بعد أن يعيش ليلة غرام شائعة مع «الكونتيسة». ويقع في المعركة، ميّزاً من بعيد، هولوواك المحترق.

خضع هذا العمل لتعديلات عديدة من لدن الشاعر. فهو قد كتب سيفته الأولى في ١٨٩٩. ثم أعاد كتابته في ١٩٠٤ ونشره في مجلة شهرية في براغ (مجلة «العمل الألماني» Deutsche Arbeit) ثم أعاد كتابته مرة أخرى ونشره في صحيفة جديدة نهائية ببرلين في أواخر ١٩٠٦. غير أن الانتشار الواسع للعمل لم يتحقق إلا في ١٩١٢، عندما ظهرت القصيدة في منشورات «أنسل» Insel التي ستعهد منذ ذلك الحين بنشر أعمال الشاعر. وحقق العمل الصغير انتشاراً وشهرة لم يعرفها عمل أدبي قبله، منذ آلام فيتر وفروته. وساهمت في انتشاره بالطبع عوامل عديدة، منها حيوية النash، وكون العمل خضع لتصحيحات متتالية من قبل الشاعر. ولكن بخاصة لأن ظروف الحرب العالمية الأولى جعلت الكثير من المجندين والشبان يجدون مثلاً لهم في هذا الشاب ذي السيرة الفروسية القليلة،

المطمئنة بفصول غرامية ساحرة. وقد بلغ انتشار العمل، والاستخدام السياسي، الذي تعرض له في التعيشة للحرب الأولى، أن حُرِّقَ مراراً عديدة، وأصبحت أسبقيات كاملة تُعقد لقراءته. وكان أن رُشِّحَ الشاعر لنيل وسام «فرانسوا جوزيف» من يدي الإمبراطور شارل، ومع أن الترشيح تَوَجَّه بالنجاح، فإن الشاعر، الذي أبدأ لم يعترف نفسه ونمساوياً جيداً، اعتذر عن قبوله، متعللاً برغبته بالمحافظة على «حياة عقل» أي بعيدة عن الأضواء.

إلا أن قارئ ريلكه، في ما وراء هذه الاعتبارات الظرفية، انما يجد في هذا العمل أنموذجاً على سعة خياله الشاعري وبساطته العميقة، وكذلك مثلاً على عمق رينه اللغوية التي تتجلى هنا عبر لوحات ومجل طويلاً تارة، وبألغة الواجهة تارة أخرى. ثم انه يجد وراء حكاية الشاب ريلكه، التي تتنوع في القرن السابع عشر، والتي يقول الشاعر انه عشر على عناصرها ومعطياتها في بعض الارشيفات والوثائق العائلية، نقول يجد وراءها تحقيقاً عبر الفن لحلم قديم لريلكه، الذي دخل في صباه الكلية العسكرية واضطر لمخادرتها لحزالة الجسافي. ان اكثر من رسالة لامة، وفيها بعد لابنته، تكشف عن أنه لم يتجاوز تماماً تلك الحلية، وأن نوعاً من الفروسية بقي يشكل مثله الأعلى لزم طويل. ولاشك ان هذا العمل الموجز، والفريد، قد لعب هنا دوراً ومظهره إذ مكن هذا الحلم من أن يجد سبيله الى التحقيق... عبر الكلمات.

المترجم

راينار ماريا ريلكه :

رسم لينوت باسترك والد الشاعر الكبير يوريس باسترك

اغنية حب وموت حامل العلم كريستوف ريلكه

راينار ماريا ريلكه :

التسلم بموجبه لاغياً في حالة رجوع شقيقه كريستوف الذي نصّت شهادة وفاته على انه كان، ساعة وقوعه، حاملاً للعلم في فرقة البارون «بيروفانو» التابعة الى فوج فرسان الامبراطورية النمساوية الذي كان يقوده «هيستر».

(١٠٠٠ في ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٣، تسلم أوتوفون ريلكه، في «لانغنو» و«غراينيتس» و«تيسغرا»، في مقاطعة «ليندا»، حصّة الارض التي تركها شقيقه كريستوف الذي لقي مصرعه في هنغاريا. الا انه كان عليه أن يمضي على رسالة تنازلية يكون

خَبَبٌ، خَبَبٌ، خَبَبٌ في النهار، خَبَبٌ في الليل . والقلب مُتَهَكٌ والحزنُ كبيرُ جدا . لا جبال - بالكاد شجرة . لاشيء م يعرف على الظهور . أكراخ عجيبة، مقعّة قرب أبار ظمأى، يملؤها الوحل . ما من برج في الأفق - دأباً المتظر نفسه . للمرء عينان زائدتان . في الليل، نحسب أحيانا أننا نعرف الطريق . ولكننا ربا قطعتنا في الظلام، ثائبة، للرحلة التي اجتازناها بعناء تحت شمس غريبة . ذلك جائز . ثقيلة هي الشمس، كما عندنا في عز الصيف . ولكننا في الصيف ودعنا الأهل . طويلاً، بقيت فساتين النسوة تلمع في المروج . وما نحن أولاء فوق خيولنا منذ زمن . انه الحريف بلاشك . هناك، على الأقل، حيث تعرفنا نساء حزينات .



يسوي «الأنغي» • جلسته على صهوة جواده ويقول: «سيدّي المركز» . . .
بقي جاره الفرنسي الظريف يتكلم ويضحك ثلاثة أيام . وما هو الآن متعب . كصغير يستبد به النعاس، تجمع الغبار حول ياقته البيضاء الدنتلية المرففة . لا يلاحظ ذلك . يتكلم ويودا ويودا على صهوة جواده المخملية .

ينسم «الأنغي» مع ذلك ويقول: «ان لك عينين غريبتين، سيدّي المركز . يقيناً أنك تشبه والدتك» .
يتورد خدّاً الفتى الفرنسي . ينفض عن ياقته الغبار: كأنها جديدة!



أحدهم يتحدث عن أمه . هو بلا شك ألماني . يُحْكَمُ كلياته بصوت عال، مترث . كفتاة تشد باقة من الزهر وتجرب، بانتهاء، الأزهار واحدة تلو الأخرى، لا تعرف ما سيظهر من الكل: هكذا كان يوزن كلياته . من أجل الفرح؟ من أجل الحزن؟ الجميع يهرف سمعه . حتى الضاقرون هاهم أخيراً يصغون . ذلك أنه ليس هنا غير سادة شديدي اللياقة، وحتى أولئك الذين لا يفقهون الألمانية، هاهم يفهمونها على حين غرة، ويحسون ببعض الكلمات: «في السماء . . . أيام كنت صغيراً . . .»



هاهم يتحلقون أخيراً، السادة الذين أتوا من فرنسا ومن برغونيا، من البلاد الواطئة ومن وادي كارنته، من قصور بوهيميا ومن لدن الامبراطور ليوبولد . ذلك ان ما يرويه أحدهم، كان الجميع عاشه، وعلى هذه الشاكلة نفسها بالذات . كما لو لم تكن ثمة غير أم وحيدة .

هكذا ندخل، على ظهور جيادنا في المساء. مساء كسائر المساءات. من جديد نصمت، ولكننا نحمل معنا كلمات مضية. يرفع المركز خوذته. شعره البني بالغ الرقة، وعندما يجني رأسه، يتداعى الشعر فوق علباته بحركة شبه أنوثية. هاهو «اللاتفي» يلحمه بدوره: في البعيد شيء ما يتلح برأسه، لا تدري أي شيء هو، محتم وأهيب. عامود متوحد يتفتت. بعد هذا، بعده بزم طويل، يتذكر أنه كان مثلاً لهم.

في العراء نُحْمِم. نشعل ناراً. نتحلّق حولها وننتظر. ننتظر من يبدأ بالغناء. غيران الجميع قد استبدّ به التعب. وثقل هو الهوج الأحمر، يستلقي فوق الأحذية المترية، يحفز حتى الركب، ويندس بين أكفنا المضمومة. لم تعد لديه أجحة. ومعمته هي الوجوه. غيران عيني الفرنسي الشاب تسطعان بوهة، بضوء نادر. قبل وردة قصيرة: حرة هي الآن في أن تدبّل على صدره. أبصره «اللاتفي»: كان غير قادر على النوم. يفكر: «ليس لدى من وردة! ليس لدى من وردة!» ولم يشرع بالغناء. أغنية قديمة حزينة تغنيها فتيات بلاده في الحقول، خريفاً، عندما يقارب موسم الحصاد نهاياته.



يقول له المركز: «انك فتى يا صباح». فيجيب «اللاتفي»: «نصف حزين نصف غاضب: «ثاني عشرة».

ويصمتان. فيا بعد يسأل الفرنسي: «لديك هناك أيضاً خطيبة، سيدي اليونكر؟» «وأنت؟» يجيبه «اللاتفي»: «هي شقراء مثلك».

ويصمتان من جديد، إلى أن يصرخ الألمان: «فيا تفعل بالله هنا فوق جوادك، عبر هذه البلاد المسمومة، ساعياً إلى ملاقاته هؤلاء الملاعين الأتراك».

يتشم المركز: من أجل العودة. «اللاتفي» يبدو متعباً. يفكر بفظة شقراء كان يلعب معها ألعاباً وحشية. يريد أن يعود، ولوللمحظة، للزمن الكافي لأن ينطق أمامها بهذه الكلمات: «والعفويا ماجدلينا، لأنني كنت هكذا دائماً. كيف؟ يفكر الشاب. ولكن ها قد أصبحنا بعيدين.



ذاتُ صباح، كانوا هنا، فارساً، ثم آخر، ثم أربعة، عشر... كلهم حديد: عاقلة! ثم ألف فارس، ومن وارتهمُ الجيش. ساحة الانفصال هي هذه. «عزوداً ميوناً، سيدي المركز. «حرسك العذراء، سيدي اليونكر».

ولم يكن بوسعهما أن ينفصلا. كانا صديقين وهاهما الآن شقيقتان. محتاجان إلى مسارات جديدة، ذلك أن كلّ منهما يعرف عن الآخر أشياء كثيرة. يتمهلان. ومن حولهما استعجال وضجيج جرّمات. إذ ذاك ينزع المركز قفازيه اليميني، الواسع. يخرج الوردة الصغيرة، ينزع عنها ورقة كما يُسَمَّ رقيق القربان: «وصف تحفظك هذه. «وداعاً». منهشاً، يتبع «اللاتفي» الفتي الفرنسي بنظرته طويلاً، ثم يدس الوردة المعجبة تحت قميصه، قميص المحارب. هي ذي تملو وتبسط فوق مويجات قلبه. البوق. يرتكض بجواده في اتجاه الجيش، هو اليونكر. يتشم بكأية: امرأة غريبة تحرسه.



نهار كامل في قافلة المؤونة. سباب. ألوان وضحك. بلاد باهرة بهذا كله. يصل فتيات مُرَقَّشون: شجار وضحك. تأتي فتيات بقبعات أرجوانية فوق شعرهنّ المائم. نداءات. يأتي خدم سود من الأسلحة التي يحملون، كليل تالته. يقبضون على الفتيات بمثل هذه الحمية بحيث تتمزق الفساتين. يعصروهن على حافات الطبول الضخمة. وتوقظ المقاومة الأكثر بأساً للأيدي النافقة جميع الطبول، وكما في الحلم هاهي ذي تدوي، تدوي. في المساء نقيم له فوانيس. فوانيس عجيبة. تبيد يتلألاً في خَوْفٍ حديدية. نبذاً أم دم؟ أم بقدر أن يميز؟

أمام «سبورك» أخيراً . إلى جواده الأبيض يقف «الكونت» . لشعره المسترسل لمعان الحديد . لم يكن «اللانغني» بحاجة إلى أن يسأل . ميز الجنرال على الفور ، فقفز من على حصانه وإنحنى وسط غمامة من الغبار . يحمل رسالة تقدمه للكونت . غير أن الأخير يأمره : «فلتقرأن علي هذه القصاصة» . لم يحرك الكونت شفتيه . هما للقسم تصلحان . والبقية يتكفل بها ساعده . كفى ! وبدأ مكتئباً . كان الشاب قد أكمل قراءته منذ زمن غير قليل . ولا يكاد يعرف أين هو الآن . أمام «سبورك» ، تغلم جميع الأشياء . صفحة السبأ نفسها تلاشت . إذ ذلك يقول «سبورك» ، الجنرال الفخم :

«ستكون حاملاً للعلم» .

وهذا كثيراً

كانت الفزقة خيمة وراء «الراب» . بنمها «اللانغني» وحيداً فوق جواده . في السماء ، يلعب قريوس صوته عبر الغبرة : هوذا القمر يرتفع . يصوره عند مستوى كفيه . يحلم .

غير أن شيئاً ما يصرخ في اتجاهه .

يصرخ ، يصرخ .

يمزق حلمه .

ليست هذه ببومة . ياسباه ، انما الشجرة الوحيدة في المكان تصرخ نحوها

– يا هذا !

يجلئ : شيء يتلوي . جسم إنساني يتلوي على طول الشجرة . امرأة ، فتية ، عارية ، ومدممة .

تنفض عليه : انقلني !

ويقفز من على جواده في الريف المظلم .

ويحل حبالاً كانت سابعة في الدم .

ويرى إلى عينها تتلألأ

والى اسنانها وهي تمض .

أكانت تضحك؟

يُفسرُ بدنه .

وها هو من جديد فوق حصانه .

يجب في الظلام ، عاصراً بين كفيه حبالاً دائمة .



يكتب «اللانغني» رسالة . إنه منهك . ببطء ، يرسم احرفه كبيرة ، مستقيمة وجادة .

والدتي الطيبة ،

كوني فخورة : انني أحمل العلم .

لا تقلقي : انني أحمل العلم

أحبيتي : انني أحمل العلم . . .

ثم يعصر الرسالة في قميصه ، يضعها في الركن الأكثر سرية ، قرب ورقة الوردة . يفكر : ها قريب ستكون الرسالة مضمخةً بأريج الوردة . ويفكر : ربها وجدها أحد ، ذات يوم . ويفكر : . . . ذلك ان العدو قريب !



تمرَّحيوهم بفلاح مذبوح . عيناه مفتوحتان على سمتهما . شيء ما فيها يتمكس : لم تكن ثمة من سبأ . فيها بعد ، كلاب تنبح . وها هي أخيراً قرية . وراء الأكواخ ، تنفض قلعة بُنيت بكاملها من الحجر . يمتد نحوهم الجسر الواسع . وتتوسَّع البوابة . عالياً ، تصدح الأبواق مرَّحية .

أصخب : صخب ، قعقة سلاح ، ونباح . صهيل في الحوش . وقع حوافر ، ونداءات .

استراحة: أن تكون أخيراً ضيف أحدهم. أن لا تشيع دائماً رغباتك بنفسك، بزاد فقير. ألا تحسك دائماً بالأشياء بكف عدوة. أن تدع غيرك، مرة واحدة على الأقل، يقيم بكل شيء وأن تعرف: كل ما يحدث حسن، الآن. الشجاعة نفسها يجب أن تتعدد، وتتكرر على نفسها في أعطية حريرية. ألا تكون عارياً على الدوام: أن تحمل مرة واحدة درعك مفتوحة، ويأقتك العريضة مشرعة، وأن تستريح على أرائك وتحس بنفسك، حتى اطراف أصابعك، كما أنت بعد الاستحمام. أن تبدأ تتعلم من جلدك كيف هُن النساء. كيف هُن البيض وكيف هُن زرقاوات السحنة. أية أيو هُن، وأي غناء هو ضحكهن حينما يعمل الصبيان الشقر كؤوساً جميلة مترعة بشجار شهية.



كانت استراحة في البداية. ثم تحولت الى عيد، لاندرى كيف! كانت المشاعر العالية تتراقص والاصوات ترتعش، وأغانٍ مبهمة تردّد في الاقداح والضوء وأخيراً، من الايقاعات التي تضجت وريداً وريداً، انبثق الرقص. اجتمعهم جميعاً. كانت تلك امواجاً متلاحمة في الصالة، يلتقي الناس ويختار بعضهم البعض، يودعه، ثم يعود ليلتقيه مرة أخرى، كانوا يمثلون بالقصوة، ينهرون، ويتأرجحون في رياح الصيف التي هي فسائين النسوة اللاهيات.

يا للنيب الغامق! ألف وردة تساليل، المساعة، ششخشة في حلم الليل. كان أحدهم يتأمل هذه العجيبة مندهشاً. وهو على هذه الحال بحيث يتساءل اذا كان سيستيقظ فجأة. اذ ليس الا في النوم يرى بلخ كهذا وأعياداً للنسوة كهذه: أدنى حركة منهن هي ثنية تسقط في جاورر. يشيدن الساعات بأحاديث مفضضة، ويرفعن أحياناً أيديهن فيكون ذلك كما لوكن يقطفن، في مكان لا تقدر أنت أن تبلغه، ثياراً شهية لا تبصرها. وما انت ذا تحلم: أن تكون مزبناً بحجرهن، مشيع الرغبات، وإن تستحق لجبهتك العارية تاجاً.



أحدهم، كان متشجاً بالبياض، يشعر بأن في إمكانه ان يستيقظ، ذلك أنه في الواقع يقف وضائع. يلوذ من خوفه بأذيال الحلم، ثم ها هو في الحديقة، متوحداً، في الاجنينة المظلمة، والعيد بعيد. تكذب الأضواء. والظلام، قربه، ندي ومنعش. يسأل امرأة منحنية فوقه:

«أأنت الليل؟»

تبسم.

وها أنه يشعر بالخزي من رداءه الأبيض، ويود لو كان بعيداً، ووحيداً، ومدججاً بكامله بالسلاح.



«أنسبتَ انك لهذا اليوم غلامي؟ أتفكر بمغادرتي؟ أين متذهب؟ رداؤك الأبيض يمنحي حقاً فيك...»

«أنايهم أنت على بزتلك العسكرية المضحكة؟»

«وتتحف!؟ ضيَّجرت أنت من بلادك؟»

تبسم الكونتيسة.

كلا. ولكن لأن الطفولة سقطت من على كتفيه. ذلك الرداء الجميل الغامق،

من أخذه؟

«أنت؟»، يسأل بصوت لم يسمعه هو نفسه أبداً من قبل:

«أنت؟».

والأن ما عاد يستره أي شيء:

عالم هو قديس. مؤتلق ونحيف.

واحدًا بعد الآخر تنطفئ عتاديل القلعة . الجميع مقل: بالتعجب ، بالحسب أوبالسُّكْر . بعد كل هذه الليالي الطويلة ، الفارغة ، المتضاة في أسرة الميّدان ، ها هي الفريش . أسرة واسعة من خشب السنديان أنت لاتصلّي فيها كما في أخايد الحقل البائسة ، التي تتحول ، ساعة النوم ، إلى ما يشبه قبورًا فارغة . «ربا ، كما تشاء!» . صلاة الإنسان موجزة في السريّة ولكنها أكثر ورعاً .



حُجرة الحصن . مظلمة . ولكنها يضيء أحدهما وجه الآخر بالبسات . يتهمسان أمامهما كأعميرين ، يمش أحدهما على الآخر كمن يمش على باب . كممثل طفلين خائفين من الظلام ، يعصر أحدهما الآخر ، مع هذا فليسا خائفين . لاشيء يداهمها ، ما من أمس ولا غد . لقد انهار الزمن ببساطة . خارج انقاضه ، يُهران . لا يسأل : «زوجك؟» . لا تسأل : «واسمك؟» . لقد انتقيا ليصبح أحدهما للآخر سلالة بشرية جديدة . سيمنحان نفسيهما مثاث الاسماء ، ويتزعجا أحدهما من الآخر بركة ، كما يُنتزع قرط من الأذن .



في الرواق ، قميص «اللانغني» على كرسي ، هو وجهيته ومعطفه . قفّازه على الأرضية . والعلم يقف بصلاية ، متكئاً على النافذة . نحيف وأسود . في الخارج تحترق السماء عاصفة تقسم الليل الى قطع سوداء وبضاض . يمرّ ضياء القمر كومضة طويلة ، والعلم الثابت يرسم من حوله ظلالاً قلقة . يحلم .



أهو الصبح ؟ أي شمس تشرق ؟
ما أكبر هذه الشمس ! أهذه طيور ؟ ان اصواتها في كل مكان !
كل شيء مضاع ، ولكن ليس هذا هو النهار . كل شيء صاخب ، لكن ليس هذا شدوّ عصفاف .

انها الموارض تلمع . النوافذ تصرخ . تصرخ ، همراء ، في اتجاه العدو المنتشر في الخارج عبر الريف المشتعل . تصرخ : «النار» . والكل يتزاحم ، حاملاً نعايه الممزق في الوجه . يتدافع نصف مسلّح ، نصف عارٍ ، من صالة الى أخرى ، بحثاً عن الدرج .
والأبواب بأنفاسها المختنقة تتلطم في الباحة .
النفير النفير
ونخيل مرتجفة .



نافذة . هل هي مفتوحة ؟ العاصفة . هل هي في المنزل ؟ ما للأبواب تصطفق ومنّ الذي يجتاز الصالات ؟ . أباً كان ، فسوف لن يبتدي الى حجرة الحصن . هذه كما لو كان وراء مئة باب هو هذا النوع الباذخ الذي يجمع كياتين : كأم أو كموت .



ولكن العلم ليس هنا.
نداءات: «حامل العلم!»
خيول هائجة، ابتهاجات، صرخات.
شتائم: «حامل العلم!»
حديد ضد حديد، أوامر، صفارات.
صمت: «حامل العلم!»
ومرة أخرى: «حامل العلم!»
وأماماً، الخيالة مزينة.
.....
ولكن العلم ليس هنا.



يركض متعشراً في أروقة تلتهب. يفترق أبواباً تعصره، أبواباً حارقة، ويمر بأدراج مشتعلة. يهرب من المبنى الهاليع. يجعل بين ذراعيه العلم كامراً شاحبة أغمي عليها. يجد حصاناً. وما هو منطلق كالصرخة: يمتاز الحشد كله، حتى أصحابه. هذا العلم يعود إليه أيضاً، وأبداً لم يكن ملكياً كما هو الآن، وما أن الجميع يرونه في هذه اللحظة، بعيداً، في الامام، ويميزون الرجل الواضح، بلا خوذ، ويميزون العلم كذلك... ولكن ما هو يديداً بالتأجيج، يندفع، يزداد أرجوانية، يكبر.
.....
ها هو العلم مشتمل وسط الأعداء، وهؤلاء يشعرون خلفه.



«اللاتني» في قلب الأعداء. ولكن وحيد. صنع العلم حوله حلقة فارغة، وما هو يقام في المركز، تحت علمه الأخذ بالاحتراق رويداً رويداً.
يسطه، في شبه انشداده، يخلق حوله. أشياء غريبة كثيرة، ومبرقة. «حدائق»: يفكر ويسم. لكن ما هو يشعر فجأة بأعين تحاصره، ويميزه الرجال، ويعرف انهم القوم الكفرة: فيقف بحصانه في قلب الحلقة.
ولكن حينما تغلق كل شيء وراءه، كان ما يزال مع ذلك يرى الحدائق. والشجرات الست عشرة المنحنية التي كانت تسقط فوقه دفعةً دفعةً إنها هي عيد.
شلال ضاحك.



في القلعة، التهمت النيران قميصه والرسالة وورقة ورد المرأة الغريبة.



في الربيع التالي (جاء حزيناً وبارداً) دخل ساعي بريد البارون «بيروفانو» قرية «لانغرو» بشيعة بطيئة. وهناك، وجد عجزاً تبكي.



ترجمة:
كاظم جهاد
مراجعة د. علال ناصر

ثمة انجذاب اليه يتحدّى الموت والزمن

مقدمة

السواحبي. فمكنت من أن أميز بينها ورائح الشحم، والبطاطا المقلية، والبيد وفروهم، واخوف. كل المدن تطلق مثل هذه الروائح في الصيف. ثم رأيت منزلاً أعصى بطريقة عجيبة. لم أعر عليه في خارطتي غرياني شاهدت فوق الباب مكتوباً: ملجأ لبلي. وقرب الباب كتبت الاثيان. قرأتها. لم تكن غالية. وماذا بعد ذلك؟ شاهدت طفلاً بكرة صغيرة واقفة: كان سميناً ولونه يعمل الى الخضرة وعلى جبينه تبهر كان في طريقه الى التلاشي ولذا فانه لم يكن يؤله. كان الطفل ينام مفتوح الفم، ويتنفس روائح البطاطا المقلية والبيد وفروهم والخوف. هكذا كان وهذا كل ما كان. المهم هو ان نعيش. وهذا هو الأهم.

(٢) ضرورة الشعر

أعتقد انه علي ان أشعر في العمل قليلاً، الآن وقد تعلمت أن أرى. عمري الآن ثمانية وعشرون عاماً. والى حد هذا الوقت لم يحدث شيء ذو أهمية. لقد كتبت دراسة رديئة حول (CARPACCIO) ومسرحية عنواها «العروس» كنت أرغب من خلالها في فك نظرية خاطئة بواسطة وسائل ملتبسة وأبيات شعرية. ولكن هذه الابيات الشعرية لا تمني شيئاً مهماً اذا ما نحن كتبناها في سن مبكرة! علينا ان ننتظروا نذعر أشياء وأحاسيس كثيرة طوال حياة بأكملها. ثم بعدئذ، وربما في وقت متأخر، بإمكاننا أن نكتب المشفرة أسطر التي يمكن ان تكون جيدة. ذلك ان الابيات الشعرية ليست كما يتصور البعض، عواطف (نحن لنا عواطف منذ سن مبكرة)، وانما هي تجارب. لكي نكتب بيتاً واحداً، لا بد ان نكون قد شاهدنا كثيراً من المدن ومن البشر ومن الأشياء. وعلينا ان نعرف الحيوانات. وعلينا ان نحس كيف تطير العصافير وان تصرف ماهي الحركة التي تقوم بها الازهار حين تنفتح في الصباح. ولا بد ان تتمكن من التفكير من جديد في مناطق مجرولة، وفي لقاءات غير متوقعة، وفي رحلي كنا نترقب قدومه منذ وقت طويل، وفي أيام طفولة لم تتوضّع الغائزها بعد، وفي آباء كان لا بد من ان نجرح مشاعرهم حين يطمئنوننا فرحاً لا نفهم معناه ولا نقدر قيمته (فرح مألوف لأخرى)، وفي أمراض طفولة كانت تبدأ بأبدايات غريبة بتحويلات عميقة وخطيرة في أن واحد، وفي أيام قضيت في غرف

حين نعيد قراءة «كراسات مالطة لوريد زبريجه»، نعر على ريلكه وراء كل سطر. ريلكه الذي وصفه «رودولف كاسنر» (R. KASSNER) قائلاً: «حاجبان مقوسات بشكل دقيق، عينان عميقتا الزرقاء - عينتا طفل أورا - أنف سلافي متصيد. الشاربان أشقران - وكاسنر:» وكان ريلكه شاعراً حتى عندما يغسل يديه، ونجدد «ستيفان زفايغ» (STEFAN ZWEIG) عن طريقة ريلكه في «كتف صوته وصوت خطواته». نحن نرغب دائماً في أن يكون عمل الشاعر متوافقاً تمام التوافق مع نفسه، ومع علامات وجهه، ومع طريقته في السير. عندئذ ينشأ انجذاب اليه يتحدّى الموت والزمن. ثمة شعراء لم يكونوا هم حيناً ابداعوا أشهر اعمالهم. غير ان ريلكه كان ريلكه.

انه يجذبنا الى حلم طفولة امضيت داخل قصر على حافة البحر البليط. وهو ريتنا الكتب النادرة، والازهار، وصورة صديقتي الاسيرة «TURN und TAXIS» ونحن نغمي في رحلتنا هذه حتى نتسبه الى ان هناك وجعاً كبيراً يسكن هذا العالم الصامت وان «كراسات مالطة لوريد زبريجه» هي كتاب الألم، ولها تلعب باريس دوراً كبيراً، ذلك ان اكتشاف هذه المدينة سمح لريلكه بان يعاقق فيها من الاحلام والذكريات القديمة.

(١) في شوارع باريس

هل حقاً يأتي الناس الى هنا لكي يعيشوا؟ أنا أتصور بالاحرى انهم يأتون لكي يموتوا. خرجت. شاهدت مستشفيات. رأيت رجلاً يتربع ثم يتهاكك على الأرض. تجمع الناس حوله وهكذا جنيوني رؤية ما تبقى من المشهد. رأيت امرأة حاملاً كانت تجرّ قدميها بقل على طول حائط عال وساخن، ومن حين لآخر كانت قد يدها متمسكة كما لو انها تريد ان تقنع نفسها بأنه «أي الحائط - لا يزال في مكانه. وكان بالفعل لا يزال في مكانه. وهذا وراهم؟ نظرت الى خارطتي: دار ولادة. حسناً. سيساعدونها حقاً لاشيء يمنع من ذلك. بعيداً من هناك، وفي شارع وسان جاك، ثمة بنائية ضخمة بقبّة. الخريطة تقول انه وقال دي غراس: مستشفى عسكري. لم اكن بحساسة الى مثل هذه المعلومة. لكن لا يهم. ويسد الشوارع يطلق روائح من كل

التخلص منه الا عندما امد سادتي الى ان الاسم بها ركية والذي الجالس أمامي [. . .] وكانت هذه المسألة الخفيفة هي التي تمنحني القوة لتحل تلك المشاغل الطويلة [. . .] .
جذبي كان يسهم «العائلة» . وسعدت الآخرين يستعملون أيضاً هذه التسمية التصفية . ذلك انه ، وبالرغم من ان اولئك الأشخاص الأربعة كانت تربطهم علاقة قرابة بعيدة ، فانه لم يكونوا يكتنون سوى مجموعة متباينة . العم ، الجالس بجانبه ، كان رجلاً عجوزاً يوجه ناس وعروق عليه آثار سوداء علمت في ما بعد انها آثار انفجار بارود . وكان ذو طبع عيوس رحاد . وقد أحيل على المعاش وهو رتبة آمر . والان هو يقوم في إحدى زوايا القصر التي لا أعرفها ، يتجارب في مجال الخيمياء . وقد سمعت الخدم يقولون انه على علاقة بسجن من السجن يرسل له مرة أو مرتين في السنة جثا يتزوي معها ليلاً نهاراً ، ويقسمها ويعدها بحيث انها

صامته ، وفي صباحات على شاطئ البحر ، وفي البحر نفسه ، وفي بحر ، وفي ليالي سفر ترتعش هناك في الاعالي وتطير مع كل النجوم . ولا يكفي ان تعرف كيف تفكر في هذا كله . ولا بد ان تكون لنا ذكريات كثيرة حول ليالي حب لا تشبه الواحدة الاخرى ، واصوات نساء يضمن ، واخرى وضعن ومنم خفيفات ويضاوت . ولا بد أيضاً ان تكون قد رقتنا لي جانب أناس يجتصرون ، وجلسنا قرب اموات في نفس الغرفة ، والشاذلة مفتوحة ومنها تأتي الاصوات باستمرار . ولا يكفي ان تكون لنا ذكريات . علينا ان نعرف كيف ننسأها عندما تكون كثيرة وان نصبر صبراً كبيراً في انتظار عودتها . ذلك ان الذكريات نفسها ليست هذا كله . ان البيت الشعري لا يثنى الا حين تصبح - اي الذكريات - في دماغنا ، اسياً وفيها تلوين الى درجة انها تتحول الى جزء من مكوناتنا .

(٣) أيام طفولتي

في ذلك الوقت كان عمري اثنا عشر أو ثلاثة عشر سنة على أقصى تقدير . أخذني أبي الى «ايرناكلوست» (URNEKLOSTER) . منذ سنوات ولم اكن أعرف السبب الذي ألزمه بزيارة جدي . طويلاً ، وبالتحديد منذ وفاة أبي ، لم يلتق الرجلان . وابي نفسه لم يكن أبداً في القصر القديم الذي لم يعتكف فيه الكونت «براه» (BRAHE) الا متاخراً . وانا لم أشاهد مطلقاً بعد ذلك هذا القصر الغريب الذي أصبح ملك أناس غرباء عقب وفاة والدي . وكما انا اراه من خلال ذاكرتي الطفولية ، فانه لم يكن بناء . يميل الي انه ذاب تماماً وانتشر في هنا غرة أو هناك غرة اخرى . وهنا جزء من رواق لا يربط بين هذين الغرفتين غير انه يحفظ بذاته كالألوانه قطعة مستقلة . على هذا الشكل كان كل شيء منتشر في . الغرف ، والمداخل التي تنزل بيده احتفالي ، ومداخل اخرى كما لو انها اقفاص ضيقة تصعد حلزونية الشكل وفي عمتها تقدم كما يتقدم الدّم في العروق . وهناك غرف المخاض ، والشرفات العالية ، وسراديب غير متوقفة يلفك فيها باب صغير . كل هذا لا يزال في . وسيظل دائماً ، وكما لو ان صورة هذا البيت نزلت في من الاعالي اللامتناهية وتهمتت فوق قلبي .

اعتقد اني لم أحفظ في قلبي الا بالقاعة حيث تعودنا ان نجتمع لكي نتناول العشاء كل مساء عند الساعة السابعة . لم اشاهد هذه القاعة خلال النهار أبداً . ولا أتذكر ان لها نوافذ ولا اي أين تقضي . وفي كل مرة ، تدخل العائلة ، كانت الشموع تضيء في شمعدانات ضخمة . وبعد لحظات قليلة تنسى النهار وكل ما كنا قد شاهدناه قبل ذلك خارج البيت . وهذه القاعة العالية والمفروسة حسب ما اعتقد ، كانت الأكثر صلابة . كان سقفها المنعم وأركانها التي ظلت محتفظة بالغازها يمتصان منك شيئاً فشيئاً كل الصور ، دون ان يعوضها بأي شيء واضح وشبه بها . كنا نجلس هناك دون أية ارادة ، ودون وعي ، ودون لذة ، ودون دفاع . كنا كما لو اننا مكان فارغ . وأتذكر ان هذا الغناء الثام نفسي في البداية وبسبب في ضيقاً شديداً ، ضيق يشبه بالدوار لم اكن أتذكر من



وليام ماريا ريلكه صبيته
والده : (براق ١٨٨٤)

تستطيع ان تقاوم التعفن والانحلال . في المقعد المواجه له تجلس الأنسة «ماتيلد براه» . وهي امرأة لا يمكن معرفة سنها . وهي ابنة عم لأبي . ونحن لا نعرف عنها شيئاً كثيراً سوى انها ترسل بانتظام عالمنا روحانياً نفسانياً يدعى البارون دسولده واليه نرضخ تمام الرضوخ . وهي لا تفعل شيئاً الا عندما تتأكد من أنه راض عن ذلك . وكانت امرأة قوية بطريقة نادرة ومحبة . ولما امتلأه كسول ورخيويولونه وضع دونيا عناية داخل ثياب فضفاضة وفاخرة اللون . وكانت حركاتها متعبة وغامضة وعينها مبللتين طول الوقت . غير انها كانت تمتلك شيئاً ما يدركني بأني التي كانت جدّ نحيلة . وكلما تأملتها ، عثرت في وجهها على الملامح الدقيقة التي لم يعد بإمكانني أن أتذكرها بوضوح منذ وفاة أبي . الآن فقط ومنذ ان أصبحت أرى يوماً «ماتيلد براه» ، أصبح بإمكانني ان أتخيل كيف كان وبه الميثة . وربما اننا نتعرف على لأول مرة . والان فقط ، نكون من مئة ومئة تفاصيل صورة الميثة ، هذه الصورة التي تراققي

ابتسامه مستعلية ومستحقة، بينما يبدو وجهه اكثر ضخامة من العادة كما لو انه وضع عليه قناعاً. ولقد تحدث مرات عديدة. وبالرغم من انه لم يكن يخاطب أحداً بالذات، فإن صوته كان منخفضاً. ومع ذلك فإن القاعة بأسرها كانت تسمعه. وكان أي صوته - شبيهاً بالسير المنظم واللامبالي للساعة [. . .] .

وكان يحدث أن أضحك. نعم أن أضحك عالياً ويقوة إلى درجة أن لا يمكنني بعد ذلك أن أهدأ. وذات مساء كانت «ماتيلد» براها غالية. وعندما وصل الخادم المعجوز الذي كان بالكاد يبصر، إلى مقعدها مَدَّ الصحن وظل كذلك عدة لحظات ثم انصرف راضياً ومعتزاً كما لو أن كل شيء على أحسن مايرام. تأملت هذا المشهد. وفي نفس اللحظة التي كنت أراقبه فيها شعرت انه ليس طريفاً تماماً.



لوريل داس رولان

ولكن بعد قليل وبينما كنت أتأهب لابتلاع لقمة، صعد الضحك بسرعة إلى رأسي إلى درجة أني ابتلعته بشكل سيء. عدتُ صخبياً كبيراً ورغم أن الوضع لم يكن محتملاً بالنسبة لي شخصياً، ورغم أني حاولت بكل الطرق أن أستعيد جذبي فإن الضحك ظل يتدفق بقوة إلى أن سيطر علي تماماً. وقال أبي محاولاً تحويل الانتباه إلى مسأله بصرته المريض والمخنوق وهل ماتيلد مريضة؟ وابتسم الجدة ابتسامته المعتادة وأجاب بعد ذلك بجملة لم انتبه إليها تماماً بسبب ذلك الوضع الذي كنت فيه. واعتقد أنها كانت تعني «أن ماتيلد ليست مريضة وإنساني تهنيئاً» ثم كريسيتين» ولم أكن أتصور تأثير مثل هذه الجملة إلا عندما نهض جاري الأمر وفاد القاعة بعد أن حيا الكونت وتلفظ باعتذار غامض. وأندهدشت حين رأيته تلتفت مرة أخرى حين وصل وراء الجدة وراح يشير برأسه إلى «إيريك» الصغير، وإلى أيضاً كما انه يستحثني على أن أتبعه. وانقطع ضحكي بسبب اندهاشي غيراني لم أهتم بحركات الأمر ذلك أنه كان شخصاً مقبلاً بالنسبة لي. ولأحظت أن «إيريك» لم يهتم به هو أيضاً وتواصل العشاء بطيئاً

في كل الامكنة. وفي ما بعد، تبين لي بوضوح أن وجه الأنسة «ماتيلد» يحتوي على كل التفاصيل التي تجذب وجه أبي. ولكن - وكما لو أن وجهها غريباً انحسر بينها - فأنها كان يبدو أن متفصلين عن بعضها بعضاً ولا شيء يربط بينهما .

إلى جانب هذه الأنسة كان يجلس ابن أحد بنات العم. وهو طفل كان في مثل سني تقريباً لكنه كان أقل حجاً وأشد هشاشة مي. كانت رقبته النجيلة والشفافة تبرز من باقة صغيرة مغضنة ثم تختفي تحت ذقن مستطيل. كانت شفتاه رقيقتين وملصقتين ببعضهما بعضاً.

أما متفخره فكانت دائمي الارتعاش. وواحدة من عينيه الجميلتين والسنوداوين تبدوا سائكة. وهذه العين تنظر أحياناً باتجاهي وبدون حزن. أما الأخرى فتظل مثبتة على نفس النقطة كما لو أنها بيعت ولم تعد في الحسبان.

في أعلى الطاولة كان هناك المقعد الضخم الذي يقدمه خادم (يدون هذا هو شغله الأساسي) لكي يجلس عليه جدي. غير أن هذا الأخير لم يكن يجلس إلا على جزء منه وكان هناك أشخاص يسمون هذا المعجوز الأصم والمستبد: «صاحب السعادة» أو «سيادة المارشال» وآخرون يلقبونه بالجنرال. وربما كان يملك كل هذه الترتيب. غير أنه منذ زمن طويل وهو هامد لا يقوى بأي عمل. ولذا فإن هذه الألقاب كانت تبدو بالكاد جلية ومغفمة. وكان يبدو لي أن أي اسم واضح لا يمكن أن ينطبق على هذا الشخص الذي يكون أحياناً واضحاً غير أنه مع ذلك دائم الغموض. وأنا لم أقر البتة أن اسمه جدي بالرغم من أنه ابني في كثير من الأحيان شيئاً من اللطف تجاهي. وفي أحيان أخرى ناداني بأسمي بشيء من الرقة. وكانت العائلة كلها تسلك تجاه الكونت سلوكاً هو مزيج من الاحترام والحرف [. . .] كنت أقضي كامل اليوم تقريباً في الحديقة وفي غابات الزان أو في الأراضي البائرة. ومن حسن الحظ، كان هناك في «إيرينا كلوس» كلاب ترافقي. وكانت تتشرفنا وهناك مزارع كان بإمكانه أن أجده فيها حلياً وحزياً وثيراً. وكنت أتمتع بكامل حريتي ودون أن أفكر في لقاءات المساء حول طاولة العشاء. لم أكن أتحدث إلى أحد إلا مع الكلاب أحياناً. كنت أتفاهم معها بشكل رائع. الكتابة كانت إحدى خصائص العائلة. وأنا كنت أعرفها عند والدي ولم أكن أندش حين لا يتكلم أحد أثناء العشاء.

خلال الأيام الأولى التي أعقبت وصولنا، كانت «ماتيلد» براها ثروثة إلى حد كبير. كانت تسأل والدي عن علاقات قديمة وعن أناس عرفناهم في مدن أجنبية. وكانت تذكر أحاسيس ومشاعر بعيدة، وتتأثر إلى حد الكهك عندما تذكر صديقات لها فارقن الحياة وشباباً توحى لنا أنه أحبها، وأنها أرادت أن تستجيب لحبه لكن دون أمل.

وكان أبي يستمع إليها في أدب ويؤيدها من حين لآخر بحسرة من رأسه، غير أنه لم يكن يجيب إلا على الأسئلة الضرورية. وكان الكونت في مقعده الكبير يشتم طول الوقت

«مانيلده». وسرعان ما هذأت، ومع ذلك ظللت مستملاً للمواساة بالرغم من اني احسست بوزل الخطر. واكيد اني احسست ان تلك الرقعة كانت جد ناعمة غير اني كنت سعيداً بها حتى اني تصورت اني استنحتها. «عمتي، قلت اخيراً محاولاً ان اجمع في وجهها المتشتر امامي ملامح أمي البعيدة والمشتتة.

«عمتي من كانت تلك المرأة؟

«مع الأسف، قالت وهي تنهد بطريقة بدت لي مضحكة، انها شقية ياولدي، نعم انها شقية» في صبيحة نفس اليوم رأيت في الغرفة بعض الخدم مشغولين بجمع الحفائيب. وفكرت في اننا سوف نرحل. وبدا لي ذلك طبعياً جداً. وربما يرغب ابي في ذلك أيضاً. وايداً لم اعرف السبب الذي أبقاء مزيداً من الوقت في «ايرنا كلوستر» بعد تلك الليلة. وهكذا بقينا ثانية اوتسعة اسابيع اخرى في ذلك البيت متحملين ثقل تلك الغرائب. وشاهدنا ثلاث مرات «كريستين براها».

لم اكن اعرف عندها شيئاً عن قصتها. ولم اكن اعلم انها توفيت منذ وقت طويل، بعد غاضها الثاني الذي انتجت فيه طفلاً عاش حياة تعيسة ومرعبة - لم اكن اعلم انها ميتة. غير ان ابي كان يعلم ذلك. هل اراد وهو الذي يمتلك مزاجاً متقدراً وفكراً صافياً ومنطقياً في نفس الوقت، ان يفرض على نفسه تحمل تلك المغامرة وان يتملك زمام نفسه دون ان يتساءل؟ رأيته - ودون ان ادرك السبب يصارع نفسه واخيراً رايته وقد سيطر عليها تماماً.

وكان اخر مساء شاهدنا فيه «كريستين براها» لآخر مرة. وفي تلك المرة كانت الانسة «مانيلده» جالسة هي أيضاً معنا. غير اني لم تكن كعادتها. ومثل تلك الأيام التي اعقبت وصولنا، كانت نتكلم دون انقطاع مرتبكة من حين لآخر. ودائماً كما لنا ذلك الانشغال بتسوية شعرها وتنفذ ثيابها. ثم خضت فجأة واختضت بعد ان اطلقت صرخة حادة شبيهة بالنواح.

وفي اللحظة ذاتها استدلت نظراتي غصباً عني باتجاه باب ما: ودخلت «كريستين براها». الأمر الذي يجلس بجانبني قام بحركة عنيفة وسريعة تواصلت في جسدي غير انه لم يتصن من النهوض. وراح وجهه المعجوز والاسمر الموسوم بأثار انفجار البارود ينتقل من واحد الى آخر بينما كان فمه مفتوحاً ولسانه يتلوى وراء أسنانه المتعففة. ثم فجأة، اخفض هذا الوجه، وتكحرج ورأه الرمادي فوق الطاولة، وغطته يدها كما لو انه اجزاء متناثرة، وبحثه في مكان ما، بدت يده رخوة ومبعدة. وكانت ترتعش.

وعندئذ اجتازت «كريستين براها» القاعة خطوة خطوة، ببطء تماماً مثل مريض، وفي صمت لم يكن يرن فيه غير صوت شبيه بأنين كلب معجوز. على يسار الهم الغضبي الملهو بالترجس، كان يتزحلق القناع الكبير للكونت المعجوز وهو يكسر بانتسامة رمادية. رفع كاسه باتجاهي أبي. وعندئذ رأيت والدي، في نفس اللحظة التي كانت تمر خلالها «كريستين براها» وراء مقعده، يرفع كاسه بدوره بشيء من الجهد كما لو انه شيء نقي.

وفي نفس تلك الليلة غادرنا «ايرنا كلوستر».

كالعادة. وعندما وصلنا الى نهاية لفقت نظراتي حركة في عتبة اعياق القاعة. حركة حدثت في باب كنت اتصور أنه مغلق دائماً وأنه حسب ما قيل لي يفتح على الدور المسروق. وراح ذلك الباب يفتح شيئاً فشيئاً. وفي حين كنت انظر الى ذلك بشعور جديد هو مزيج من الفضول والانفعال، انبثقت من عتبة الباب سيدة متبقة القوام، تلبس ثياباً فاتحة الألوان وراحت تقرب منا. ولست أدري اذا ما أنا قمت بحركة أو اطلقت صرخة. وحول ضجيج كرسي سقط نظراتي عن ذلك الظهور الغريب، وشاهدت والذي الذي وثب شاحباً كما ميت، ويدها متدلّيتان، وقبضته مغلوقةتان وراح يسير باتجاه المرأة التي راحت تتقدم منا خطوة بعد خطوة، لا مبالية بأي شيء. وعندما وصلت قرب مقعد الكونت انتفض هذا الاخير، وأمسك بيد والدي، ودفع به باتجاه الطاولة بينما ظلت المرأة الغريبة يسلمه ويمبالاة بتجاذب خطوة بعد خطوة القضاة الذي فتح لها، بصمت لم تكن تتخلله سوى وعشمة بعض الكؤوس، ثم اختضت في باب إحدى الجدران المقابلة للباب الذي برزت منه. وفي تلك اللحظة، شاهدت «ايريك» الصغير وهو يعلق الباب وراء المرأة الغريبة ينزع من الاجلال والاكبار.

ظللت وحدي جالساً أمام الطاولة. وكنت ثقيلاً الى درجة اني شعرت اني لن اتمكن من النهوض الا بمساعدة أحد ما. وللحظة ظلت انتظري في الفراغ. ثم تكررت في ابي ولاحظت ان المعجوز لا يزال يسلمه من يده. وكان وجهه غاضباً، ومرتجاً بالدم، غير ان المعجوز الذي كانت له اصابع شبيهة بمخالب بيضاء كان متشبهاً بيده وعلى وجهه تلك الابتسامة المقيتة، ابتسامة القناع. ثم سمعت انه يقول شيئاً، حَرْفاً بعد حرف دون ان اتمكن من فهم معنى الكلمات التي كان ينطق بها. ومع ذلك كانت تضرب سمعي بمنف ذلك اني وبعد عامين، عثرت عليها في اعياق ذاكرتي. ومنذ ذلك الوقت وأنا اعرف ما قاله خلال تلك اللحظات الراهية:

«انت شيف يا شاميلان». وغير مؤدب أيضاً. لذا الاترك الناس وشأنهم؟

«ما من؟ صرخ أبي.

«لاني حق في ان تكون هنا: كريستين براها.

ومن جديد عاد ذلك الصمت الحاد بشكل غريب. ومن جديد ارتمش الكاس. وفجأة تخلص ابي من غمالب الجسد بحركة عنيفة ثم اندفع الى الخارج.

طوال الليل سمعته يروح ويحيى في الغرفة، ذلك اني انا أيضاً لم اتمكن من النوم. وعند الصباح، استيقظت فجأة من نعاس خفيف، وفزع شل اعصابي وقلي، ورايت شيئاً ابيض جالساً على الفراش. ومنحنى اليأس شيئاً من القوة مكتني من اخفاء رأسي في الاغطية. ومن شدة الملح انفجرت، باكياً. واحسست بظلف ويصفاق فوق عيني الباكيتين غير اني اغمضتهما لكي لا ارى شيئاً. لكن الصوت القريب الذي كلمني، لاس وجهي بدفه لذيذ. وعندئذ عرفته: لقد كان صوت الانسة

ست قطءد

راينار ماريا ريلكه

(٣) بوذا

كيا لوانه يصفى . صمت: من مكان بعيد . . .
نحس أنفاسنا ولا نسمعه .
انه نجمة . تحيط به كواكب كبيرة
نحن لا نراها .

(٤) الشاعر

أيتها الساعة ، ها انت تهجرينى وتبتعدين عني ،
صخب جناحك يمرّني .
وحدي : ماذا ترى افعل بصوتي
ويليلي؟ وينهاري؟
لا حبيبة لي ولا بيت
ولا مكان الجأ اليه أو أعيش فيه
كل الاشياء التي أحبها نفسي
تغتني ثم تبغلي .

(١) وحدة

الوحدة مطر: انها تنبثق من البحار
وتصعد باتجاه المساءات .
تنبثق من السهول البعيدة والمنزوية
وتصعد باتجاه السماء التي تمتلكها دائماً
ومن السماء تسقط فوق المدينة .

هي تساقط مطراً في الساعات المريبة
عندما تفتح على الصباح كل الشوارع
وعندما لا تجد الاجساد شيئاً ،
وكثيرة وخاتبة تتباعد عن بعضها بعضاً ،
وعندما في نفس الفرائض يضطر
كائنات يتباغضان أن يناما
عندلده تمضي الوحدة مسيرة الأتار . . .

(٢) رودان

لاطفولة له ولا عمر .
طفولته كانت شباب الأحجار
وسنه ليس له .
الذي يتكرر الأشكال
وحيد بين اشكاله
في يديه تضطجع التربة
أشياءه كما نجوم تدور من حوله
محيطه آياه باللائها .
لقد بنى جواره
ثم ابتكر أفقاً .

يدي لم تعد تعرف غير حركة،
أن تطرد دونها جدوى
الروطية التي تنز من الصخور.

انا لا اسمع غير هذا الملاء الذي يضرب كيا المطارق
ومع القطرات التي تتساقط
يتوحد قلبي ومعها يضيح .
تري هل تسقط باكثر سرعة،
فاليلد الوحش على أية حال .
في مكان ما تنزل العتمة
غير اننا لا نعرف شيئا عنها .

تصور أن ما هو سيء وريخ : الآن،
وان ماهو هواء لغمك، وصفاء لعينك،
يتحول فجأة الى صخرة تماسرك وتضغط عليك
في الفضاء الضيق هناك حيث قلبك ويداك،

وان مايسمى الان غد بالنسبة لك
ثم : في ما بعد السنة القادمة،
وهكذا لن يكون الا جرحاً متقيحاً فيك،
جرح يتقيح طول الوقت ولا يبرأ أبداً .

وان ما كان سيكون كاذباً ومزيفاً
ولي كل جزء فيك يتنصب،
مائلًا بزيد الضحكات .

الغم المحبوب الذي لم يضحك أبداً
وان ما كان الله لن يكون غير حارسك،
ويخفي، ويعين مأكرة يسد آخر فتحة .
غير انك ستعيش على أية حال .

كان يصعد تحت الاغصان الداكنة
رمادياً وذائباً تماماً في حفل الزيتون
موارياً جبهته المعفرة بالغبار
في الغبار الآخر لليدين الساخنتين

مرة أخرى هذا الشيء . ثم النهاية .
والآن، اعمى، على أن أسير
ولماذا تريد أن اقول لك من انت
في حين أنني لم اجد نفسي .

أنا لا أجدك . ليس في .
ليس في الآخرين . ليس في هذه الصخرة .
انا لا أجدك . انا وحيد .

أنا وحيد مع شروكل البشر
التي حاولت من خلاك أن أخفف منها،
انت الذي لا توجد . أه باللعنجل الذي لا اسم له . .

في ما بعد، يأتي ملاك، هكذا قيل .
لماذا ملاك؟ أه ولكن الليل هو الذي أتى
ولا مبالياً راح يقدم بين الاغصان .
المريدون واسوا يتململون في أحلامهم .

لماذا ملاك؟ أه لم يكن غير الليل .
الليل الذي أتى كان شبيهاً بالليالي الأخرى التي تعبر بالمشات .
وفيها تنام الكلاب والأحجار .
ليل حزين . ليل عادي
ينتظر قدوم الصباح .

ذلك أن الملائكة لا تأتي بجانب متبهلين كهؤلاء،
والليالي لا تتحسس لها أبداً .
الذين يتبهلون يفقدون كل شيء،
واباؤهم يبيونهم هدايا
وعن أحضان أمهاتهم يبعملون .



ندوة حول جون بول سارتر في مدينة فرانكفورت

مثقفون ألمان مرتابون أمام سارتر

الذي يعد اليوم واحد من أهم وأعمق الفلاسفة الألمان، فقد قرأ سارتر بعمق. ولذا فانه قدم محاضرة هامة حول فكره وأسلوبه الفلسفي. وبين مثل «مدرسة فرانكفورت»، هاربرت شندلباخ (HERBERT SCHNÄDELBACH) بدقة نزاهة متناهيين، كيف ان كلا من «هوركبايمر» (HORCKHEIMER) و«آدورنو» (ADORNO) تجاهلا سارتر بالرغم من أن هذا الأخير كان خلال السنوات الخمسين والستين قد قام ببحوث جعلته قريباً من «النظرية النقدية». وللقابل تجاهل سارتر و«مدرسة فرانكفورت» وظهر نحوها لامية كاملة.

أما «بتريك» الفلاسفة الألمانية الحالية، «هانس غيورغ غادامر» (HANS-GEORG GADAMER)، مريد هيدغر، وبالبلغ من العمر ٨٧ عاماً والذي نزل من مرتفعات هايدلبارغ لحضور الندوة المذكورة، فقد أشع الحاضرين حين روى اليهم كيف قرأ لأول مرة، وكان ذلك عام ١٩٤٦ كتاب «الوجود والعدم» وقد اعترف غادامار بأهمية هذا الكتاب الذي كتبه صاحبه تحت تأثير الفلاسفة الألمان الثلاثة: هيجل وهومرل وهيدغر، بالرغم من أنه يبلوغ ريباً عنهم تماماً.

يبقى ان تتسائل عن معنى هذه العودة الجديدة لسارتر وفكره. والتفسير الاقرب الى الصحة هو ان الجيل الجديد من الحضر تعب من النظريات التي تأثر بها في البداية وهو الان يبحث عن نظرية تتجسد فيها الحرية الحقيقية ثم ان الفلاسفة الألمان الجدد لم يجدوا في نظريات هابرماس وغيره ما يجيب بشكل واضح وكاف عن الاسئلة الجديدة. والبعض منهم أصبح يجد في فلسفة سارتر ما يرضيه وما يفتحه أيضاً.

بين ٩ و١٢ يوليوس من السنة الحالية، عقدت في مدينة فرانكفورت ندوة هامة حول سارتر فيلسوفاً ومفكراً، حضرها ألف ومائتي شخص أغلبهم شبان أتوا من جميع أنحاء ألمانيا، وقد كانت هذه الندوة حدثاً ثقافياً متميزاً أكلت ان سارتر، خلاف ما يعتقد البعض وخاصة في فرنسا لا يزال حاضراً، وانه لا يزال يحظى بنفس الأهمية التي حظي بها بعد الحرب العالمية الثانية أي في فترة ظهور الوجودية، وخلال الستينات والسبعينات حينما وقف مدافعاً عن حركة الشبيبة اليسارية وبخاصة عن انتفاضة الطلبة في مايو/ أيار ١٩٦٨. بعض المثقفين الألمان الذين أشرفوا على الندوة فاجأهم العدد الهائل للحاضرين، بل ان البعض منهم أصيبوا بالدهشة وآخرون اغتاظوا قليلاً ذلك ان الندوة التي سبقت ندوة سارتر والتي نظمت في نفس المدينة حول فكر «آدورنو» (ADORNO) الذي يعد من أهم معشلي مدرسة فرانكفورت لم تجلب اليها سوى ٥٠٠ شخص فقط! ومن الجدير بالملاحظة ان الندوة دارت دون حضور أي مفكر أو فيلسوف فرنسي.

الفكرة التي انطلقت منها الندوة هي تمكين الفلاسفة الألمان الحاليين من قراءة سارتر ومن ابداء آرائهم حول فكره وفلسفته. ولقد خصص الفيلسوف «يورغن هابرماس» (J. HABERMAS) دروساً خلال السنة الدراسية المنصرمة حول كتاب سارتر الشهير «نقد العقل الجدلي». غير انه خلال الندوة اعتذر عن تقديم مساهمة ذلك انه لا يزال حسب رأيه بطبيعة الحال غير متالف مع الفكر السارترى. ومع ذلك، فان حضور «هابرماس» كرئيس للندوة المذكورة أشعث الأفكار وحرض على الجدل والنقاش. أما الفيلسوف «مانفريد فرانك» (MANFRED FRANK)



حوار تحت شجرة كستناء

(حول اللقاء بين الشاعر الفرنسي رني شار والفيلسوف الوجودي مارتن هيدغر)

جون بوفري

مقدمة :

أحتلت باريس وعدة عواصم أوروبية - من بينها مدينة ميونيخ - بمرور ثمانين عاماً على ميلاد الشاعر الفرنسي الكبير رني شار الذي قرّر منذ سنوات طويلة الابتعاد عن الأضواء، مفضلاً العزلة التامة في بيت جدّه في قرية «ليس سيرسورغ» (LILLE-SUR-SORGUE) الفرنسية. وهذه المناسبة تقدّم وفكر وفنّ لقرائها الأعزاء نصّاً يتحدث فيه الفيلسوف الفرنسي جون بوفري عن اللقاء الذي تم بين الشاعر رني شار والفيلسوف الوجودي مارتن هيدغر، والذي دار خلاله حوار طويل حول العلاقة بين الشعر والفلسفة.

تحت أخصان شجرة كستناء في «مينيلمونتون» (MENILMONTANT)، تحدّث فيلسوف وشاعر عن نفسيهما وعيّا يعرّفانه، مارتن هيدغر ورني شار يتعلّقان لغة حوارهما. باريس تعيش راحة العطلة. نحن في عام ١٩٥٥. وخلال زيارتي إلى فرنسا - كتب هيدغر - ساكون سعيداً إذا ما أنا التقيت جورج براك ورني شار.

لا شيء أكثر خاطرة من مفترق الطرق. ولكن، والليل الصيّفي ينزل :

وهناك على الطاولة

حيث يتوهج النور الصّافي، الخبز والحمر، وبرغم اختلاف الحبايت واللغتين، ثمة تفاهم حصل بين الفيلسوف والشاعر. انه حوار الشعر والفكر.

الفكر، في عمق أجاقه حوار. انه يسعى من خلال الحوار ان يحدّد موضعه مع الباحثين عن موقع والذين هم المفكرون منذ البدايات. ارسطو هو من البداية الى النهاية حوارهم مع افلاطون. والحوار الميخني هو محاولة للانفتاح على كلّية الكلمة. غير ان الكلمة ليست فقط كلمة الفكر. الاكثر قدماً من كلمة الفكر، الكلمة الشعرية. كلمة هومروس التي تقطعت الجوهري قبل هيرقليطس. انها تلمس لعالم جديد الذي هو العالم الاغريقي والذي شهد مولد الفلسفة. وقبل الفلسفة بفترة طويلة، فتحت الكلمة الشعرية الفضاء الذي فيه، كما يقول هزيبود، واجهت الالهة البشر. ولكن لماذا الكلمة هي اكثر اقتراباً من الفكر منها للشعر؟ ومن اين لها هذه الازدواجية؟ كل ما هو يرويكك بالتخلص

والانكماش هكذا يقول لنا هيرقليطس. والسؤال يظلّ دونها جواب وعلى الاكثر، نحن نحاول ان نتوافق مع ازدواجية الكلمة. ان تتوافق يعني اننا نلج ابعاد الحوار. الحوار لا يحاول البتّة ان ينقص من قيمة الآخر، كما تفعل احبانا الفلسفة بالنسبة للشعر وذلك باستعماله مادة لتفسير افكارها ومدلولها. ان الحوار الذي تقصده هو ذلك الذي يحرص ان يُقيّ الاخر كما هو. يقول شار عن هيدغر «لازل مرّة لم يحاول رجل كهذا ان يُفسّر لي من أنا وماذا افعل». كان هيدغر يستمع اكثر مما يتكلم. ومن هذا الاستماع الذي يصل الى حديد الصمت ولدت إمكانية التوافق دونها جواب، ذلك ان الجواب كان قد حوّل ما هو موضوع للتفكير الى مشكلة، اي كما يوضح ذلك لينتز الى مقترح، ترك جزء منه في البيضاء... تماماً مثلنا نحن نطلب مرآة تتمكن من جمع أشعة الشمس في نقطة واحدة. الشاعر هو بالفعل، هذه المرآة، ولكنه ليس اطلاقاً «الطلب». وإذا ما هو حرص دائماً على التخفي، فلأنه خطر بالنسبة للفكر، غير انه خطر صحي. «ثلاثة أخطار تهدّد الفكر.

والخطر الرابع هو منذ ذلك الوقت صحي، انه بجوار الشاعر وهو بالقرب من نشيده أيضاً.

الخطر الماكر هو أكثر الأخطار حدة وقسوة. انه الفكر نفسه. عليه أن يفكر مسابراً متحدراً مذبذباً في ما لا يعرفه إلا نادراً. أمّا الخطر الضار والمُسَدّ فهو الذي يخلط ويوشّو كل شيء. وأعني به التسلسل.»

هكذا يتحدث هيدغر بنفسه لما تتغير الريح فجأة، مزججة في اخشاب البيت، ولا يصبح الطقس رديّاً.

إذا ما كان الشعر والفكر قريبين من الكلمة، فانه ليس على الشاعر ان يظل على الأقل بالنسبة للمفكر الطرف الآخر من حوار مخفوف بالمخاطر، يفرض على الفكر تحفظاً نادراً. يقول هيدغر: «الحوار مع الشعر، اذا ما كان حواراً ينطلق من الفكر، يهدّد دائماً بتشويش الكلمة الشعرية عوض ان يتركها غلوية صوتهاء. وأكثر ضموها هو الحوار بين الشاعر والشاعر. هكذا هو لودراين في «هامبورغ» (Homburg) في ترجمات «أوديب» و«انتخبون» وفي الملاحظات التي تتبع هذه الترجمات، في حوار مع سوكول. وهكذا تحاور «ورنيسا» مع الشاعر الاغريق تماماً مثلنا تحاور «راسين» مع «أوديب»، و«فيكتور هغو» مع «فرجيل». وهكذا تحاور

«وفي شار» في «البحث عن القاعدية والقيمة» مع «الارمي» و«بولندي» و«راميرو» وغيرهم... [..].

ولكن لا تسمح حاولنا الحوارين، الذي هما كما يجدهما هيدغبر، حوار الشاعر مع الشاعر، وحوار الفكر مع الشعر، بمحاولة ثالثة هي حوار الشعر مع الفكر؟ لا يقول هيدغبر شيئاً بخصوص هذا الموضوع. أما «شار»، فيسعى دون أن يوضح إلى إبراز الأخطار التي يمكن أن تنجم عن ذلك. الشعر بدأ أحياناً خلال تاريخه كما لو أنه متحالف مع مهنة الفكر. ودون أن يتخلى الشعر على أن يكون نفسه، عرف كيف يتنكر الفن الذي يؤمله أن يفكر في مسائل ومواضيع مختلفة. كذلك كانت قصيدة بارومينيد، ويندار، وماذا عن هيرقليطس؟ ان كلمة هيرقليطس تضرب في القلب دون أن تظلم ما قبل الهدف ودون أن تضع في ما وراء الكواكب [..]. ثم جاء عصر أصبح فيه الشاعر طفلياً بالنسبة للفيلسوف. ومنذ ذلك الوقت قام السؤال التالي: كيف يمكن للشعر أن يتجاوز مع الفكر؟

الفكر في أيامنا هذه لغة حزينة لا يجيها الا الجدل من حين لآخر. لهذا، لا يجيد الشعر اذا ما طمع في التحاور مع الفكر، في الفلسفة الحالية شيئاً ذا أهمية. وهذا كان خطأ السوربالية التي اعتقدت ان الانفتاح على الفلسفة الحديثة ممكن، وربما يساعد على خلق نتائج ابداعية جديدة. يقول هيدغبر: «من العلم الى الفكر ليس هناك عزم». ليس اسامنا إلا أن نفكر. والفلسفة ليست الفكر. انها فقط - وهكذا يجدها هيدغ - طريقة خاصة للفكر، بها يصبح الفكر معرفة، أي معرفة من خلال المفاهيم. هذا هو الفكر كفلسفة. ان تكون بالنسبة فينغل، الشكل المكتمل للفكر، هذا واضح، ولكن هل هذا الموضوع كاف في حد ذاته. ليس هناك فكر عميق دون ان يكون فلسفياً (هيرقليطس على سبيل المثال)، أو مثلاً يصف هيدغبر في «رسائل حول الانسانية»، مسرحيات سوفسكل. اذن، ليس ان يفوض في الفلسفة، لكي يصبح الفكر عميقاً، وانما يجب يتخلص منها. وعندها يصبح حسب تعبير هيدغبر «تحطيطاً للفلسفة». غير أننا لا بد ان نفهم كيف «تحطيم» حسب المعنى الذي يمنحه إيساهارني شار في البيت التالي: «وأخيراً، اذا ما أنت أردت ان تحطم فليكن ان تحطم بأدوات زفافية».

والذي لا يقسّر نفسه، لا يمكن ان يتعلم شيئاً. والحكمة ليست جاهزة طول الوقت. انها لا تحضر الا عند اشتداد الأزمات. ودون يأس أو تشاأم، ودون أن تكون مدينة للانسان بشيء، ودون ان تكون متحررة من أي قلق، هي تريد لنا الحبر وتستمتشا. القدماء عرفوا حكم «أبقراط» وأوصلوها لنا. وإذا ما كان اللقاء الشعر بالفكر عند وشار، هو حكمه فلا تأمل زمن اليأس الأقصى والأمل الذي دوناً سبب، الزمن الذي لا يمكن أن يؤصف».

إن البون الشاسع بين الشعر والفكر ربما يكون بسبب وجود الشعر من قبله بيننا الفكر كما يشع بعد في التفكير. أوبالآخرى لم

برز الفكر إلا لكي ينحرف في الحبال الى فلسفة، أي الى ميتافيزيقيا. الحوار مع الشعر لا ينطلق إلا من فكر بالكاد يكون ممكناً وهذا الفكر يمكن أن يكون عندئذ فكرياً متخلصاً من الميتافيزيقيا ومن مفاهيمها. ولا يفتح الشعر إلا على مثل هذا الفكر. ان الفكرة التي شغلت هيدغبر كثيراً، والتي هي الحوار مع الشعر، اذا ما كان ذلك ممكناً في المستقبل، هي في مقدمتها مع ذلك أقل خبرة حين نحاول الاستعاضة بالشعر. غير انه اذا ما انفتح الشعر عند جانبته على الفكر، فان هذا الانفتاح لا يفترض البتة، مثلاً، اعتقد خطأ، نزعة أو إعلاء للكلمة الميتافيزيقية. انه بالأحرى التمثل الميتافيزيقي الذي يفجره الشعر حسب رغبته. بونيه واحدة هو يسبق الفكر دون أن يتمثل هذه في أن يتقدمه. يقول هيدغبر وان مصير العالم يعلن عن نفسه في أعمال الشعراء من قبل ان يكون واضحاً وجلياً مثلاً هو الأمر بالنسبة لتاريخ الكائن». ويقول شار: «عند كل أعيان للدلائل والبراهين، يجب الشاعر بصلية من المستقبل». كل ما هو بصلية يتخذ ويحيى. وهيرقليطس كان منذاً من هذا النوع. وإذا لم يتمكن الفكر من أن يذكرك وهو في بعده الممتد قبل المرحلة السقراطية الا من خلال نوسط فيه الكثير من للكاذبة، فان الشاعر كان قد استدل اليه منذ زمن طويل وطأ اليه كما يلجأ الى سقطة. وهكذا فإن التناقض بين البعد التأملي الذي يفكر مسيراً منحرفاً ومضرباً وبين القصيدة السريعة والمتوقفة يجسي تقارباً أكثر سيرة. وموضوع هذا التقارب هو في مجال واحد، هو مجال الكلمة واللغة التي تتكلم بها [..].

يقول وشار تحت شجرة الكستناء: «القصيدة بلاذ اكرة. ما يُطلب متى هو ان تقدم». وقد قال من قبل: الشعر، من بين كل المياه الضالفة، هو الذي يتباطأ كثيراً عند انعكاسات جسوره. وكان هيدغبر يمشي هذه السرعة التي يمشي قانوسها في حرق المراحل. وإذا هو لم يكن الا عند مروره، وإذا هو لا يترك إلا آثاراً، فان الشاعر مع ذلك ينطلق من أقصى البعيد باتجاه المستقبل. غير ان الانسحاب الذي منه ينتج السهم لا يكون عمقاً إلا من خلال حبيبة الحركة التي لا يمكن التحكم فيها. والشعر الحديث لا يبالد خلفية لا شيء معتم فيها غير سباحها. لا علم يمكنه أن يُعرف طويلاً فوق طوف الجليد هذا الذي، منساقاً الى زواته، يمنح نفسه لنا ثم يستعيدنا. غير انه يرشد عيننا الى البرق وإلى منابعه الملهمة (رني شان ان الفكر الذي يصبح أكثر تفكيراً من الفلسفة هو طوف الجليد الذي لا مهمة له غير ان يواجه ويصير آخر غير صبر التاريخ الذي لا يعلم الا الصحراء. ولكن ما شيئاً فشيئاً، وفي ربح انقسام الجليد، يتخرج السكان. والذي لم يكن، يستعيد الحياة. وتشرح كلمة الكائن في الكلام، مجية حسب رغبته على كلام الشاعر الذي لم يسبقها إلا لكي يجد فيها صداة. هكذا التقى، مرة وذات مساء صيف، شخصان مختلفان غير انهما من جنس واحد. والأثنين متعلقان بوحدة مضحية ذلك انهما لا يتباينان إلا في نفس الهم الذي يحفظ من الكليات هدف ان تكون كلمة.

ملاحظة: وقع تصدّف طفيف في

بعض الفقرات وذلك بهدف

تسهيل النص على القراء

كلمة حول الندوة التي عقدت في المركز الثقافي الدولي في مدينة الحمامات

التقارب المتبادل - عن طريق الترجمة

معينة ومحاولات لتقديم حلول لمشاكل محدمة: ماذا نُترجم حتى الآن؟ ماذا يُترجم في الوقت الحاضر؟ ماهي المشاكل التي يواجهها المترجمون. لقد قدّم السيّد عبد الوهّاب الدخلي لائحة كاملة بجميع الأعمال الأدبية التونسية في اللغة العربية التي يمكن الحصول عليها بلغات أوروبية. فكون اللغة الفرنسية تحتل مكان الصدارة في هذا المجال لا يُدهشنا أبداً. ولكن أن تذكر اللغة الألمانية مرة واحدة فقط فهذا شيء يُعجب إلى حد ما.

ومن مناطق لغوية أخرى حاضرت الدكتورة إيزابيل كاميرا دافليتيو من روما عن الوضع في إيطاليا، كما وحاضر الدكتور فينديرش من برين عن الوضع في المناطق التي تسودها اللغة الألمانية. وكثنا الحاليتين يوجد توازن مُلفت للنظر: إنَّ الجسور السياسية في كلا البلدين يزيد من صعوبة انتشار أدب عربيٍّ معاصر فيها. وبكلمات أخرى صريحة: فإن العرب، وحتى يومنا هذا، لا يهتمون بسمعة طيبة هناك. ويُضاف إلى ذلك، أنه حتى اليوم وفي الأوساط الأكثر ثقافة لا يرد إلى الحائط عند ذكر «الأدب العربي» سوى «ألف ليلة وليلة». فإني حديث عن الأدب العربي يبدأ وينتهي هنا. وبما أنه لا يرد شيئاً، أؤكد، على الصفحات الأدبية في الصحف الإيطالية أو في المانيا الاتحادية أو سويسرا من البلدان العربية فإن مجال التعريف بهذا الأدب، والذي هو من مقومات ازدياد الاهتمام في الموضوع، يصبح ضئيلاً جداً. وعند هذه النقطة أشعلت محاضرتان أخريان عن نشاطات معينة بريقاً من الأمل في أن يبنّى تعاون واسع النطاق في مجال ترجمة أعمال أدبية عربية معاصرة وتبشر حتى في الحصول على دعم من قبل البلدان العربية. لقد وضحت السيّد ريتا عوض من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، نشاطات هذه المنظمة، والتي - بالنسبة للترجمة - دعمت حتى الآن ترجمات إلى العربية، إلا أنها قد توافق على دعم العمل الشاق للمترجمين والنashرين في البلدان الأوروبية دعماً مالياً. أما السيّد ندى عبد الله، فإنها تعمل مع Institut du Monde Arabe (معهد العالم العربي) وهو المعهد الذي لا يزال في مرحلة التأسيس حالياً في باريس، والذي تكاد تشترك فيه جميع الدول العربية بالإضافة إلى الحكومة الفرنسية. وهناك، لا تتواجد فقط إمكانيات استمارة للمعلومات، مثل مكتبة وفيديوتيك ومتحف - بل إنَّه يُنشر منذ ستينين بتكليف من المعهد العربي

كثيراً ما استشهد بآبن خلدون في الندوة التي دعا إليها المركز الثقافي الدولي حوالي عشرين شخصاً في أواخر يوليو/ تموز. لم يكن ذلك فقط لأن آبن خلدون ولد في الأراضي التونسية وقضى فيها جزءاً من حياته أيضاً، بل ولأنه «عالم الاجتراح العربي»، ولربما لأنه كان أوّل فيلسوف عربي في علم التاريخ والذي فكر في نشأة الحضارة والحضارات والذي أعطى رأيه في علاقة الحضارات المختلفة بعضها مع بعض. إن ملاحظة آبن خلدون بأن الشعوب المغلوبة تقلد الشعوب المتفصرة في طرق معيشتها وتأخذ عنها الكثير، استخدمت بأشكال مختلفة أثناء الندوة كنقطة انطلاق لأفكار تتعلق بنشاط الترجمة.

لقد كان موضوع الندوة والترجمة وحوار الثقافات. والمهدف من وراء هذا اللقاء المحمود أن يُقدم كمحاولة أولى للجمع بين أشخاص يهتمون بمسألة الاتصالات الثقافية مع آخرين إنما يترجمون إلى العربية أو منها. وبالإضافة إلى ذلك فلقد تواجد بين المحضور بعض المؤلفين التونسيين مما أتاح الفرصة أمام الضيوف الغير تونسيين لاستقصاء المعلومات عن النشاط الأدبي المعاصر في تونس وبالطبع إنشاء علاقات شخصية أيضاً.

إن تنوع نشاطات المشتركين واهتمامهم أتى إلى تنوع مواضيع المحاضرات التي أقيمت. وهكذا تكلم مثلاً الدكتور مسعود صاهرن من الجامعة الأمريكية في بيروت عن الدور التاريخي للبنان في الوساطة بين الثقافات العربية والأوروبية، الدور الذي أخذه لبنان على عاتقه منذ القرن السادس عشر على الأقل والذي لا يزال قائماً حتى اليوم، وخصوصاً من قبل العديد من العلماء والمفكرين اللبنانيين الذين يعمل قسم منهم في دول غربية وقسم آخر حاز على تقدير عالمي.

دور الإشارة إلى بلد معين عالجته محاضرة الدكتور جلّول عزّونة التونسي نظريات التأثير والتأثر بين الثقافات المختلفة (ابتداءً بفخر الدين الرازي ومروراً بمونتيسكيو إلى هشام جعيط)، وكذلك محاضرة آبن بلده الدكتور أبويعرب المرزوقي الذي عالج فيها كيفية مساهمة نشاطات الترجمة في التقدّم التكنولوجي. وفي مجال الترجمة الحديثة من الأدب العربي إلى لغات أخرى قدّمت - بالإضافة إلى آراء الشاعر المغربي عبد الطيف العلمي عن إمكانية ترجمة الشعر من لغة إلى أخرى - أوصاف لأوضاع

وبدعمه المادّي بوادر عجلت من مشروع ضخّم لترجمة الأدب العربي المعاصر.

هنا لُتُبا يضع المرء ابن خلدون خلفه، لتبني القول، بأن التقليد يحدث بترتيب الرُتب والقرى: الأطفال يقلّدون الوالدين، والرّعية تؤدّ أن تتصرف كالملوك، والمفلّوسون يأخذون معارف وعادات المتصرّ. وربما ما زال يحدث هذا حتى اليوم في بعض المجالات، التي يسبق البعض فيها البعض الآخر. لقد حدث ذلك فعلاً. وهذا أيضاً بُحث في الندوة في المجهات - بالنسبة للأدب في بداية النهضة العربية، في مرحلة إدماج المؤلفات الأدبية في محيط جديد.

أمّا اليوم فلقد طوّر كل بلد عربي صوته الأدبي الخاص به؛ فهناك المؤلفات التي تتحدث عن البلد، عن الناس فيه، عن تصرفاتهم، عن تفكيرهم، عن آمالهم وعن غاؤفهم. أي أنه تظهر اليوم مؤلفات يمكن أن تقرأ وتفهم كمصدر للمعلومات بمعناه الواسع. ولهذا السبب بالذات - وهذا ما يتفق عليه المترجمون من العربية على الأقل - يجب أن يكون في مجال اهتمام البلدان العربية، أن يُسمع صوتها أو أصواتها خارج العالم العربي. ولكن لكي يسمع الصوت يجب أن تترجم هذه المؤلفات، ويبدو أن بعض الدول العربية، وأيضاً اتحادات الكتاب أو المعاهد الثقافية الشبيهة بالذي في المجهات، بدؤوا بالاهتمام البطيء الحثيث في أولئك الأشخاص الذين، هم وحدهم، يستطيعون إسراع الأصوات العربية خارج العالم العربي - ألا وهم المترجمون.

كيف نتابع المسيرة إذن؟ هذا السؤال طرح في مدينة المجهات أيضاً، ولقد أشر إلى إمكانيّات مختلفة. توجد في الأساس مشكلتان (هذا بالنسبة لجميع الدول الأوروبية): مشكلة المال ومشكلة الاستعلاء واستحضار المواد.

إن مشكلة المال تعني أنه بالنسبة للوضع الحالي، في المرحلة الأولى يكون عدد النسخ قليلاً جداً، وصعوبة يمكن لدور النشر تحمّل تكاليف الترجمة لوحدها، لذا فيجب الحصول عليها من مؤسسات معيّنة، كما يحدث في دول كثيرة، مثل ألمانيا الاتحادية وروسيا، التي تقدّم الدّعم المالي لترجمة مؤلفات أديبا القومية إلى لغات أجنبية.

أما مشكلة الاستعلاء واستحضار المواد فتعني أنه لايسهل دالباً على المستعربين الأوروبيين أن يكوّنوا صورة واضحة عن النشاطات الأدبية في الدول العربية المختلفة وأن يحصلوا فرق ذلك على المؤلفات. وهنا يكون من المحبّد جداً، ليس فقط إن تكرر ندوات مثل تلك الندوة في المجهات، بل وإن تستخدم أكثر فأكثر، أولاً لافساح مجال التعارف بين المترجمين من مختلف البلدان، وثانياً لاعطائهم المعلومات الكافية عن التطوّرات الأدبية والثقافية العامة بشكل محدّد.

هل يمكن لأحلام التقارب المتبادل أن تتحقّق أم لا؟

هارتموت فينديرغ



اخبار واحداث ثقافية

(الماضي كحاضر). وعبد الغفار شديد من مواليد عام ١٩٣٨ في القاهرة ونشأ في منطقة الدلتا. وموضوع العديد من اعماله في الرسم هو الاهرامات. التي هي رمز للنور والشمس مثله في ذلك مثل قداماء المصريين.

أعمال الفسيفساء البيزنطية في الاردن

تمكن متحف ما قبل التاريخ في ميونيخ وهوتايب للدولة البافارية من تنظيم معرض فريد من نوعه في الحريف وذلك بالاشتراك مع مصلحة الآثار في المملكة الاردنية الهاشمية، معرضاً عن اعمال الفسيفساء الارضية من العهد البيزنطي في الاردن أي من القرنين السادس والسابع بعد الميلاد، وهي شواهد اكتشفت اكثرها مؤخرًا في الاردن.

كان الاردن دالسا من أهم البلاد الساقعة على خط سير القوافل التجارية ويحتوي على آثار تاريخية هامة من هذه الحقبة من تاريخه. ونجد في وقت مبكر جدا مجموعات مسيحية استقرت هناك، تدل على ذلك الكنائس العظيمة باراضيها المنيّة من الفسيفساء الثمين، كما يقدمها لنا المعرض في ميونيخ. وغالبية القطع المعروضة من القرن السادس، من عهد القيصر جوستينيان، المعروف بتشجيعه للفن البيزنطي المسيحي خلال فترة حكمه، بالذات في ذلك الجزء من الامبراطورية الرومانية كمحاولة جادة لحمايتها من تأثير القبائل البدوية وامبراطورية الفسيفساء بنيت العديد من الكنائس في هذه الحقبة وزينت بالفسيفساء الثمين. ويقدم المعرض نماذج من هذه الكنائس بارضيها المميزة. وتتخلل الفسيفساء رسومات من التراث الاغريقي مفسرة حسب تعاليم الديانة المسيحية، منها حيوانات ومناظر لمصيد مستوحاة من الحياة الريفية ومشابه ذلك.

ومن الصفات المميزة للفسيفساء في الاردن مناظر المدن واحيايتها، المرتبطة ارتباطا وثيقا بأسفار الحجاج، مثال على ذلك ارضية الكنيسة في بلدة مابدة التي بها صورت تدل على أنها كانت محطة على طريق الحج.

كان فن الفسيفساء اذا على مرتبة كبيرة من الارتقاء عندما دخلت الجيوش الاسلامية منطقة الاردن، بحيث طلب السادة الجبلد من الفنانين تزيين قصورهم الصحرأوية، ونحن نرى

نضة مصر كقوة عالمية - معرض في متحف (رومر ويليستوس) في هيلسهام.

تتسم السنوات ما بين ١٤٠٠ و ١٥٥٠ قبل الميلاد للدولة الجديدة في مصر الفرعونية باهميتها التاريخية لمنطقة الشرق الأدنى كلها حيث نهضت مصر فيها وأصبحت القوة المسيطرة على تلك المنطقة.

وترتبط هذه الحقبة من تاريخ مصر القديمة بأساء الفراعنة تحتمس الثالث وامنوفيس الاول والمملكة حثشبوت وامنوفيس الثاني. وتعكس آثار وفنون ذلك العصر هذه النهضة بوضوح جلي. ولأول مرة يخصص معرض خاص لهذه الفترة التاريخية الهامة نظمه متحف (رومر ويليستوس) * في هيلسهام، وافتتح في ١٩٨٧/٨/٣ على ان يخلق أسبويه في ١٩٨٧/١١/٢٩ وقد خصص المعرض المذكور للامراضورية الفرعونية التي امتدت حدودها آنذاك لتشمل اراض شاسعة من الاردن ولبنان وسوريا وفلسطين والسودان.

ويقدم المعرض في هيلسهام اكثر من ٣٠٠ قطعة اثرية جمعت له خصيصا من ٢٠ مجموعة للآثار المصرية القديمة، كل واحدة منها ذات شهرة عالمية. (من القاهرة والاقصر وبوسطن ونيويورك وبروكسل وباريس وستوكهولم وفلورنسا وتورينو وبرلين ولايزرغ وميونيخ ومانوفز). وتشمل القطع التماثيل والنقش البارز والرسم والحلي المصنوع من الذهب والعقيق والفروز واللازورد. ونجد بجانب تماثيل الحكام والوثائق الخاصة بهم قطعاً تنعكس فيها الحياة اليومية لرعاياهم، منها الادوات المنزلية وادوات الحرفين واليابب المختلفة وادوات الزينة والحلي، تعطي صورة عن معيشة الناس العاديين من الحرفيين والفلاحين. ومن اجل القطع المعروفة نموذج طبق الاصل من مقبرة صنوفر عمدة طيبة، العاصمة ومركز الحكم في عهد امنوفيس الثاني. وفي جزء خاص من المعرض تقابلنا معتقدات قداماء المصريين عن العالم الآخر على شكل الشواهد والتماثيل، والادوات الفاخرة المصاحبة لاصحاب المقبرة في رحلته الى العالم الآخر وكتب الموتى، كلها شواهد على امنية الانسان الفاني في حياة ما بعد الموت.

ويرافق هذا المعرض معرض آخر للفنان المصري المعاصر عبد الغفار شديد المقيم منذ سنوات طويلة في ألمانيا الغربية وعنوانه

حفظاً ضخماً شمل كل جوانب العمل الثقافي من نحت وتصوير واعمال يدوية وعبارة وفوتوغرافيا والافلام والمسرح والموسيقى كانت غاية الكشف عن السحر الكامن في هذه العوالم الغريبة.

وقد نظم معرضي ضخمن في متحف الفنون جذب اليه آلاف الزوار، كما نظم ايضاً احدى عشر معرضاً في متاحف مختلفة في مدينة شتوتجارت والمدينة الصغيرة المحيطة بها. مع عروض في الاويرا ويرامج اذاعية وتلفزيونية حول نفس الموضوع. وانتهى الاحتفال بنودة استمرت ثلاثة ايام شارك فيها كتاب وفنانون وعلماء من جميع انحاء العالم.

كان هدف الندوة الكشف عن السحر الكامن في هذه العوالم الغريبة وتنقله مع قناعة الاوروبي بان حضارته هي النموذج الاكمل. وهذه القناعة عاقته دائماً عن الانفتاح على العوالم الغريبة والمؤثرة في مخيلته. وفي عصرنا هذا التمس بسرعة وسهولة التنقل بين القارات هناك اسئلة جديدة تطرح نفسها وخاصة في مجال فهم وتوضيح الروابط الحضارية بين مختلف شعوب العالم. وهذه الاسئلة طرحت في الندوة المذكورة. وكانت فرصة ثمينة للعاملين في الميادين الثقافية والعلمية لكي يتبادلوا الاراء حول موضوع حساس ومفيد.

ونظراً لأهمية الاسئلة المطروحة حول الروابط بين اوروبا وبين العالم العربي الاسلامي فانه في نيتنا ان نعرض لأهم جوانب هذا اللقاء بين الحضارات والثقافات في العدد القادم من فكر وفن.

أصابعهم التي قاموا بها في خدمة امراء المسلمين دليلاً على تواصل هذا الفن العريق، تواصل بدأ في العصر الاغريقي واستمر حتى عصر الحلفاء وبفضله أصبح الاردن جسراً بين القارتين اسيا وأوروبا.

ففي عهد الامبراطور يوليوس (٦٣ ق.م) ضم الاردن الى سوريا، ثم أصبحت تحت حكم تريبانوس (١١١ الى ١١٤م) محافظة مستقلة باسم (ارابيا) وفي النصف الاول من القرن الاول الميلادي استقرت فيه اول مجموعة مسيحية، زاد عددها في عهد القيصر قسطنطين زيادة كبيرة، اما في خلال فترة حكم جوستينيانوس الاول الاول (٧٢٥ الى ٥٦٥م) فازدهر من الناحيتين الاقتصادية والثقافية. وكل القطع المعروضة في ميونيخ من هذه الحقبة التاريخية.

عوالم غريبة - تخيلات اوروبية

كان للمعهد العلاقات الخارجية في مدينة شتوتجارت فضل كبير في تنظيم فعالية ثقافية مهمة في الحريف الماضي تحت شعار (عوالم غريبة وتخيلات اوروبية) شملت في الفترة ما بين ١/٩ و ٢٨/١١/١٩٨٧ مجموعة من المحاضرات الثقافية والمعارض والعروض المسرحية والموسيقية والافلام حول نظرة اوروبا الى البلدان والقارات الغريبة عليها مع الكشف عن الجذور التاريخية والاجتماعية والحضارية لهذه النظرة وشكالاتها المختلفة. وقد ساهمت كل من مقاطعة (بادن فورتمبيرج) ومدينة شتوتجارت مساهمة فعالة فيها.

إن الغريب والذخيل والبعيد جغرافيا كان دائماً عامل إثارة خصبة لمخيلة الاوروبي في الفنون والادب والموسيقى والمسرح وحتى في الفن المصنوعي. حاول الانسان الغربي ان يخلق لنفسه عالماً جديدة مثيراً باستخدام تلك العناصر الغريبة القادمة من بعيد في اعماله وبالذات العناصر القادمة من الشرق. ونذكر هنا بالذات

© ويتهلف (زيور وبلوسنر) في هيلمسهيم من أهم وأشهر متاحف الآثار المصرية القديمة في العالم. ويبرز وصفه العالمة (ميرزا) على آثار الدولة القديمة، أي حلة بناء الامرات الكبيرة وقراتها (٢١٥٠ الى ٢٢٥٠ قبل الميلاد)، افتح المعرض في هذا العام بعد عمليات تجديد استمرت ثلاث سنوات. ويبرزها كلها تقريبا من مقابر المومنين الواقعة غرب هرم خوفو بالهجرة. ويضم تشهيدات بلرة مثل البروزيميمون، ابن اخ خوفو، القتل الاول على اصيل بناء الهرم الكبير. ورائته في هيلمسهيم من الحجم الكبير ويوفر فريد من نوعه ذلك انه التمثال الوحيد الذي يجسد شخصاً مأخوفاً.



مهرجان الشعر العربي الاطيالي في جبلينا:

صقلية تحتفل بياضيها العربي

جبلينا قرية صغيرة في جزيرة صقلية، ضربها الزلزال ليلة ١٥ يناير/ جانفي ١٩٦٨. وقد دهمت بكاملها. وكان عدد الضحايا ٢٠٠ شخصاً.

وهذه القرية التي تقول المصادر التاريخية ان اسمها مشتق من الاسم العربي «بين الجبلين» تنظم في كل صيف مهرجاناً ثقافياً لمواصلة أمهاتها وتخفيف الألم النكبة التي حلت بهم. وفي هذا العام قررت جبلينا الا تتنافس بل ماضيها العربي. ولذا نظمت اللجنة الخاصة بالمهرجان ندوة للشعر العربي الايطالي يومي ١٨ و ١٩ يوليو الماضي ودعت اليها شعراء ايطاليين وعرباً من الدرجة الاولى.

في مقال له صدر عام ١٩٣٣، كتب فيرسيو انطونيو بورجيس يقول بان سبب مأساة صقلية هي الاصطدام مع افريقيا الذي حدث مرتين: المرة الاولى خلال العصور القديمة أي في عهد قرطاجنة. والمرة الثانية خلال المصور الوسيطة أي عند دخول العرب المسلمين الى الجزيرة. ويضيف بورجيس قائلاً ان الاصطدام الثاني كان اقلع من الاول بل انه اعنف من أي ثورة جيولوجية اذ انه عزل الجزيرة عن القارة. ويختتم مقالها هذا بهذا الاستنتاج الغريب: «ان علنا رأي الحضارة العربية هزم من طرف «البربرية» الافريقية. غير ان الملوكة النورمان من حسن الحظ حطموها التاكثير العربي الاسلامي واعادوا علاقة الجزيرة بالقارة كما يمكن ان يكون!.

غير ان المؤرخ الفرنسي الكبير برويس الذي يعتبر أهم متخصص في

تاريخ البحر الابيض المتوسط يؤكد ان صقلية لم تكن دائماً ايطالية حتى في مسترجاتها الفلاحية فالتين الوحشي والاعف والالوة اتوها من امريكا، واليوكاليبتس من استراليا، والطماطم من البيرو، والبادنجان من الهند، والفلفل من غرينانا، واللذرة الصفراء من المكسيك، والبرتقال والليمون والسكر وايضا الزراعي، والحرير والقطن من افريقيا عند دخول العرب المسلمين اليها. وعلق فارنونديز صاحب رواية «في يدي الملاك» قصة حياة بازليني الفائزة بجائزة غونثور عام ١٩٨٣، على كلام برويس قائلاً: «من الاكيد ان العرب جعلوا الجزيرة تعيش فترة رخاء وسعادة، ليس فقط لانهم ادخلوا اليها النظافة الجسدية وفن الزراعة وتربية الخيول وانما لانهم جلبوا معهم علماً جديداً في الاشكال والمواد والالوان والروائح».

والندوة الشعرية التي انتظمت في جبلينا اكدت بطلان رأي بورجيس، وجعلت الصقليين والشعراء الايطاليين الذين حضروا الندوة يقتنعون بان العرب لم يتركوا لهم البرتقال والليمون والحرير وانما ايضا الشعر. وقد قال ادونيس معلقاً على هذه الندوة: «حين استمعتم الى الشعراء الايطاليين يقرأون الشعر العربي باللغة الايطالية شعرت اني عربي وايطالي في نفس الوقت، وان الاخير ليس الا اسماً للذات لكن بلغة أخرى. فالشعر يخلق في الانسان الاحساس بان وجوده لا يتحصر في هويته، وبأنه هو نفسه وضريحاً وهو على هذا المستوى يوحد بين البشر، فيما وراء اختلافاتهم القومية والايديولوجية. وقد اعطى لشعوري هذا بعداً خاصاً كوننا استمعنا جميعاً ونحن بين احضان البحر الابيض المتوسط اتنا من حضارة واحدة، وكأنا نستمتع لحظة شعرية من تاريخ هذه الجزيرة حيث كان الشعراء العرب يشتدون قسدهم في الجلسة نفسها الى جانب الشعراء اليونان والسلاطين في بلاط

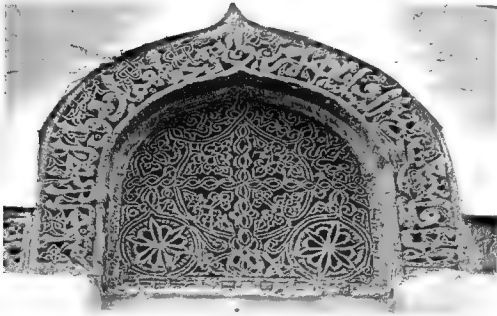
القديم. كيف نظمت هذه الندوة؟ الفضل يعود الى الالسة فرانسيسكا كاراو التي تتقن لغات عديدة من بينها العربية. وهي ابنة رئيس بلدية قرية جبلينا. وقد تعلمت العربية في روما ثم في القاهرة واطلعت اطلاقاً جيداً على التراث الشعري العربي القديم والحديث، ولها كتبت دراسات متعددة. ومنذ سنوات اهتمت بالشعراء الصقليين العرب من امثال ابن حديس وابن البصري وعبد ابن القطاع وابن الطويحي والتميمي وابوعلي الحسن وغيرهم. وهناك رغبتها في تعريف الشعراء الطليان بهم واطلاعهم على جانب مجهول من ثقافة صقلية القديمة.

تقول فرانسيسكا كاراو: لقد درست في الجامعة الامريكية بالقاهرة وحضرت محاضرات سهر القياوي والدكتور سكوت والدكتور بدوي وغيرهم. في الايام بقية سبع سنوات. وهناك استلمت ان اطور معرفتي بالثقافة العربية عموماً وبالشعر العربي قديمه وحديثه بطبيعة الحال. كتبت عن المتنبي وايضاً عن طه حسين وعن عباس محمود العقاد كما كتبت عن الشعر الحديث وعن الرواية الحديثة. وآخر دراساتي كانت حول جحا العربي وجحا الصقلي. انت تعرف ان هذه الشخصية هي من اطرف شخصيات الثقافة الشعبية في صقلية تماماً مثلها هو الحال عندكم في العالم العربي. وهناك كتاب صقليون

نظمت المكتبة الملكية في كوينهاجن معرضاً لتخليد ذكرى كارستن نيبور، بدأ الأعداد لها في صيف عام ١٩٨٤، بمناسبة زيارة الملكة مارجريت الثانية ملكة الدانمارك للمملكة العربية السعودية. ووضع كتالوج المعرض في مدينة (كيول) عاصمة مقاطعة (شليزفيج - هولشتاين).

في الفترة الراحنة من امثال زونزوتي وماريو لوتزو وشالوبا وفيغياني ويورتا وفورتيني وغيرهم وطلبت منهم صياغة تلك القصائد شعريا. وهكذا بدأوا في انجاز هذا العمل الذي اعتبرته الصحف الايطالية واحدا من أهم الاحداث الثقافية لهذا العام. معرض تخليدا للذكرى العالم الرحالة كارستن نيبور

عديدون كتبوا عنها. وفي هذه الدراما قمت بمقارنة بين هذين الشخصيتين. عندما عدت الى ايطاليا رغبت رغبة شديدة في تعريف الايطاليين بالشعر العربي. وأول عمل قمت به هو اني قمت بترجمة أولية لقصائد شعراء صقليون عرب، وعرضتها على اكبر شعراء ايطاليا



تعاليمها الأساسية وقيمها ونواميسها، والشعائر السائدة في كل منها والسلوك الديني اليومي للمؤمنين بها. مع تصوير هذه المبادئ الأساسية في علاقة كل دين منها بالآخر وتفتح له، مما يساعد على تقييم وزنهما في إطار الدين الواحد من ناحية ومقارنتها بالأديان الأخرى من ناحية ثانية مع إبراز نقاط الاتفاق والفرق بينها..

وقد نتجت عن الفوارق بين الأديان الثلاثة طوال التاريخ لا مساجلات لاهوتية وفقهية فحسب وإنما أيضاً حروب واشتباكات ذات أشكال متنوعة. وبحال هذا الكتاب أن يساهم في توطيد الفئحة بأن لكل أهل الكتاب الحق في الحياة.

ومحرر هذا المعجم، عادل تيسودور خوري (من مواليد ١٩٣٠ في تبرين بلبنيان) استأذن لعلم الأديان في جامعة مونستر الألمانية.



Isma'il Raji al-Faruqi, Judentum, Christentum, Islam. Vergleich der Abrahamschen Religionen. Aus dem Amerikanischen von Anton Joseph Dietl Deguyll Frankfurt am Main 1986

اسماعيل راجي الفاروقي: اليهودية والمسيحية والاسلام. حوار ثلاثي بين الأديان الابراهيمية. ترجمه عن اللغة الامريكية انطون جوزيف ديبلر. دار النشر راجلي، فرانكفورت ١٩٨٦.

غاية هذا الكتاب هي ايضا ان يكون جسراً بين البشر ذوي الحضارات والأديان المختلفة محاولاً تخطي المواقف المتناقضة عن طريق الحوار. ومؤلفه اسماعيل راجي الفاروقي كان حتى وفاته في عام ١٩٨٦ استأذناً للدراسات الاسلامية في جامعة (تيمبل) في فيلادلفيا بالولايات المتحدة. وساهم علماء من الأديان الثلاثة في تأليف الكتاب بمقالات ودراسات حول دينهم وتصوره للعالم ونظامه كل من المطلق الخاص به.

خلافاً ان هذه الحضارة العربية - الاسلامية واجهت ازمتات داخلية وهزات من الخارج على مدى التاريخ، من بينها انتقال مركز السلطة من مكان الى مكان على فترات متباعدة او متقاربة من البداية من شبه الجزيرة العربية الى سوريا، ثم الى العراق وبعدها الى مصر بل وإلى اقطار اخرى.

ومن بين الازمتات التي اضطرت الحضارة العربية الى التصدي لها الغزو المغولي للامبراطورية الاسلامية في القرن الثالث عشر وهو اول تحدّي جذري لها من قبل قوة غير اسلامية، اما التحدي الثاني الذي واجهته وما فتئت تواجهه فهو النفوذ الأوروبي الغربي الذي اجتاحتها في أواخر القرن الثامن عشر وتحاول إخضاعها حتى بعد انحلال الدول الاستعمارية. ويشدّد المؤلّفون على أن هوّة العالم العربي الاسلامي وسياساته ما زالت واقعتين تحت هذا التأثير.



Adel Theodor Khoury: Lexikon religiöser Grundbegriffe Judentum-Christentum- Islam. Verlag Styria, Graz, Wien, Köln 1987. 1175 Seiten

عادل تيسودور خوري: معجم المفاهيم الدينية الأساسية. اليهودية والاسلام والمسيحية. دار النشر (ستيريا)، جرتس فيينا. كولون ١٩٨٧. ١١٧٥ صفحة.

من السهات المميزة لوقتنا هذا الاهتمام المستجد بالقضايا الدينية، يصاحبه الوعي بضرورة الحوار بين الأديان المختلفة. والأديان السالوية الثلاثة، اليهودية والمسيحية والاسلام، التي طبعت تاريخنا وحضارتنا بطابعها ومنها يتوقع الانسان في الغرب وفي الشرق على السواء ان تعطيه الاجابة حول معنى حياته وغايتها وحول امكانياته في السيطرة على حاضره والتخطيط العقلائي لمستقبله.

ويعطي هذا المعجم للقارئ المهم معلومات متوثقة بها حول مبادئ تلك الأديان الثلاثة، بوصف اسمها الباهرة في مقالات مستقلة منها مقالات حول

Ulrich Haarmann: Geschichte der arabischen Welt Unter Mitwirkung von Heinz Helm, Barbara Kellner-Henkele, Helmut Meijer, Tilman Nagel, Albrecht Noth, Alexander Schölch Hans-Rudolf Singer, Peter von Savigny. Verlag C. H. Beck, München 1987, 720 Seiten.

أولرش هارمن: تاريخ العالم العربي. بالاشتراك مع هانز هلم وبربارا كيلنر-هاينكله وهلموت ماير وتيلمان ناجل والبرشت نوت، ألكسندر شولش وهانس - روثلف زينجر وبيتر فون سيفرس.

دار النشر بيك، ميونيخ ١٩٨٧، ٧٢٠ صفحة.

هذا هو العمل الثاني لمجموعة من علماء التاريخ الشبان حول العالم العربي، بعد صدور كتاب (الاسلام المعاصر)، نشره فيرنر انله وأودو شتاينباخ في دار النشر (بيك) في ميونيخ. ومن السهات المميزة لهذه المحاولة القيمة أن هؤلاء العلماء المنتسبين الى الجيل الجديد من المؤرخين يرسمون صورة لتاريخ العربي متعددة الجوانب وشاملة في ذات الوقت حتى يقترب هذا العالم وتاريخه من اذهان الجمهور العريض.

ومحرر الكتاب وهو أولرش هارمن (من مواليد عام ١٩٤٢) استأذن للدراسات الاسلامية في جامعة فرايبورج، والكتاب الآخرون المشاركون في اصدار هذا العمل القسم، جميعهم استأذن للتاريخ وللدراسات الاسلامية في جامعات المانية مختلفة.

ويشمل نطاق المؤلف التاريخ العربي منذ القرن السابع الميلادي أي منذ بروز العرب كعامل مؤثر في مجرى تاريخ العالم، وحتى تكوين الدول العربية في القرن العشرين. ومن الناحية الجغرافية فإن الشرق الأدنى والمغرب يتبوآن موقعاً حورياً في هذا العمل، فتجد دراسات ليست فقط حول التاريخ السياسي وإنما أيضاً حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وحتى مقالات عن الحضارة العربية وحقيقتها المختلفة، تنضج من

الارتباط بالطبيعة والتواضع وعبية الغريمو
منتشر كمنهج خارج تركيا في سوريا
ومصر والبنانيا وبين المهاجرين الأتراك في
أوروبا الغربية.
يقدم هذا الكتاب لأول مرة نظرة
شاملة باللغة الألمانية عن أصول البكتاشية
العلوية وعن شعراها ونظرتها إلى الأمور
الدينية والدنيوية.



Alev Tekiney: Über alle Grenzen. Erzählungen.
Bunbuch Verlag, Hamburg 1986. 106 Seiten.

أليف تكتيناي: متخطيا كل الحدود.
قصص قصيرة.
دار النشر (بونتيورخ)، هامبورج ١٩٨٦،
١٠٦ صفحة.

أليف تكتيناي من مواليد ١٩٥٢ في
أزمير، وتروي في قصصها قصة الإنسان
المتخطي لكل الحدود الحضرية، ورواية
بين الأسلوب السواقعي للكتاب الألمان
المعاصرين وبين العناصر الخيالية في التراث
القصصي التركي. ويقدم أليف تكتيناي في
مبنيوتج وحصلت على درجة الدكتوراه في
الادب الألماني في عام ١٩٧٩ وتدرس منذ
عام ١٩٨٣ في جامعة أوجسبورج. هذا
وقد حصلت على جائزة المعهد الألماني
لتدريس اللغة الألمانية للأجانب تقديراً
لقصصها وأعماله الأدبية الأخرى.



Idres Shah: Der glücklichste Mensch. Das große
Buch der Süß-Weisheit. Aus dem Englischen von
Thomas Poppe. Herder, Freiburg 1986. 255
Seiten.

أدريس شاه: أسعد الناس. كتاب
الصوفية الكبير. ترجمة عن الإنجليزية
توماس بوبس. دار النشر (هيردر).
فرايبورج ١٩٨٦، ٢٥٥ صفحة.
يعالج هذا الكتاب التراث الصوفي
مقدمات لتاريخ الطرائق الصوفية الأربعة
الكبرى مع تعاليم مشايخ الصوفية
وتفسيرها على هدي اهتمامات ومشاكل
إنسان القرن العشرين.

ويركز الجزء الأخير من الكتاب على
الامبراطورية العثمانية آخر الامبراطوريات
الاسلامية العظمى التي كانت تعيش فيها
مجموعات يهودية كبيرة ومهمة، ويربط بين
تغلغل نفوذ الغرب في الامبراطورية
العثمانية وبين تدهور التراث الاسلامي
اليهودي المشترك.

تقع الاهمية الأتية لهذا الكتاب في
طرحه للتاريخ المشترك بين العرب واليهود
في وقت تواجهنا فيه مرحلة خطيرة من هذا
التاريخ تتمثل في اشتداد الصراع بين
العرب واليهود خاصة بعد قيام دولة
إسرائيل.

برنارد لويس، مؤلف هذا الكتاب
استاذ لتاريخ الشرق الأدنى في جامعة
برنستون وقد سبق لفكره أن قدمته
لقرائها في إحدى أعدادها السابقة.



Anton Joseph Dierl: Geschichte und Lehre des
anschlischen Alevismus. Baitalismus. Dagel,
Frankfurt am Main 1985. 230 Seiten.

انطون جوزيف ديرل: تاريخ وتعاليم
العلوية البكتاشية في الأناضول. دار النشر
(داجيل). فرانكفورت ١٩٨٥، ٢٩٠
صفحة.

يؤمن ٢٥٪ من سكان تركيا بالذهب
العلوي الذي برزت في نطقه الطريقة
البكتاشية عرفت في أوروبا عن طريق
الانكشارية.

نشأت الطريقة العلوية البكتاشية مع
زواج القبائل التركية من آسيا الوسطى
مارا بايران لكي تصل بعدئذ إلى
الأنافول. وكان منطلقها مذهب
الكوشية التركي وتصورات مختلفة من
المذهب الشيعي، أضيف إليها شيئاً
فشيئاً طقوس أنافولية عريقة في القدم
وعناصر من ديانة المجوس مع دخول
التأثيرات المسيحية واليهودية عليها.
ولا يجب أن ننسى كذلك تصورات عديدة
من الحركات الانشقاقية في الإسلام مثل
الباطنية والحركة الفروعية.

وبعد المذهب العلوي البكتاشي في
عداد طوائف الإسلام. ومن سياتيه

Bernard Lewis: Die Juden in der islamischen Welt.
Vom frühen Mittelalter bis ins 20. Jahrhundert. Aus
dem Englischen von Uselotte Julius.
Verlag C. H. Beck, München 1987. 216 Seiten.

برنارد لويس: اليهود في العالم الإسلامي.
من فجر العصور الوسطى حتى القرن
العشرين. ترجمة عن الإنجليزية ليزلوت
بوليس.
دار النشر (بيك). ميونيخ ١٩٨٧، ٢١٦
صفحة.

يعد برنارد لويس من أهم علماء
الدراسات الإسلامية في الولايات
المتحدة، ويصف في كتابه هذا العلاقة بين
اليهود والمسلمين من بداية القرون
الوسطى وحتى قرناً هذا. فالديانة
اليهودية لم تكن غريبة لا على المسلمين ولا
على المسيحيين. كانت عقيدة تشابه
عقيدتهم، وأن كانت أقدم. وكان للتراث
اليهودي المسيحي في الغرب مثله في
الدولة الإسلامية أي تراث إسلامي
يهودي.

ولذلك نرى أن العلاقات الثقافية
والحضارية بين الديانتين اليهودية
والاسلامية، على الأقل في العصور
الوسطى، على قدر عميق من الارتباط
والاندخال بحيث نستطيع القول بوجود
ما يسمى بتكافل Symbiosis حضاري.
طبعاً كانت هناك أزمات في هذه
العلاقات، لكن التسامح في حق اليهود
كان متوفراً في جميع الحقب. ولذا فانه
لا يمكننا أن نتحدث عن اضطهاد اليهود
في المجتمعات العربية الإسلامية.

كان اليهود في العالم الإسلامي أقلية
مثلهم مثل العديد من الأقليات الأخرى،
وعالماً ما كان الدور الذي يلعبونه أقل بكثير
من دور تلك الأقليات. وهذا هو السبب
في أن الكتاب يبدأ بللمحة حول علاقة
الإسلام بالاديان الأخرى عامة ثم يتطرق
الكتاب بعد ذلك إلى بحث منقش ونظرة
التراث الإسلامي اليهودي ويتابعه في
الحقبة الكلاسيكية الشاملة للقرون
الوسطى.

السعداوي وأنا اسلوب امرأة لا تحتاج إلى المساندة من أي إيديولوجية. وسيرتها الذاتية مثال للمعاناة التي تواجهها المرأة في المجتمع الاسلامي المعاصر في تأرجحه بين التراث والحداثة.

وقد ولدت فاطمة المرينسي في مرحلة سمح فيها للفتيات بالدخول إلى المدارس ثم بالوظيفة بعد ذلك. غير أن هذه الحرية النسبية لم تخفف عن المرأة عذاباتها ومعاناتها.

وفي تحليلها للتركيبية القسوقية الايديولوجية لهذا المجتمع الماربازمة حضارية حادة نذكرنا فاطمة المرينسي بحكمة مأثورة للعلامة الفيلسوف ابن رشد، فونه منذ أكثر من ٧٠٠ عام لم يفقد شيئاً من حداثة، يقول ابن رشد:

(من أهم أسباب انحطاط العالم الاسلامي العلاقات بين المرأة والرجل). ولذلك فنحن نتمنى لهذا الكتاب الشجاع ان يجد قراءاً كثيرين وخاصة بين الرجال.

Fatima Merissi: Geschlecht - Ideologie - Islam. Aus dem Französischen von Marie Lütke Knoll und Brunchilde Wehinger. Frauenbuchverlag München 1987.

فاطمة المرينسي: الجنس والايديولوجية والاسلام. ترجمة عن الفرنسية ماري لويز كنوت، وروينيلده فينتجر. دار النشر (فراونبوخ فريلاج). ميونيخ ١٩٨٧.

تقدم لنا فاطمة المرينسي في كتابها هذا دراسة متعددة الجوانب عن العلاقة بين المرأة والرجل في المجتمع الاسلامي وبمجمع ما قبل الاسلام، استناداً إلى النصوص الاسلامية الكلاسيكية. والكتابة استاذة لعلم الاجتياح في جامعة الرباط، والفت الكتاب بعد دراسة مستفيضة للادبيات الاسلامية اذقتها بحوارات واستفتاءات بين النساء المغربيات.

لكن فاطمة المرينسي لا تكتب بصفتها عالة فقط وأنا تكتب أيضاً كأمراة عانت كثيراً من قيود مجتمعها وهي تروي بصراحة كبيرة احداثاً ووقائع عاشتها أو عايشتها. واسلوبها ليس اسلوب الطعن المجهومي مثل زميلتها المصرية نوال

Frauen in Afrika. Erzählungen. Herausgegeben von Ingrid Adkernmann. Deutscher Taschenbuch Verlag, München 1987.

المرأة في افريقيا. قصص قصيرة. من تدوين ونشر ارمجاراد اكرومان. ادر النشر (دويتشر تاشنبوخ فريلاج) ميونيخ ١٩٨٧. القصص السباني عشرة في هذا الكتاب من تأليف كاتبات من بلاد افريقية مختلفة ابتداء من السنغال وحتى افريقيا الجنوبية. وأعدادها ينشر لأول مرة باللغة الألمانية. والنصوص كلها غنية بالتأملات النقدية والاعتزاز بالنفس تنعكس فيها أوضاع النساء الافريقيات في مجتمعاتهم المختلفة، أوضاع مازالت مجهولة في البلاد الأوروبية. والنشائسة السيدة ارمجاراد اكرومان، استاذة في معهد اللغة الألمانية بجامعة ميونيخ.





FIKRUN WA FANN

46

